دولة ليبيا
جامعة عمر المختار
كلية الآداب/الدراسات العليا
قسم التاريخ ـ شعبة التاريخ الحديث والمعاصر

موقف ولاية طرابلس الغرب
من محاولات التنصير الأوروبي 1835 -1912م

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل الإجازة العليا (الماجستير)
في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:
نعيمة سعيد حمد محمد

إشـراف:
الأستاذ الدكتور/ صالح مصطفى مفتاح المزيني

العام الجامعي
1443هـ/2022م

دولة ليبيا

جامعة عمر المختار

كلية الآداب / الدراسات العليا

قسم التاريخ – شعبة الحديث والمعاصر

موقف ولاية طرابلس الغرب من محاولات التنصير الأوربي 1835ـ 1912م

رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات نيل الإجازة العالية (الماجستير)

في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد

نعيمة سعيد حمد محمد

لجنة الإشراف والمناقشة — التوقيع

1. الدكتور: صالح مصطفى المزيني — مشرفاً: .....
2. الدكتور: راقي محمد عبدالكريم — ممتحنا خارجيا: .....
3. الدكتور: أمحمد إبراهيم الترهوني — ممتحناً داخليا : .....

يعتمد

عميد الكلية .....

مدير الإدارة العامة للدراسات العليا والتدريب .....

تاريخ المناقشة : 21/5/ 2022م

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ

قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ

الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة البقرة، الآية: 120]

قال رسول الله ﷺ

[كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، وَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ

كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ]

(جاء في الصحيحين)

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وأخيراً لله ﷻ

الذي منّ علينا بنعمة العقل والصحة

وفضلنا على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً ، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً

يقول ﷺ: "لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ"

(مسند أحمد، رقم7926)

من هنا أتقدم بجزيل الشكر

للأستاذ الدكتور / صالح مصطفى المزيني

لقبوله الإشراف على هذه الرسالة

وعلى كل ما قدمه من نصحٍ وتوجيهٍ وإرشاد ، وحنوٍ وسهولةٍ ولين ...

سائلةً الله ﷻ أن يجعل ذلك في ميزان حسناته وأن يمده بالصحة والعافية وأن يزيده علماً

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساهم في هذا العمل ولو بكلمة طيبة

وأخص بالذكر

الدكتور/ رائي محمد عبد الكريم * الدكتور/ عبد الغني عبد الله محمود

الأستاذ/ سليمان محمود جاد الله

وإلى

المصور/ علي الساعدي

إهداء

إلى

من غرس في نفسي حب العلم والمعرفة وشجعني عليهما منذ الصغر ولازمني بالدعاء

أبي

إلى

التي برؤية محياها ينجلي كل العذاب، ويتيسر كل عسيرٍ

وتعطي مسرورةً بغير حساب، وتملك جنةً عند أقدامها لها سبعة أبواب

أمي

إلى

نبض القلب الذي به أحيا

أخوتي وأخواتي

إلى

كل من يقع نظره على هذا الجهد المتواضع قارئاً أو طالب علم

أهدي هذا العمل المتواضع

عسى أن يجعله الله علماً نافعاً وعملاً مقبولاً

الباحثة

ملخص البحث

الرسالة هدفت إلى دراسة "موقف ولاية طرابلس الغرب من محاولات التنصير الأوروبي 1835-1912م" متخذة من "من بداية العصر العثماني الثاني إلى نهايته، وولاية طرابلس الغرب" حقلاً لها، فتطرقت لدراسة ظاهرة (التنصير)، من حيث كونها ظاهرة أثرت سلباً على مجتمعنا في يومٍ ما، وإبراز تجربة السلف والحفاظ علي استمرارها وبقائها، خاصةً أنها أثبتت نجاحها، معتمدة المنهج التاريخي السردي الوصفي التحليلي منهجاً رئيساً، وقد ضمت الدراسة مقدمة وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة أنجزت فيها ما توصلت إليه من نتائج، وكان من أهمها:

- سعى الاستعمار الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي للسيطرة على الشعوب العربية والإفريقية.
- أن الحروب الصليبية مازالت مستمرة، تتلون وتتشكل حتى يومنا هذا.
- نستطيع أن نقرر أن حركة التنصير هي أحد إفرازات الحروب الصليبية.
- لم تكن ولاية طرابلس الغرب بمنأى عن محاولات التنصير الأوروبي.
- ارتبط انتشار الإرساليات التبشيرية النصرانية بالوجود الأجنبي من خلال الامتيازات وكذلك الاتفاقيات والمعاهدات التي مُنِحَت للأقليات الدينية بإنشاء الكنائس والمرافق الصحية.
- شملت خطط الكنيسة من أجل تنصير سكان الولاية: الدخول عليهم عبر ظروفهم الاجتماعية.
- لجأت البعثات التبشيرية ـ بمساعدة القناصل ـ إلى استغلال الرقيق، ويتامى الأطفال والمشردين، وإيوائهم مع تلقينهم مبادئ المسيحية وتعميدهم كمسيحيين.
- استخدم التنصير طريق الغزو الفكري بديل عن العمل العسكري.
- استغلال فترات الاضطراب للتدخل في شؤون الولاية، وتسهيل أعمال الرحالة والمنصرين.
- لم تتمكن الإرساليات التبشيرية من تنصير أبناء الولاية.
- أثمرت جهود الحركة السنوسية، فكانت معضلة كبرى في وجه الحملات التبشيرية.
- أدرك الطليان أن الدين هو الوعاء الذي حفظ المجتمع، والسلاح الذي جوبهوا به.
- مسجد الجغبوب وزاويته كان يتسع ـ في زمانه ـ لـ600 مصلي.
- نتج عن محاولات التنصير داخل ولاية طرابلس الغرب تغير في سياسة الولاة تجاه سكانها.
- أضفت الدولة العثمانية على ولاية طرابلس الغرب صفة الدولة الإسلامية.

وقد انتهى البحث إلى اقتراح مجموعة من التوصيات من شأنها:

- أن تجعلنا نهتم بدراسة ما أشار التاريخ إليه بأصابع الاتهام.
- أن ندرك أن إحياء التراث مهمة واجبة على كل جيل من الأجيال.

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة
وأن ينتفع بها أهل العلم وطلاب المعرفة

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
الآية	-
الشكر والتقدير	-
الإهداء	-
الملخص العربي	-
فهرس المحتويات	-
المقدمة	1

التمهيد

جذور المسيحية في ليبيا

دلائل على وجود المسيحية المبكرة في ليبيا	12
المنافذ التي تسربت من خلالها المسيحية إلى ليبيا	18
شخصيات ليبية مسيحية	19
معالم مسيحية في ليبيا	22

الفصل الأول

الموقع الجغرافي لولاية طرابلس الغرب وأهميته في محاولات التنصير الأوروبي

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لولاية طرابلس الغرب	25
المبحث الثاني: مفهوم التنصير	39
التعريف اللغوي للتنصير	39
المفهوم الاصطلاحي للتنصير	42
مفهوم التبشير اللغوي	44
المفهوم الاصطلاحي للتبشير	45
المبحث الثالث: أهداف التنصير	48

الفصل الثاني

المراكز الأوروبية في ولاية طرابلس الغرب ودورها في محاولات التنصير الأوروبي

المبحث الأول: القنصليات الأوروبية والعمل التنصيري	54
المبحث الثاني: دور البعثات الطبية الأوروبية والمحاولات التنصيرية	66
المبحث الثالث: الكنائس الأوروبية في ولاية طرابلس الغرب والدور التنصيري	76
المبحث الرابع: دور المدارس التبشيرية ومحاولاتها التنصيرية	87
الفرنشيسكان	88

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الثالث

ردود فعل المؤسسات الإسلامية على محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب

المبحث الأول: دور الكتاتيب، والمساجد 100
أولاً: الكتاتيب 100
ثانياً: المساجد 106
المبحث الثاني: دور الزوايا 109
المبحث الثالث: دور الرباطات 118
المبحث الرابع: ردود فعل المدارس العثمانية من محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب.... 123

الفصل الرابع

الموقف الرسمي والشعبي من محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب

المبحث الأول: موقف السلطات العثمانية من محاولات التنصير في ولاية طرابلس الغرب 130
موقف السلطات الحاكمة في إسطنبول 130
موقف الولاة العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب 141
المبحث الثاني: ردود فعل الحركة السنوسية من محاولات التنصير الأوروبي على ولاية طرابلس الغرب... 147
التعريف بالحركة السنوسية 147
المبحث الثالث: النهوض بأمر الدعوة والجهاد 165
الخاتمة 172
الملاحق 176
قائمة المصادر والمراجع 189
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية ..... -

المقدمة

الحمد لله الذي وفق من اجتباه من عباده للسير في طريقٍ يُلْتَمس فيه علم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، وأتباعه الطاهرين، والأئمة المجتهدين، ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين.

وبعد،،،

التاريخ رواية عن الأمم السابقة، ومعرفة الإنسان لماضيه وتجارب من سبقوه، فهو أهم طريق لصناعة حاضر متوازن، فمعرفة الإنسان لهويته من أكثر الأشياء التي تساعده في تحديد اتجاه المستقبل الذي يريده، والأفكار التي يريد أن يؤمن بها، وبمعنى آخر فإن ملامح تاريخنا القديم هي التي نستطيع من خلالها تحديد ملامح هويتنا وحاضرنا.

والتنصير ظاهرة عالمية، نشطت في جهات كثيرة من العالم، شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، ولكن من الملاحظ أن ثمة جهات تحظى بعناية خاصة، وتركيز عالٍ من منظمات التنصير كمنطقة شمال أفريقيا وجنوبها، ومنها ولاية طرابلس الغرب، حيث تتميز هذه الولاية بموقع جغرافي مهم، فهي تقع في شمال أفريقيا، يحدها البحر المتوسط من الشمال، والسودان جنوباً، ومصر من الشرق، وبلاد المغرب غرباً، وبذلك تعد جسراً يربط بين أوروبا وأفريقيا، وأقطار المشرق والمغرب، وبناء على موقعها الجغرافي تأثرت طرابلس الغرب بالأحداث والصراعات التاريخية التي عرفتها منطقة البحر المتوسط؛ مما جعلها منطلقاً للعديد من المحاولات التنصيرية.

والتنصير له جذور في طرابلس الغرب، فقد انتشرت النصرانية فيها على يد الحواريين الذين بشروا بالديانة المسيحية على يد القديس مرقس الإنجيلي في (قورينا) بإقليم برقة، وفي أماكن أخرى من إفريقيا.

لقد تجلت أساليب العدوان المسيحي في طرد المسلمين من آخر معقل لهم بمدينة غرناطة بالأندلس 1492م، بل وأُجْبِر المسلمون على التنصر، ولوحقوا في عدد من المدن في شمال أفريقيا، ومنها وهران، والمرسى الكبير في الجزائر، وطرابلس الغرب، والتي استهدفت إعادة الديانة النصرانية؛ للانتقام من الوجود الإسلامي في الأندلس، فوصلت الحملات الإسبانية إلى طرابلس الغرب (1510-1530م)، سعياً إلى تحويلها منطقة مسيحية، ووصل فرسان القديس يوحنا إليها عام1530م، وهي الفرقة المسيحية المعروفة بالاسبتارية، تدفعهم روح الكراهية للإسلام والمسلمين، وسعت إلى نشر المسيحية، وتنصير سكانها، ودخلت في صراع مع القوة الإسلامية العثمانية، وانتهى هذا الصراع بسيطرة العثمانيين عليها سنة 1551م، وبذلك أصبحت طرابلس الغرب ولاية تابعة للدولة العثمانية.

استمرت محاولات التنصير في ولاية طرابلس الغرب خلال العهدين الأول - وفترة وجود الأسرة القرمانلية - والثاني للحكم العثماني، وزاد نشاط الإرساليات التبشيرية (التنصيرية) خلال العهد العثماني الثاني، عن طريق وجود المدارس التبشيرية في ولاية طرابلس الغرب، بالتركيز على التعليم الذي اعتبره الأوروبيون الوسيلة الأكثر فاعلية لتنصير أبناء الولاية عن طريق المناهج الأوروبية، وتعليم اللغات الفرنسية والإيطالية، بالإضافة إلى وجود الكنائس المدعومة من القوة الأوروبية والفاتيكان المنتشرة في مختلف أنحاء الولاية، والتي كان يديرها الرهبان والراهبات الفرنشيسكانيات، ووجود البعثات الطبية التي ساهمت في محاولات التنصير داخل ولاية طرابلس الغرب، خاصةً في فترات انتشار الأوبئة والأمراض خاصةً.

كان لوجود القنصليات الأوروبية داخل الولاية كان لها الأثر الأكبر في محاولات التنصير من خلال تقديم المساعدات لأبناء جلدتهم (الرحالة الأجانب الذين وصولوا إلى ولاية طرابلس الغرب) ومصالح بلدانهم، ومساعدة البعثات التبشيرية على استغلال الرقيق لخدمة أغراضها.

شهدت ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر الميلادي أحداثاً وتطورات كبيرة، حيث اقترن العهد العثماني الثاني في الولاية بظهور الحركة السنوسية ـ على يد مؤسسها/ السيد محمد بن علي السنوسي ـ بصفتها حركة دينية، هدفها الإصلاح، والعودة إلى الدين الصحيح، والتي بدأت من برقة، ثم شملت كل ولاية طرابلس الغرب، من خلال بناء الزوايا، والتركيز على التعليم الديني، وتكاتفت كل المؤسسات الإسلامية في الولاية من كتاتيب وزوايا ورباطات ومساجد للوقوف ضد كل محاولات التنصير الأوروبية المستمرة من القوة المسيحية؛ لتنصير سكان الولاية، والسيطرة عليها.

كان التعاون واضحاً بين السلطات العثمانية والقوة المحلية المتمثلة في الحركة السنوسية؛ للوقوف معاً ضد الخطر الذي يهدد المجتمع الإسلامي في الولاية، بالإضافة إلى مجهودات الولاة العثمانيين داخلها، بالتعاون مع شيوخ الزوايا السنوسية للاهتمام بتعليم أبناءها تعليماً دينياً؛ للحد من التحاقهم بالمدارس التبشيرية الخاصة بالفرنشيسكان، التي كانت تعمل دائماً على استقطاب أبناءها، ولا سيما المحتاجين منهم، واستغلالهم للسيطرة عليهم، وتنصيرهم، فجاءت هذه الدراسة بعنوان: "موقف ولاية طرابلس الغرب من محاولات التنصير الأوروبي 1835–1912م".

وتكمن أهمية الدراسة في التركيز على ظاهرة تعد من أخطر الظواهر التي هددت ـ وقد تهدد ـ المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً، فالتنصير حركة قديمة متجددة في كل عصر، وقد ظهرت الحركة التنصيرية في العصر الحديث في وسائل وأساليب شتى، وبقوة وإمكانيات أكبر مما كانت عليه في الماضي، بهدف تزييف مفاهيم الإسلام، وإخراج المسلم عن دينه، ولاسيما أن هذه الظاهرة موجودة في كل زمان ومكان، ولا تزال نشطة إلى يومنا هذا.

أما هدف الدراسة التركيز على ظاهرة (التنصير)، التي أشار إليها التاريخ بأصابع الاتهام، وأثرت سلباً على مجتمعنا في يومٍ ما، وإبراز تجربة السلف والحفاظ علي استمرارها وبقائها، خاصةً أنها أثبتت نجاحها.

لذلك جاءت مجموعة من التساؤلات تمثلت في: ما المقصود بالتنصير، وما الفرق بينه وبين التبشير؟ ما أهداف التنصير؟ هل كان للتنصير جذور في ولاية طرابلس؟ هل كان التنصير مقتصراً على ولاية طرابلس، أم انتقل إلى منطقة جنوب الصحراء عبر أراضيها؟ هل كان هناك تعاون بين السلطات العثمانية الحاكمة لولاية طرابلس الغرب والحركة السنوسية للوقوف ضد المحاولات التنصيرية الأوروبية؟ هل نجحت الحركة السنوسية من خلال التعليم الديني وبناء زواياها في إيقاف المد التنصيري ومقاومة التغلغل الأوروبي في الولاية؟

وأسباب اختيار هذا الموضوع من أهميته وثمرته وقيمته العلمية، في أنه من النقاط المهمة في تاريخ العالم الإسلامي وتاريخ ليبيا الحديث؛ لكونه يهدف إلى إبراز موقف الولاية والقوى المحلية من محاولات التنصير الأوروبي، والتعريف بالتنصير وأهدافه، فجاءت الدراسة تحت عنوان: "موقف ولاية طرابلس الغرب من محاولات التنصير الأوروبي 1835-1912م"، ومن هنا يتضح الإطار الزمني والمكاني للدراسة.

ولا شك أن هناك دراسات علمية قيمة قُدّمت في هذا المجال، إلا أنها لم تتعرض بشيء من التفصيل لـ"موقف ولاية طرابلس الغرب من محاولات التنصير الأوروبي 1835-1912م"، أعرض منها بعضاً على حسب ترتيب الاستعانة بها، ومنها:

- دراسة عبد الرحمن بن عبد الله الصالح (1999م). بعنوان: "التنصير تعريفه وأهدافه ووسائله حسرات المنصرين"، دار الكتاب والسنة، ط1، 1999م. تناولت هذه الدراسة تعريف التنصير وأهدافه، وأساليب المنصرين التي استخدموها في نشر النصرانية بين سكان العالم الإسلامي، وقد أمدني بمعلومات تم تضمينها في كل مباحث الفصل الأول.
- دراسة مصطفى خالدي - وعمر فروخ (1953م). بعنوان: "التبشير والاستعمار في البلاد العربية"، بيروت، منشورات المكتبة العلمية، ط1، 1953م.

تناولت هذه الدراسة عرضاً لجهود المبشرين الرامية للتنصير، من خلال أساليبهم المختلفة، التي تعمل على تنصير العالم الإسلامي، وهذا ساهم بمعلومات تم تضمينها بالمبحث الثالث من الفصل الأول.

- دراسة الأب فرانشيسكو روفيري (2014م). بعنوان: "عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، التاريخ الكرنولوجي لبرقة (1551-1911م)"، ترجمة وتقديم: إبراهيم أحمد المهدوي، مراجعة: شمس الدين عرابي بن عمران، دار ترنت، 2014م، ط1.

مما أمدني بمعلومات متعلقة ببناء الكنائس داخل ولاية طرابلس الغرب، كذلك متابعة الرحالة الأجانب داخلها، وذلك في الفصلين الثاني والرابع.

- دراسة عبد الجليل شلبي (د.ت). بعنوان: "الإرساليات التبشيرية"، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د.ط)، (د.ت).

تناولت هذه الدراسة بداية تكوين العائلة الفرنشيسكانية، وأهم نشاطاتها وتطلعاتها لنشر النصرانية عن طريق مؤسساتها، مما أفاد في طرح معلومات الفصل الثاني من هذه الدراسة، وخاصةً فيما يتعلق بالؤسسات الفرنشيسكانية.

- دراسة محمد الكوني بالحاج (2000م). بعنوان: "التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني، 1835-1911م، وأثره على مجتمع الولاية، الجماهيرية العظمى"، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000م.

تناولت هذه الدراسة معلومات عن المدارس العثمانية التي تم تأسيسها في طرابلس الغرب في مرحلة الإصلاح، وهي المدارس الابتدائية والإعدادية، ومدارس الفنون والصنائع، مما أفاد في طرح معلومات الفصلين الثاني والثالث.

- دراسة رأفت الشيخ، (1972م). بعنوان: "تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة"، دار التنمية، ط1، 1972م.

تناولت هذه الدراسة معلومات عن التعليم في ولاية طرابلس الغرب القائم على الكتاتيب والمساجد والزوايا والرباطات، ودورها في التعليم الديني، والتركيز على تربية النشء تربية دينية، مما أفاد طرح معلومات الفصل الثالث.

- دراسة جان لوي تريو، (2013م). بعنوان: "السنوسية في مواجهة فرنسا حرب فرنسية ليبية منسية تشاد 1900-1902م"، ترجمة: محمد جهيمة، دار الفرجاني، ط1، 2013م.

تناولت هذه الدراسة موقف الحركة السنوسية من الحراك الفرنسي في منطقة شمال أفريقيا والصحراء، وأعمال المنصر لافيجيري التي تهدف إلى الوصول إلى غدامس وغات ضمن حدود ولاية طرابلس الغرب الجنوبية، مما أفاد في تضمين معلومات الفصل الرابع من هذه الدراسة.

- دراسة عبد السميع ابريدان، (2015م). بعنوان: "السيد محمد المهدي السنوسي ودوره في تطوير الحركة السنوسية 1844-1902م"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بنغازي، 2015م.

تناولت هذه الدراسة نشاط الحركة السنوسية في عهد السيد محمد المهدي السنوسي وأعمال الإصلاحية والتعليمية، وموقفه من القوى الأوروبية، مما في تغطية الفصل الرابع.

- دراسة مصطفى نصر المسلاتي (1966). بعنوان: "الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين"، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر، طرابلس، 1966م.

تناولت هذه الدراسة معلومات عن نشاط الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية في ولاية طرابلس الغرب عن طريق فتح المدارس، وإرسال الحكومة الإيطالية الرهبان والجواسيس داخل الولاية لتأسيس إرساليات نصرانية.

- دراسة محمد الطيب الأشهب، (1945م). بعنوان: "برقة العربية الأمس واليوم"، القاهرة، مطبعة الهوارية، ط1، 1945م.

تناولت هذه الدراسة التاريخ الليبي أثناء فترة قيام الحركة السنوسية في ولاية طرابلس الغرب، وتحدثت عن نظام الزوايا السنوسية كمراكز روحية سياسية واقتصادية.

أما الصعوبات التي اعترضت البحث، أهمها: قلة المادة العلمية في الموضوع، مما كان له الأثر في اللجوء إلى العديد من المصادر والمراجع لتجميع المادة محل الدراسة، فاستغرق البحث عنها وقتاً طويلاً، سواء في الكتب والمكتبات أو عبر الإنترنت، دون الحصول على معلومات كافية، ناهيك عن عدم الحصول على الوثائق الخاصة بموضوع الدراسة بسبب الظروف الأمنية، وكذلك فإن أغلب المراجع الأجنبية غير مترجمة، وأيضاً ندرة الدراسات أو التحقيقات للحقبة موضوع الدراسة، ففيما أعلم أن هذه أول دراسة تناولت "موقف ولاية طرابلس الغرب من محاولات التنصير الأوروبي خلال الفترة الزمنية 1835-1912م"، كما أن الدراسات السابقة التي تناولت محاولات التنصير لم تتناول موضوع الدراسة بشيء من التفصيل والتخصيص.

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي السردي الوصفي التحليلي، من حيث إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، ومن ثم تمحيصها، وربطها بعضها ببعض؛ ليتم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفق سياق تاريخي علمي، وثم تحليل هذه المادة، وتبويبها وتقسيمها إلى فصول ومباحث، ودراستها، ويتم التوصل حينئذ إلى مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة.

فقسمت الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة وملاحق وقائمة للمصادر والمراجع التي أُعْتُمِدَ عليها في الدراسة، وذلك كالآتي:

** **المقدمة**: تشتمل على نبذة سريعة عن الموضوع، وأهمية الدراسة، هدفها، تساؤلات الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، والإطار الزماني والمكاني، والصعوبات التي واجهت الدراسة، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع.

** **التمهيد**: تحت عنوان "جذور المسيحية في ليبيا"، وبه تم بحث بداية المسيحية في ليبيا، وأهم المنافذ التي تسربت من خلالها المسيحية، وأهم الشخصيات الليبية المسيحية، والشواهد التاريخية (المعالم المسيحية) على وجودها بها.

** **الفصل الأول**: لدراسة "الموقع الجغرافي لولاية طرابلس الغرب وأهميته في محاولات التنصير الأوروبي": من خلاله يتم التعرف على أهمية موقع ولاية طرابلس الغرب للقوى الصليبية التي كانت تهدف للسيطرة عليها، واتخاذها قاعدة لأعمالها، كذلك التعرف على مفهوم التنصير والتبشير، والجهد الكنسي الذي قام به الدعاة إلى نصرانية، كما يتم إيضاح أهداف التنصير، ويتضمن ثلاثة مباحث، الأول: الموقع الجغرافي لولاية طرابلس الغرب، الثاني: مفهوم التنصير، الثالث: أهداف التنصير.

** **الفصل الثاني**: يتناول "المراكز الأوروبية في ولاية طرابلس الغرب ودورها في محاولات التنصير الأوروبي"، به يكون العرض لأهم المؤسسات الأوروبية الموجودة ولاية طرابلس الغرب، ومدى تأثيرها في عمليات التنصير، منها القنصليات والمستشفيات والكنائس وكذلك المؤسسات التعليمية، ويضم أربعة مباحث، الأول: القنصليات الأوروبية والعمل التنصيري، الثاني: دور البعثات الطبية الأوروبية والمحاولات التنصيرية، الثالث: الكنائس الأوروبية في ولاية طرابلس الغرب والدور التنصيري، الرابع: دور المدارس التبشيرية.

** **الفصل الثالث**: بعنوان "ردود فعل المؤسسات الإسلامية على محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب"، ومن خلاله يتضح دور الكتاتيب والمساجد والزوايا والرباطات في الرد على المحاولات التنصيرية في ولاية طرابلس الغرب، ويحتوى أربعة مباحث، الأول: دور الكتاتيب، والمساجد، الثاني: دور الزوايا، الثالث: دور الرباطات، الرابع: ردود فعل المدارس العثمانية من محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب.

** **الفصل الرابع:** مخصص لدراسة "الموقف الرسمي والشعبي من محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب"، وفيه التركيز على موقف السلطات الحاكمة في اسطنبول من محاولات التنصير، وكذلك رد فعل القوى المحلية في الولاية المتمثلة في السكان والحركة السنوسية، مفصلاً في ثلاثة مباحث، الأول: موقف السلطات العثمانية من محاولات التنصير في ولاية طرابلس الغرب، الثاني: ردود فعل الحركة السنوسية من محاولات التنصير الأوروبي على ولاية طرابلس الغرب، الثالث: النهوض بأمر الدعوة والجهاد.

** **الخاتمة:** تتناول أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة، يليها بثبت المصادر والمراجع.

واعتمدت على العديد من المصادر والمراجع، سأذكر منها ما كثر استعماله مع الاقتصار على عنوان الكتاب واسم مؤلفه؛ لأني خصصت في آخر هذا البحث ثبتاً للمصادر والمراجع، ذكرت فيه البيانات الكاملة للكتب، فوضحت فيه المحققين، ودور النشر، والطبعة والتاريخ إن وجدت، ومن أهمها:

أولاً: الوثائق:

- وثائق تاريخ ليبيا، الوثائق العثمانية لأحمد صدقي الدجاني.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة خلال دراستها، هي:

- كتاب التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها الأخبار لابن غلبون، وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة:

اعتمدت الدراسة على الكثير من المراجع العربية والمعربة، من أبرزها:

- كتاب برقة الأمس واليوم لمحمد طيب الأشهب، وكتاب عرض للوقائع التاريخية البرقاوية التاريخ الكرونولوجي لبرقة 1551-1911م لفرانشيسكو روفيري.

خامساً: المراجع الأجنبية:

مثل:

- Vittorio Ianari, Chiesa, Coloni, E Islam. Religione e politica nella Libia italiana, 1995.
- Anastasi, R. Bartolini Breve Storia Della, Farmiglia Francesana Perugia monteripdo, 2013.
- H. Duveyrier, La Confrerie Musulmane, Sidi Mohammed Ben' Ali.Es-Senousi, Domaine, Geoghapop HIQUE, PARIS, SOGLETE.DE, CEOGBAPHIE, 1889.

والله المستعان،

التمهيد

جذور المسيحية في ليبيا

- دلائل على وجود المسيحية المبكرة في ليبيا.
- المنافذ التي تسربت من خلالها المسيحية إلى ليبيا.
- شخصيات ليبية مسيحية.
- معالم مسيحية في ليبيا.

دلائل على وجود المسيحية المبكرة في ليبيا:

بدأت المسيحية[*] تفد على منطقة الشمال الإفريقي في منتصف القرن الثاني الميلادي، وتتركز في أهم المناطق الحضرية، كمدن إقليم برقة، مثل: مدينة قورينا (مدينة شحات الحالية)، ثم انتقلت إلى سرت وقرطاجة[1] ، على يد القديس مرقس رسول السيد المسيح إلى إفريقيا، وأحد الرسل السبعة الذين أرسلهم المسيح إلى العالم[2] ، يقول البابا[**] شنودة الثالث: "إن مرقس رسول أفريقي ولد في كيريني CYRENE إحدى المدن الخمس في ليبيا"[3] في العقد الثاني من القرن الأول الميلادي سنة (خمسة عشر بعد الميلاد)[4] ، ويقول الأب متى: "إن مرقس ولد بعد المسيح بثلاث سنوات"[5]، ويقول ميخائيل مكس في كتابه كنيسة البتابولس: "ولد مرقس بعد المسيح بثلاث سنوات، وتعرّف عليه، وعاين أعماله منذ البداية"[6] ، وقد ولد في قرية "ابرياتوس" وهي تقع بين سيرين وأبولونيا (سوسة حالياً)، وتُعْرَف الآن "برطلس" (سطية)[7] ، واسم مرقس اليهودي الأول هو يوحنا، ومعناه (الله تحنن)، وأُخذ اسم مرقس اللاتيني من المطرقة الثقيلة (المرزبة)[8] ، ويعرف أيضاً باسم سمعان، وأرسطو بولس الليبي، كما عرف بالزيلوطي أي سريع المشي[9] .

(*) المَسِيْحِيَّة، أو النَّصْرَانِيَّة، هي ديانة إبراهيمية، وتوحيدية، متمحورة في تعاليمها حول الكتاب المقدس، وبشكل خاص يسوع، الذي هو في العقيدة متمم النبوءات المُنتظَر، وابن الله المتجسد؛ الذي قدّم في العهد الجديد ذروة التعاليم الروحيّة والاجتماعية والأخلاقية، وأيّد أقواله بمعجزاته؛ وكان مخلّص العالم بموته على الصليب وقيامته...، https://ar.wikipedia.org›wiki›

(1) سعيد محمد غريدة، المسيحية والصراع المذهبي المسيحي بإقليم برقة في العصر الوسيط (بحث منشور)، كلية الآداب، المرج، 2017، ص349.

(2) صفاء جنحاني ـ وفارس حمايتي، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم والصراع المذهبي وآثاره (180-430م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الشهيد حمه الخضر ـ الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، الجزائر، 2018م، ص47.

(**) البابا: تسمية تطلق حالياً على أسقف روما، كونه رئيس الكنيسة الكاثوليكية بأسرها. كريستيان الحلو، موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، مكتبة المهتدين، ط1، 1422هـ/2001م، ص125.

(3) البابا شنودة الثالث، مرقس الرسول، د.م، ط4، 1987م، ص25.، محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، مجلة الفصول الأربعة، العدد(4)، السنة الأولى، 1978م، ص26.

(4) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، الجماهيرية العظمى، بنغازي، دار الكتاب، ط1، 1993م، ص30.

(5) الأب متى المسكين، الإنجيل بحسب القديس مرقس، مطبعة دير القديس، ط1، 1996م، ص23.

(6) ميخائيل مكس، كنيسة البنتابولس، مطبعة السلام، 1987م، (بتصرف) ص106.، داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص28.

(7) داود حلاق، المرجع نفسه، ص30.

(8) الأب متى، مرجع سابق، ص23.

(9) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص50.

كانت عائلة مرقس من مدينة كيريني مقاطعة من مقاطعات المدن الخمس، وهي في إقليم برقة بليبيا، وكانت هذه المقاطعات تحت سيطرة الحكم الروماني، نزحت عائلة مرقس مبكراً مع جالية كبيرة من يهود كيريني، واتجهت إلى فلسطين في العقد الثاني من القرن الأول الميلادي، كانت أمه تدعى مريم، دخلت المسيحية عن طريق بطرس، وصحبه مرقس بولس، وخاله برنابا[*] في رحلتهم إلى أنطاكيا[1] .

كان مرقس المبشر الأول بالمسيحية في كلٍ من مصر، وبرقة، ويقول المؤرخ البيزنطي: "كاليتوس نيقوقوس Callisto Nicefore"[2] بأنه وجُد في برقة حوالي سنة40 للميلاد، فقد رجع مرقس إلى الإقليم بعد هجرته وأسرته إلى فلسطين فارين من مطاردة السلطات الرومانية لهم[3] ، وبقى فيها واحداً وعشرين سنة[4] ، حيث بدأ أول ظهور للمسيحية في منطقة برقة بحسب الآثار المكتشفة[5] ، وحُددت الفترة التي ظهرت فيها المسيحية بالقرن الأول الميلادي، ويشار إلى أن مرقس القوريني أنشأ أول كنيسة بدائية بالمنطقة سنة50م[6] ، وهي ما تعرف بكهوف مرقس[7] ، وعيَّن عليها أسقفاً وهو لوقيوس القوريني"[8] .

(*) برنابا: هو رسول قبرصي، زميل بولس ومرقس في أثناء رحلتهما، ويقال أنه استشهد في قبرص. محمد الإسكندراني، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص134.

(1) الأب متى، الإنجيل بحسب القديس مرقس، ص ص25-27.

(2) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص25.

(3) سعيد محمد غريدة، مرجع سابق، ص354.، محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص26.

(4) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص26.

(5) المرجع نفسه، ص30.

(6) صفاء جنحاني ـ وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص87.

(7) محمد النعاس، المسيحيون في ليبيا، مجلة تراث الشعب، العدد(6)، 2019، ص23.

(8) صفاء جنحاني ـ وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص87.

وكتب مرقس أحد الأناجيل الأربعة[*] القانونية[1]، ويشكل إنجيله المصدر بالرغم من إيجازه، فقد دونه بعيداً عن مواقع الاضطهاد في موطنه ليبيا، وعاش وكتب عمله الأول في ربوع الجبل الأخضر[2] ، والإنجيل[**] عبارة عن تسجيلات متتابعة عن رؤية، القليل منها نقلاً مشافهاً عن بطرس الرسول أو المخطوطات الأقدم، وقد ظهر إنجيل مرقس بعد اثنتي عشرة سنة من حادثة الصلب، وهو مطابق سنة45م، يطابق دخول مرقس إلى الإسكندرية للبشارة بأعمال الإنجيل[3] ، ويتحدث (فيكتوريتوس[***] تينورنيوس) عن الشاوريم ذوي الأوجه الأربعة النسر والأسد والعجل والإنسان، وهي رموز الأناجيل الأربعة، أعطى القديس مرقس الأسد، فما من صورة للقديس مرقس إلا ويُرْسم الأسد تحت قدميه وهو يكتب إنجيله[4] ، ووجد بقية لرأس هشم في مقر مرقس، وهذا يؤكد الطابع المسيحي لمقره، وخاصة أن الأسد شعار وعلامة مرقس الإنجيلي[5] ، والبعض يعتبر إنجيل مرقس من أقدم الأناجيل، كتب حوالي 60م[6] ، من خلال هذه الفترات الزمنية التي كتب فيها إنجيل مرقس من المحتمل أن يكون قد كتب في ما بين 45م- 60م.

(*) الأناجيل القانونية هي إنجيل: متى، لوقا، مرقس، يوحنا. أسعد السكاف، موسوعة الأديان، ص108.، محمد النعاس، ص23.

(1) محمد النعاس، مرجع سابق، ص23.

(2) خليفة بن ناصر، الدوناتية من مظاهر المقاومة للسيطرة الرومانية في الشمال الأفريقي، مجلة البحوث التاريخية، جامعة التحدي، العدد الأول، 1993م، ص296.

(**) كلمة إنجيل أصلها يوناني، وتعني: الخبر السار أو البشارة السارة، التي تحمل معاني الانتصار، والبشرى السارة أصبحت ولادة المسيح نفسه ومجيئه إلى العالم ... جان بول أبو غزالة، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص137.، والإنجيل كتاب مقدس، يتضمن سيرة المسيح على الأرض، وله قدسيه لما يحمله من أقوال المسيح ومواعظه، واستقى الإنجيليون الأربعة مادتهم مما سمعوه وعاينوه، ثم بالنقل عن من شهد وسمع، والأناجيل الأربعة الموثوق بها، والتي تعتمدها الكنيسة هي التي وضعها كل من: متى، مرقس، لوقا، يوحنا، والتي اتخذتها الكنيسة دستوراً تسير على هديه. وهناك فريق من النقاد يؤكدون أن مادة الأناجيل تنوقلت أول الأمر شفاهةً، ثم أخذها الإنجيليون ودونوها، ومرقس أول المدونين. أسعد السكاف، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص ص107-108.

(3) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص90.

(***) فيكتوريوس هو أول شارح الإنجيل الكنيسة الكاثوليكية. الأب متى، مرجع سابق، ص23.

(4) المرجع نفسه، ص ص23-24.

(5) داود حلاق، أوشاز الأسلاف دراسة موجزة عن الكهوف المعلقة بالجبل الأخضر، الجماهيرية العظمى، ط1، 1989م، ص359.

(6) صفاء جنحاني - وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص47.

ثم غادر إلى مصر سنة61 للميلاد، واستقر في الإسكندرية[1] ، وكان أول من دعا إلى المسيحية في الإسكندرية[2] ، وأسس هناك عدة أبرشيات[*] ، وكنائس، وأشرف على بناء ثلاث منها، وبقى سنتين مشرفاً على كنيسة الإسكندرية[3] ، ويقول الأقباط: إنه أول من أسس كنيسة بوليس الأرثوذكسية، وأول بابا لها في مصر، وعن طريق عمليات التبشير تغلغلت المسيحية داخلها، وقام مرقس بعمليات التبشير في أفريقيا عموماً، والمغرب الأقصى القديم خصوصاً، وساعد على ذلك انضمام كل من بولس وبرنابا للتبشير في هذه المنطقة[4] ، وكانت المدن الخمس أيام مرقس داخل حدود مصر الشمالية الغربية، وجميعها تحت الحكم الروماني[5] ، وبقى مرقس متنقلاً بين مصر وبرقة حتى وفاته بالإسكندرية في 25 إبريل سنة61م[6] .

يرجع أصل الكنيسة[**] في المنطقة إلى الحواريين، حيث يقول ابن خلدون مستنداً إلى مؤرخي المسيحية: " ... إن أغلب علماء النصارى يرون بأن الذي بُعِثَ من الحواريين إلى أرض أفريقيا هو فيليب (فيلب) ...، وإلى أرض برقة والبربر شمعون القناني (سمعان القناني)"[7] .

ولم تلقَ المسيحية أي صعوبة في الوصول والتغلغل وسط إقليم المدن الخمس؛ إذ سرعان ما تقبلها أهل المنطقة واعتنقوها، ووجدوا فيها أساس العدالة المساواة[8] .

---

(1) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص26.

(2) صفاء جنحاني - وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص88.

(*) الأبرشية: منطقة من البلاد تخضع لسلطة أسقف. وتعتبر أصغر وحدة في النظام الكنسي، وجزء من أجزاء المركز، يرأسه الأسقف الخاص بالأبرشية، مسؤول عنها المطران. شبكة المعلومات الدولية على الرابط: https://ar.wikipedia.org›wiki›

(3) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص26.

(4) صفاء جنحاني - وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص ص102-103.

(5) الأب متى، مرجع سابق، ص25.

(6) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص26.

(**) الكنيسة: ترجمة عربية لكمة عبرية تعني الدعوة إلى الانعقاد، وهي بناء قداسة روحية، وهي المؤسسة التي تجمع المؤمنين، بمعنى جماعة المؤمنين في منطقة جغرافية محددة. بولس وهبة، موسوعة الأديان الميسرة، ص418.

(7) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: حامد أحمد طاهر، القاهرة، دار الفجر للتراث، 2004م، 294/2.

(8) عبد الحميد عمران، حركة التنصير الديني في شمال إفريقيا خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، العددان115-116، 2011م، ص140.، صفاء جنحاني - وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص87.

بدأت المسيحية في شرق ليبيا (برقة) في وقت مبكر في القرن الأول الميلادي في فترة الدعوة التي يرجعها المؤرخون إلى عهد المسيح عليه السلام[1] ، وينقل بازامة عن المؤرخ البيزنطي (كوربيوس) أن سكان واحة أوجلة اعتنقوا الديانة المسيحية، وبأن أوجلة توجد بها كنيسة[2] ، وقد اختلف الأمر في غرب ليبيا (طرابلس)[3] حيث دخلتها المسيحية في أواخر القرن الأول أو أوائل القرن الثاني الميلادي، وأنشئت أول كنيسة أسقفية للمسيحية بمنطقة "لبتس مانيا" (لبدة)، ولهذا كانت أول مدينة في طرابلس تنشأ بها كنيسة[4] ، هذا إلى جانب وجود قبيلة ليبية مجاورة لمدينة لبدة تدعى (غادا بيناتي) اعتنقت المسيحية، بالإضافة إلى سكان غدامس الذين دخلوا المسيحية على يد الإمبراطور جستنيان، بالإضافة إلى (جرمة وصبراتة) التي اعتبرت إحدى مراكز الدعوة المسيحية[5] .

تمركزت المسيحية في الشمال الأفريقي في المدن الساحلية، وقلّ انتشارها من الشمال إلى الجنوب كلما ابتعدنا عن البحر[6] ، وكان وجودها في برقة حول الساحل في أحد المرافئ الغربية من قورينا في سوسة[7] ، ووصلت المسيحية إلى طرابلس، غير أنها لم تتعد السواحل[8] ، وكان انتشارها أقل في المناطق الحدودية، حيث السكان "الأمازيغ التوارق" أكثر تمسكاً بالديانة الليبية الشهيرة (تانيت)[*] ، في حين اعتنق سكان الساحل من الرومان واليهود وبعض الأمازيغ الدين الجديد[9] ، وتحدث "ترترليانوس" أحد الكتاب المسيحين عن "عدد كبير من الناس في صفوف قبائل الأمازيغية شكلت الأغلبية الحاضرة في الكنائس المسيحية في الشمال الإفريقي"[10] .

---

(1) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص27.

(2) محمد عيسى، معالم من الآثار المسيحية في ليبيا منذ بداية القرن الرابع، منتصف السادس الميلادي، مجلة تراث الشعب تصدر عن وزارة الثقافة، العدد(16)، 1993م، ص20.

(3) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص27.

(4) المرجع نفسه، ص32.، صفاء جنحاني - وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص88.

(5) محمد عيسى، مرجع سابق، ص20.

(6) صفاء جنحاني - وفارس حماني، مرجع سابق، ص92.

(7) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص27.

(8) طارق أحمد، مدخل لدراسة المسيحية في أفريقيا، مركز البحوث، الدراسات الإفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، قسم الأديان، 2003م، ص47.

(*) (تينيت، تانايت، تانيث، تنت، أو تانيس) هى إله أُنثى مبجلة عند سكان شمال أفريقيا قديماً، اشتهرت بعبادتها لدى القرطاجيين، وتعتبر حامية مدينة قرطاج ...، وتعتبر تانيت رمزاً للأمومة والخصب والنماء وازدهار الحياة ...، وقدّر زمنها بمائتى سنة قبل دمار قرطاج، وقد احتلت تانيت منذ القرن الخامس قبل الميلاد المرتبة الأولى في النصوص القرطاجية. https://ar.wikipedia.org›wiki›

(9) محمد النعاس، مرجع سابق، ص23.

(10) روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا، تامغناست، (د.ط)، (د.ت)، ص ص28-70.

إذن وجدت المسيحية في بلاد البربر استعداداً طيباً[1] ، وانتشرت بين الطبقة المثقفة ثقافة لاتينية ويونانية؛ لأن الكتاب المقدس لم يترجم إلى اللغة المحلية فبقى يُتداول في طرابلس وبرقة باللاتينية واليونانية[2] ، وكان أناس من كوريني (قورينا) ممن آمنوا بالمسيح لم يكتفوا بصيرورتهم المسيحية، بل انطلقوا للتبشير بها[3] .

ويُذْكر "أن عدداً من الليبيين كانوا من ضمن الحضور في عيد الفصح[*] في القدس يوم الخميس"[4] ، وقالوا كنا نلتقي سمعان الذي قدم من قورينا[5] ، وكان الحضور في ذلك اليوم حوالى ثلاثة آلاف، من بينهم ليبيون تم تعميدهم ذلك اليوم قبل العودة إلى ليبيا؛ ليكونوا مبشرين بالدين المسيحي[6] ، وقفوا مع الحشد الذي كان يستمع إلى بطرس الرسول، وهو يبشر الناس ببشارة الخلاص الأول[7] ، ومن الرؤوس التي تنصرت هناك لوقيوس قوريني، وسمعان القيروان[**] (القوريني) الذي حمل الصليب عن المسيح، هؤلاء رجعوا وبشروا إقليم الخمس مدن مع مرقس[8] .

---

(1) طارق أحمد، مرجع سابق، ص47.

(2) صفاء جنحاني - وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص88.

(3) روبين دانيال، مرجع سابق، ص62.

(*) الفصح: كان الفصح يحتفل به كل سنة في أثناء أحد الأعياد الطقسية الكبرى، التي يفرض على اليهود أن يحجوا فيها إلى أورشليم، وكان الاحتفال يتضمن عشاءً يأكلون في أثنائه الحمل الفصح، وهو حمل عمره سنة واحدة، وكان العيد يشير إلى العبور من أرض العبودية (مصر) إلى الحرية، وهو الانتقال من الموت إلى الحياة. بولس وهبة، الموسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص395.

(4) روبين دانيال، مرجع سابق، ص61.، الأب متى، مرجع سابق، ص25.

(5) روبين دانيال، المرجع نفسه، ص61.

(6) سعيد محمد غريدة، مرجع سابق، ص353.، روبين دانيال، مرجع سابق، ص61.

(7) روبين دانيال، المرجع نفسه، ص61.، داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص62.

(**) القيروان: هنا المقصود بها القوريني، لأن مدينة القيروان تم بناءها في الفتح الإسلامي على يد عقبة بن نافع في تونس. داود حلاق، المرقس الإنجيلي، ص86.

(8) الأب متى، مرجع سابق، ص25.

المنافذ التي تسربت من خلالها المسيحية إلى ليبيا:

يروي المؤرخ (Mohceaux)[1] بأن المسيحية جاءت إلى الشمال الأفريقي[2] وبلاد المغرب عبر الشرق[3] ، كما وصلت إلى قرطاجة عبر روما، التي تربطها علاقات تجارية مع الشرق[4] ، وهناك إشارات تاريخية لدخول المسيحية إلى ليبيا في القرن الأول الميلادي وبداية القرن الثاني الميلادي، لا سيما المدن الخمس، وخصوصاً قورينا التي دخلتها المسيحية لقربها من مصر والشرق ولوجود الجالية اليهودية بها[5] ، وانتشرت أيضاً عن طريق الرسل والمبشرين الذين زاروا المنطقة وبنوا كنائسهم فيها[6] ، ومن هؤلاء الرسل مرقس[7] الذي سبق ذكره.

إن وجود العناصر اليهودية في منطقة (البنتابولس)، وكذلك مصر، وارتباط هؤلاء من اليهود حيث كانوا بفلسطين في العهد الروماني، ودفع ضريبة الهيكل الذي كان عليهم أداؤها، أوجدت صلات أكبر بين هذين الإقليمين وأرض فلسطين في التجارة والاحتكاك الحضاري أدى إلى وجود القورينيين بوفرة ملحوظة في أرض فلسطين[8] ، وأصبحت برقة معروفة بنشاطها التجاري، وبدأت تستقطب العديد من التجار اليهود الذين احتكوا بالسكان المحليين وبعض سكان حوض البحر المتوسط الذين قدموا إلى قورينا، وكان لهذه الحركة الدور الكبير في نقل المسيحية إلى بلاد المغرب[9] .

ويؤيد المؤرخ (بيترو Pietro) أن اليهود أول من نقل المسيحية إلى برقة، هؤلاء اليهود الذين وفدوا إليها منذ عهد الإسكندر المقدوني بعد القرن الرابع ق.م[10] ، وكذلك اليونان "البربر" كانوا من المسيحية الذين جاءوا بها من أورشليم إلى ديارهم ومواطنهم، وبشروا بها في مجتمع برقة آنذاك، بينما لم يحدث ذلك في طرابلس، إلا في زمن متأخر؛ لعدم توفر من يبشر بها هناك بين السكان[11] .

---

(1) سعيد محمد غريدة، مرجع سابق، ص351.
(2) صفاء جنحاني ـ فارس حمايتي، مرجع سابق، ص63.
(3) سعيد محمد غريدة، مرجع سابق، ص351.
(4) روبين دانيال، مرجع سابق، ص97.، صفاء جنحاني ـ فارس حمايتي، مرجع سابق، ص64.
(5) محمد النعاس، مرجع سابق، ص22.
(6) عبد الرؤوف أحمد عرسات، الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الإسلام، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم والتربية الإنسانية، العراق، جامعة بابل، العدد(30)، 2016م، ص39.
(7) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص21.، صفاء جنحاني ـ فارس حمايتي، مرجع سابق، ص65.
(8) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص28.
(9) صفاء جنحاني ـ وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص62.
(10) سعيد محمد غريدة، مرجع سابق، ص353.
(11) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص29.

شخصيات ليبية مسيحية:

وجدت شخصيات ليبية مسيحية كان لها الدور الكبير في نشر المسيحية داخل ليبيا وخارجها، من هؤلاء المشاهير البابا فيكتور الأول، أغسطينوس، والأب ماتوي، وعاخوس، وعوام بن عوام الناسك النصراني[1] ، والقديس مرقس[2] (سبق الحديث عنه).

وشخصية سمعان القوريني، الذي حمل الصليب عن المسيح، حيث كان يلتقي الناس هو وابنيه الأكسندروس وروفس ويبشرون الناس بالدين المسيحي، وهو من الأوائل الذين نقلوا المسيحية إلى برقة، وأصبح ولداه معروفين بين الأصحاب الذين علمهم وكتب لهم مرقس الإنجيلي[3] .

ومن كبار شهداء المسيحين الأوائل في منطقة سيرين "شحات" "مقارنوس" الذي ينسب إليه دير[*] مقارنوس شرق قورينا شمال بلدة الأبرق حوالي 2كم، الذي شيده والتجأ إليه، ثم لجاء إلى الإسكندرية هرباً من ظلم الرومان، ولقى حتفه، وألقي في النار حياً على أيديهم عام 250م[4].

وكذلك "أموناس"، يقول جودتشاليد في كتابه (قورينا وأبولونيا): إن أول أسقف قوريني سجله التاريخ كان يدعى "أموناس" من مواطني برنيق (بنغازي) عام260م[5] ، وينسب إليه كهف بومناس بالجبل الأخضر[6] ، فقد عثر على معقل صخري في وادي (استوي) غرب رأس الهلال بالجبل الأخضر خلال استكشاف الأوشاز[**] عام 1985-1987م، واسم الكهف مرتبط باسم أموناس (كهف بومناس)[7] .

---

(1) محمد عيسى، مرجع سابق، ص29.

(2) محمد النعاس، مرجع سابق، ص23.

(3) سعيد غريده، مرجع سابق، ص353.

(*) الدير: مكان يقيم فيه الرهبان والمنقطعون للعبادة ... . أسعد السكاف، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص252.

(4) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص ص209-211.

(5) جود تشايلد، قورينا وأبولونيا، طرابلس، منشورات قسم البحوث الأثرية، 1970م، ص43.، داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص68.

(6) محمد النعاس، مرجع سابق، ص23.

(**) الأوشاز: هي مقرات صعبة المنال، وتمثل ملاذات اضطرارية ترتفع جميعها عن سطح الأرض، وهي عبارة عن تجويف طبيعي في الانحدارات الصخرية. داود حلاق، أوشاز الأسلاف، ص102.

(7) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص68.

أما سينيوس القوريني رُشح لمهام الكنيسة في المدن الخمس وتقلد مهام الأسقفية[1] ، كذلك وجدوا أساقفة من Chira (توكرة)، وطلميثة (تيوليمياس)، وبرقة (BARKE)[2] .

ظهر مجمع كنيسي في قرطاجة 216-220ميلادي؛ لمناقشة أمور الدين يضم 171أسقفاً، منهم أساقفة من (صبراتة وأويا (طرابلس) ولبدة)، وكان أسقف صبراتة في ذلك الوقت يدعى (بوميبوس)[3] .

وفي عام285م عقد مؤتمر في قرطاجة حضره 185أسقفاً من المغرب، وذكر منهم أساقفة من صبراتة وأويا ولبتس مانيا (لبدة)، وهذا يعني أن هذه العقيدة قد اكتسبت أتباعاً في طول البلاد وعرضها، خلال النصف الأول من القرن الثالث الميلادي[4] .

ولدت مذاهب مسيحية تنسب إلى شخصيات ليبية، منها المذهب الآريوسي نسبة إلى (آريوس) الذي يعود أصله إلى طلميثة، ويعُد مذهبه[*] أحد المذاهب المحرمة في المسيحية[5] ، والقس[**] أريوس ليبي المولد والنشأة، ويقال لأتباعه الأراسة، واتباع هذه الطائفة لا تعترف بألوهية

---

(1) فضل علي محمد، قورينا (أبيض وأسود)، دار الصالح، 2016م، ص42.

(2) سعيد محمد غريدة، مرجع سابق، ص356.

(3) محمد النعاس، مرجع سابق، ص23.، عبد الحميد عمران، مرجع سابق، ص231.، صفاء جنحاني - وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص86.

(4) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص ص32-33.

(*) المذهب الأريوسي: نسبة إلى أريوس Aries يعرفه بعض المؤرخين أنه أمازيغي، مولود في مدينة قورينا، عاصر الإمبراطور قسطنطين الأكبر (306-333م)، عاش في مصر، وفيها حاول مقاومة فكرة ألوهية المسيح، وتوحيد الله وتنزيهه، فهذا المذهب يقوم على إنكار عقيدة التثليث. عبداللطيف البرغوثي، التاريخ الليبي القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، بيروت، دار صادر، 1991م، ص69.، أسعد السحمراني، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص14.

(5) محمد النعاس، مرجع سابق، ص23.

(**) القس: هو كاهن الكنيسة والأب الروحي لشعب المؤمنين، ووجوده هو تطبيق لسر (الكهنوت)، وهو أحد أسرار الكنيسة السبعة (المعترف بها لدى الطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية)، تتركز مهامه في: إقامة الصلوات والطقوس الدينية، التعميد، والتعليم، والوعظ، والإرشاد ‹ wiki ‹ https://ar.wikipedia.org

المسيح، وتقول إن المسيح عبد الله[1] ، وأريوس أحد الليبيين الذين اعتنقوا المسيحية وبشروا بها، كان لمذهبه الدور الخطير في العقيدة المسيحية، ولقد انبثقت الأريوسية من برقة، وانتشرت في الشرق، وامتدت إلى أوروبا، وعرفتها طرابلس والمغرب عن طريق الوندال[2] .

إذن تؤكد هذه الآراء حول المذهب الأريوسي أن صاحبه رجل ليبي اعتنق المسيحية وأن هذا المذهب انتشر في ليبيا ومصر ودخل الشام وأوروبا.

والمذهب السابلياني الذي ينسب إلى "سابليونس" المولود في طلميثة[3] أحد قساوسة كنيسة طلميثة، وقد بنى مذهبه على أن الأب والابن الروح القدس ليسوا ذواتاً بل كل منها قائم بذاته كما في المذهب الكاثوليكي[4] ، إضافةً إلى ما سبق وجدت مذاهب الدوناتية[*] ، والنسطورية[**] واليعقوبية[5] ، والمذهب اليعقوبي[***] هو الذي يغلب على الكنائس والأديرة في ليبيا قبيل الفتح الإسلامي[6] .

---

(1) صفاء جنحاني ـ وفارس حمايتي، مرجع سابق، ص119.

(2) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص38.

(3) محمد النعاس، مرجع سابق، ص23.

(4) محمد مصطفى بازامة، المسيحية في ليبيا، ص31.

(*) الدوناتية: هي حركة دينية مسيحية ظهرت في مقاطعة أفريكا الرومانيّة، وازدهرت في القرنين الرابع والخامس، ودعي المذهب باسم المذهب الدوناتي نسبةً إلى صاحبه دونات الكبير. انتشرت الحركة بين المسيحيين الأمازيغ في الجزائر والمغرب وتونس الحاليّة. دوناتية ‹ wiki ‹ https://ar.wikipedia.org

(**) النسطورية: هم أتباع نسطور بطريك القسطنطينية، الخارج عن العقيدة المسيحية الصحيحة، كان الراهب نسطور يشدد في مفهومه عن المسيح أنه الإنسان الإله، ويقول نسطور: إن في المسيح شخصية الشخص الإلهي، والشخص الإنساني. هنري كريمونا، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص475.

(5) سعيد محمد غريدة، مرجع سابق، ص359.

(***) اليعقوبية: ظهرت فرقة اليعقوبية في منتصف القرن الخامس الميلادي (553م)، وتنسب إلى يعقوب البرادعي راهب القسطنطينية، ويرى أتباع هذه الفرقة أن المسيح هو الله، والسيدة مريم ولدت المسيح. صفاء جنحاني، مرجع سابق، ص58. اليعقوبية هي عبارة عن حركة دينية لتعاليم كهنوتية انبعثت عن الفاتيكان التي تدعو إلى استقلال الكنيسة إدارياً عن سيطرة البابا، وقد نشأت هذه الحركة الدينية في فرنسا خلال حكم شارلمان، ازدهرت في القرن الرابع عشر الميلادي. ينظر: فرانشيسكو روفيري، عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، التاريخ الكرنولوجي لبرقة (1551-1911م)، ترجمة وتقديم: إبراهيم أحمد المهدوي، مراجعة: شمس الدين عرابي بن عمران، دار ترنت، ط1، 2014م، ص138.، واليعقوبية (اليعاقبة) نسبة إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهم الجماعات المسيحية التي اعتنقت العقيدة المونوفيزية المنادية بالطبيعة الواحدة في المسيح. هنري كريمونا، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص503.

(6) إحسان عباس، ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع عشر هجري، بيروت، دار صادر، ط1، 1967م، ص14.

لقد ارتبطت المسيحية في برقة منذ البداية بكنيسة الإسكندرية، وعاشت معها الصراع في الشرق المسيحي، كما عاشت ليبيا عامة وإقليم برقة بشكل خاص الصراع الديني بين الكنائس المسيحية حول المعتقدات والمذاهب[1] ، ولقد تعرضت الكنائس الليبية للهدم والحرق، وحرق الكتاب المقدس، وقتل أعداد كبيرة من الليبيين؛ بسبب الاضطهادات الرومانية لشعب البنطابلس[*][2].

معالم مسيحية في ليبيا:

منذ بداية القرن الأول الميلادي، وجدت أوشاز معلقة منحوتة، وهي الكنائس المعلقة التي أنشئت في فترة اضطهاد المسيحين، ولقد أطلق الرحالة الأخوان بيتشي 1821م، على الأوشاز بأنها (مقرات جوية AELAL-ADES)[3] ، ويمكن تحديد أول هذه الأوشاز وشز أعده مرقس ويقع في الوادي الشهير الذي يحمل اسمه (وادي مرقس)، وهو من أهم أوشاز منطقة البنطابلس، وهو مكان خاص بالعبادة المسيحية أطلق عليه (صرح مرقس الديني)، ويقع قرب ساحل البحر بين بلدة الأثرون وثغر رأس الهلال بالجبل الأخضر[4] ، وتوجد به عين أم الناموس، وهي نبع مرقس، وتُعد مكاناً خاصاً بالعبادة، وتقع في الطرف الغربي من وادي مرقس بحوالي كيلو متر واحد، وفي عام1990م زار المطران[**] (ياخوميوس)[***] الموقع، وأكد من الناحية الدينية المسيحية، وأن المقر هو معمودية[*] قديمة تعتمد على الماء من حيث إجراءات التعميد والطهارة، وأكد على أن مرقس أتى إلى هذا المكان قبل مجيئه إلى الإسكندرية[5] .

---

(1) سعيد محمد غريدة، مرجع سابق، ص358.

(*) البنطابلس: الاسم العربي، ثم عرف هذا الإقليم في عهد العرب بإقليم برقة، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم ضمن أقسام بلاد طرابلس الغرب. وتعرف باسم المدن الخمس الليبية في الشق الشرقي في ليبيا، وقد أنشأها الإغريق فيما بين القرن السابع والقرن الخامس قبل الميلاد، وهي: قورينا، برنيق، برقة، توكرة، أبولونيا. الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، طرابلس، مكتبة النور، ط1، 1968م، ص57.، داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص ص15-16.

(2) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص77.

(3) داود حلاق، أوشاز الأسلاف، ص ص102، 166.

(4) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص67.، محمد الصغير بوصبيع، المخلفات المعمارية المسيحية المبكرة في ليبيا، مجلة قاريونس العلمية، السنة الثالثة عشر، العددان1-2، 2000م، ص75.

(**) وردت كلمة مطران في المصادر العربية أنه رئيس المدينة والقاضي الذي يفصل الخصومات بين المسيحيين، وهو يرأس كنيسة مدينة كبيرة أو عدة مدن صغرى أو دولة إذا كان عدد الرعيّة قليل، وتُسمَّى الرقعة الجغرافية التي يرعاها أبرشية، وسابقاً كان يُرسم أساقفة للبلدات الصغيرة، يتبعون لأسقف المدينة الكبيرة (المطران)، أمَّا في العصر الحديث فجميع الأساقفة تقريباً يحملون لقب مطران، باستثناء الكاهن الأرمل في بعض الكنائس الذي يُمكن أن يصبح أسقفاً في حالات قليلة، لكن لا يحق له أن يصبح مفريان أو بطريرك لأنه غير بتول. انظر شبكة المعلومات الدولية على الموقع الإلكتروني: https://ar.wikipedia.org›wiki

(***) المعمودية: هي التي يخضع لها المرء لكي يصير مسيحياً بواسطة معموديته بالماء، وتقوم الكنيسة الكاثوليكية بتعميد الأطفال مع وجود عرّابين لهم يكفلون تنشئتهم الكنسية والروحية. بولس وهبة، موسوعة الأديان الميسرة، ص457.

(5) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص ص150-157.

إضافةً إلى صرح مرقس الديني توجد العديد من الأوشاز الأخرى، ومنها وشز طباق بوخربة في وادي الحلاية[1] ، وشز ارحيم غرب رأس الهلال، و"بومناس" وادي استوي، وكهف العجوز شمال زاوية العرقوب، ووشز مراز، ووادي كعب شرق المرج، ووشز أم النعم بوادي درنة، وفي عام1988م، تمَّ اكتشاف مقر ديني مسيحي معلق بارتفاع 15متراً، يقع في بقعة صخرية مخفية، يحدد ماهيته بنفسه من خلال النحت الواضح على الصخر على هيأة صليب قديم، يعود إلى فترة المسيحين الأوائل، يبعد حوالي كيلو متر واحد شرق وادي مرقس، يسمى "وادي الإنجيل"[2].

ومن ضمن الرموز المسيحية التي رسمت تاريخ المسيحية هي الكاناكومبس، أو ما يدعى بالديامبس، جمع داموس، وهي: معابر وممرات سرية في الأرض بنيت لتكون مخابئ وكنائس سرية أو مقابر استخدمت في عهد الاضطهاد الروماني للمسيحيين، يذكر منها: ديامبس سوسة، وصبراتة، وقرقارش وتاجوراء، والتي تم الكشف عنها عن طريق الحفريات في بداية القرن العشرين[3] .

هذه الاكتشافات لها أهميتها الخاصة، والتي تتعلق بجوهر المسيحية من الناحية الدينية والتاريخية، ولا سيما فكرة اختيار المكان الملائم لأداء الشعائر الخاصة بالدين المسيحي، حتى برزت الكنيسة بصفتها بناءً دينياً رسمياً ذا صفات معمارية خاصة، ولا سيما أن المسيحيين الأوائل بهذا الإقليم استغلوا مثل هذه المقرات في فترة الاضطهاد[4] ، وزاد انتشار المسيحية في شمال إفريقيا عندما اعتبرت الديانة الرسمية، واتخذ الرومان كافة الأساليب ضد أتباع مرقس، واضطهدوا المسيحيين غير الكاثوليك خلال القرن الرابع وحتى منتصف القرن الخامس الميلادي[5] .

---

(1) داود حلاق، مرقس الإنجيلي، ص69.

(2) داود حلاق، أوشاز الأسلاف، ص ص361، 36.

(3) محمد النعاس، مرجع سابق، ص24.

(4) داود الحلاق، أوشاز الأسلاف، ص359.

(5) داود الحلاق، مرقس الإنجيلي، ص119.

الفصل الأول

الموقع الجغرافي لولاية طرابلس الغرب وأهميته في محاولات التنصير الأوروبي

المبحث الأول: الموقع الجغرافي لولاية طرابلس الغرب.

المبحث الثاني: مفهوم التنصير.

المبحث الثالث: أهداف التنصير.

المبحث الأول

الموقع الجغرافي لولاية طرابلس الغرب

تحتل ولاية طرابلس الغرب الجزء الأوسط من ساحل البحر المتوسط، أو ما يسمى الساحل المتوسط الإفريقي[1] ، وتطل على ساحل البحر المتوسط بجبهة بحرية يصل في طولها إلى 1900كم على السواحل الجنوبية لحوض البحر المتوسط، ولا يفصلها عن سواحل أوروبا إلا هذا البحر[2] ، وتمتد ولاية طرابلس[3] من شواطئ البحر المتوسط شمالاً إلى حدود النيجر وتشاد جنوباً[4] ، ومن حدود مصر والسودان شرقاً حتى تونس والجزائر غرباً، وتشغل مساحة قدرها (1.709.540)كم مربعاً في شمال القارة الأفريقية[5] ، في حين لا يفصلها عن جاراتها العربيات سوى حدود برية تصل أطوالها إلى حوالي 4600كم[6] .

أما من الناحية الفلكية فهي تغطي رقعة أرضية من اليابسة تمتد بين خطي طول 9 و25 درجة شرقاً[7] ، ودائرتي عرض 18 و33 درجة شمالاً[8] ، وقد ذكر هيرودتس في كتابه الثاني "أن الإغريق قسموا العالم إلى ثلاث قارات هي: أوروبا، آسيا، ليبيا[*] ، حيث يبدأ النيل من حيث تنتهي

---

(1) محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط2، 1970م، ص6.

(2) عبد العزيز طريح، جغرافية ليبيا، الإسكندرية، دار المعارف، ط2، 1971م، ص10.

(3) مجموعة من الأساتذة والباحثين، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، دار الكتاب الوطني، ط1، 2008م، ص9.

(4) ابتسام عبدالسلام الديباني، الموانئ الليبية القديمة ودورها الاقتصادي في الفترات الفينيقية والإغريقية والرومانية، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، 2014م، ص19.

(5) عبد العزيز طريح، مرجع سابق، ص9.

(6) يسري الجوهري، جغرافية المغرب العربي، منشأة المعارف، 1981م، ص268.

(7) محمد المبروك المهدوي، مرجع سابق، ص6.

(8) عبد العزيز طريح، مرجع سابق، ص9.

(*) أطلق الإغريق على أفريقيا Africa (الاسم) ليبيا Libya، وعلى البحر الذي أمامها البحر الليبي Libycum ... الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي (وصف أفريقيا ومصر وغرب آسيا)، نقله عن اللاتينية: محمد المبروك الدويب، ليبيا، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم، ط2، 2019م، ص15.

مصر، وتبدأ ليبيا امتداداً حتى رأس سولوجيوس"(*)[1] ، وفي الكتاب الرابع يقسم هيردوتس ليبيا إلى قسمين شرقي وغربي، يبدأ الشرق من ميناء بلوتوس وحتى بحيرة ترينون(**) [2] ، وقد كان للموقع الجغرافي لهذه البلاد دور خطير في حياتها السياسية والبشرية، إذ كانت على اتصال دائم بدول الشرق الأوسط وغرب إفريقيا[3] .

وقد أسهم موقع ليبيا بين منطقتين مهمتين ـ هما: المغرب العربي في الغرب، ووادي النيل في الشرق، وكذلك بين أوروبا وجنوب الصحراء، حيث تمثل الأولى سوقاً استهلاكياً، وتُعد الثانية دولاً منتجة للمواد الخام[4] ـ في جعل ليبيا قاعدة مهمة بالنسبة لأوروبا في فترات تاريخية متعددة[5]، وتأثرت بالحضارات المجاورة، مما أدى إلى وجود علاقات حضارية مع الحضارات القديمة سواء الفرعونية أو الفينيقية أو الإغريقية أو الرومانية[6] .

ولعل أهمية هذا الموقع هي التي دفعت الرحالة الألماني الشهير (ج. رولفس G. Rohlfs) إلى القول: "إن من يريد أن يكون حاكماً على السودان (النيجر- تشاد) يجب أن يستولي على

(*) سولوجيوس: أحد الرؤوس البحرية الواقعة بالقرب من مدينة تنجي Tingi (طنجة)، وتعني تسمية سولوجوس باللغة الفنيقية مرسى الصخور، وهذا حد ليبيا من ناحية الغرب، ويعرف اليوم براس سبارتل Capspartal. هيرودوت، الكتاب الثاني، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجع: أحمد السقاف، وأحمد بن صراي، الإمارات، المجمع الثقافي، 2001م، ص146-147، الفقرة32.، وأضاف هيرودوت: أن ساحل ليبيا يمتد على البحر المتوسط، من مصر حتى رأس سولوجيوس Solojous، حيث تنتهي القارة الإفريقية، ص9.

(1) هيرودوت، الكتاب الثاني، فقرة 17-16، ص23. تجدر الإشارة أيضاً إلى أن هيرودوتس قد ذكر في القرن الرابع قبل الميلاد أن ليبيا هي كذلك القارة الإفريقية بأسرها، ووضع خارطة لهذه القارة أسماها ليبيا، وعرف سكانها باسم الليبيين، ... . هيرودوتس، الكتاب الرابع، فقرة 186-187.

(**) تريتون: اسمها الحالي سبخة السلماني، بمدينة يوسبدريدس بنغازي. ابتسام عبدالسلام الديباني، مرجع سابق، ص19.

(2) هيرودوت، الكتاب الرابع ـ السكيثي ـ الكتاب الليبي، نقله: محمد المبروك الدويب، بنغازي، جامعة قاريونس، ط1، 2003م، ص186.

(3) يسري الجوهر، مرجع سابق، ص28.

(4) عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001م، ص21.

(5) يسري الجوهري، مرجع سابق، ص268.

(6) عبد العزيز طريح، مرجع سابق، ص19.

طرابلس"[1] ، وكان رولفس محقاً في قوله؛ لأن طرابلس هي أقرب مكان تلتقي فيه الصحراء الكبرى بالبحر المتوسط، ومن أجل فرض السيطرة التجارية التي كانت قائمة بين الشرق والغرب التي تصل إلى أوروبا من أفريقيا الوسطى، وكان من أشكال الصراع الأكثر فعالية استيلاء الجانبين المتصارعين على المدن الكبرى في أفريقيا الشمالية، وخاصة الواقعة منها على تقاطع الطرق البحرية وطرق القوافل الممتدة بين الشرق والغرب[2] ، كما اتخذت القرصنة شكلاً من أشكال الصراع بين الأطراف المتنازعة، وهو ما ينطبق على النشاط البحري المغربي الذي يُعد أحد مراحل الجهاد، بعد خروج المسلمين من إسبانيا وصقلية وحملة الإبادة والتنصير التي تعرضوا لها مع بداية العصر الحديث، ومطاردة المسيحيين لهم حتى شمال إفريقيا فهي تمثل مرحلة من مراحل الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي الذي شجعته مختلف الهيئات الدينية[3] .

لم تدخل القرصنة إلى سواحل الشمال الإفريقي في القرن الخامس عشر الميلادي على أيدي القراصنة المشهورين، أمثال: خير الدين[*] بربروس وعروج، ودرغوث، بل كانت قديمة قدم

---

(1) خليفة إبراهيم ضوء، تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر، طرابلس–ليبيا، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2014م، ص13.

(2) المرجع نفسه، ص27.

(3) امحمد سعيد الطويل، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي (1795–1832م)، بنغازي، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، 2002م، ص58.

(*) خير الدين بربروس أحد قراصنة البحر المتوسط، وهو بحار من أصل رومي. حليمة النحاس، وفايز مزاري، ليبيا خلال العهد العثماني الأول 1551–1711م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، شعبة التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجيلاني، الجزائر، 2016/2015م، ص12.، وذكر كوستانزيرينا: أن خير الدين معروف عند الأوروبيين باسم بربروس (اللحية الحمراء). كوستانزيرينا، طرابلس 1510–1550م، تعريب: خليفة محمد التليسي، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، 1985م، ص ص25–26.
وهو من أشهر المدافعين عن ثغور المسلمين خلال فترة تاريخية تألبت فيها القوى الصليبية ضد المسلمين في الأندلس الإسلامي، ومنطقة المغرب الإسلامي، وهو من عائلة تزعم أفرادها عملية الجهاد في البحر، يتركز نشاطهم في قيادة عمليات الجهاد ضد النصارى؛ لدعم أخوانهم في الدين، ودفاعاً عن حرمة الإسلام. بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470–1547م، بيروت، دار النفائس، ط1، 1980م، ص ص25–26.، علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية ـ عوامل النهوض وأسباب السقوط، (د.ط)، (د.ت)، ص408.

الحروب البشرية، وقد تصاعدت عند سواحل ليبيا والبحر المتوسط في العهد الروماني والعهود التالية له، حيث أنشأ العرب في السواحل الأفريقية قواعد الغزو والإغارة على الجزر المسيحية، ولم تكن القرصنة مقصورة على العرب وحدهم، ولكنها مورست من قبل البحرية المسيحية أيضاً، وكانت أكثر تنظيماً باعتبارها تمهيداً للحملات الصليبية[1] ، وفي أواخر القرن الخامس عشر الميلادي تمكن الإسبان من تحقيق وحدتهم السياسية بزواج الملك فرديناند الكاثوليكي، ملك أرجوان، بإيزابيلا ملكة قشتالة في عام1469م، وبزواجهما هذا وحدا إسبانيا، وأخذا عهداً على نفسيهما بطرد المسلمين من إسبانيا وملاحقتهم خارجها[2] ، فقد ألحقت المملكة الإسبانية هزيمة ساحقة بالمسلمين في الأندلس بسقوط آخر معقل رئيس لهم (غرناطة) عام1492م[3] .

كان لخروج العرب من الأندلس والقضاء على الدويلات العربية فيها أثر كبير في ازدياد الروح الوطنية بين الإسبان والمغالاة في الشعور الديني والقومي[4] ، كما عملت الحكومة الإسبانية بوصية (ايزابيلا) التي تهيب فيها بتعقب المسلمين في شمال أفريقيا ونشر المسيحية بين السكان[5].

وأصبح الإسبان يتعقبون المسلمين بالأندلس[6] ، وبذلك فتح الباب على مصراعيه أمامهم لمواصلة هجماتهم على المدن المغربية المحيطة حتى طرابلس، يدفعهم إلى ذلك حقد ديني موروث ورغبة في التوسع والتنصير[7] ، وفي الوقت نفسه كان البرتغاليون قد سبقوا الإسبان في التوسع في الاستيلاء على شمال أفريقيا لاتخاذ موانيه قاعدة لانطلاق سفنهم البحرية نحو الكشوف الجغرافية،

---

(1) ايتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، ط2، 1991م، ص158.

(2) ايتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ترجمة: خليفة التليسي، طرابلس–الجماهيرية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، ط2، 1985م، ص17.

(3) المرجع نفسه، ص17.

(4) عمر الباروني، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، (د.ط)، (د.ت)، ص3.

(5) عمر بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا (1795–1835م)، طرابلس–ليبيا، دار الفرجاني، 1966م، ص17.

(6) محمد الهادي بو عجيلة، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية (1711– 1835)، وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 1997م، ص35.

(7) امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص24.

والسيطرة على تجارة الشرق الأقصى، ولتفادي الصراع عقدت اتفاقية بين الدولتين (إسبانيا-البرتغال) دعا البابا إلى عقدها سنة1494م في (نوردسيلاس)، حيث تتولى إسبانيا حرب الاسترداد التي أطلق عليها الحرب الصليبية[1] ، وبذلك تحولت إسبانيا من حرب الاسترداد إلى حرب الهجوم[2] ، فقد اتسمت أغلب الحملات الإسبانية على الشمال الإفريقي بالسمة الصليبية التي لم يكن الغرض منها التوسع الإقليمي وامتداد النفوذ السياسي فحسب، وإنما كان الغرض منها أيضاً موجهاً إلى التبشير بدين المسيح، ومحاولة نشر هذه الديانة[3] ، وتوجيه نشاطهم إلى سواحل الجزائر وتونس وطرابلس من أجل السيطرة على مياه البحر المتوسط من أيدي العرب والمسلمين[4].

بعد سقوط غرناطة عام808هـ/1492م، تواصلت الحملات بتحريض من الكاردينال خمينس (XIMENES) أسقف طليطلة ورئيس وزراء الملك فرديناند الذي كان يحث على محاربة المسلمين، وقد جعل نفسه داعية وملهماً لهذه الحرب التي اتخذت شكل الحروب الصليبية[5] ، كما وصف الراهب خمينس بأنه "أول من فكر في إنقاذ شمال أفريقيا من الوحشية الإسلامية، لكي تتنصر فيها المسيحية والحضارة"[6] ، واحتلت القوات الإسبانية أجزاء كثيرة في شمال أفريقيا[7] ، وتوسعت رقعة نفوذهم حتى بلاد المغرب العربي[8] ؛ للاقتراب من الحوض الشرقي من البحر المتوسط[9] ، حيث شهد مطلع القرن السادس عشر صراعاً بحرياً كبيراً بين الجانبين[10] ، وفي نفس هذه الفترة كان الأتراك العثمانيون يوسعون ممتلكاتهم، ويتقدمون في أوروبا منذ فتح القسطنطينية 1453م، مسيطرين على الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وكانوا يحاولون بدورهم نشر الدين الإسلامي في أوروبا[11] .

---

(1) محمد الهادي بو عجيلة، مرجع سابق، ص35.

(2) إسماعيل ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، ط1، 1997م، ص24.

(3) عمر الباروني، مرجع سابق، ص ص24، 6.

(4) اسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص24.

(5) كاملو منفرود، ليبيا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة: عمر الباروني، مراجعة: صلاح الدين السوري، الجماهيرية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م، ص48.

(6) امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص24.

(7) مفتاح عبد الله المسوري، الحدود البرية الليبية، دار الرواد، 2013م، ص9.

(8) عطية الويشي، العثمانيون بطرابلس الغرب جدلية العلاقة بين المجتمع والدولة، (958-1330هـ/1551-1912م)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، السنة32، العدد140، 2017م، ص127.

(9) عمر الباروني، مرجع سابق، ص6.

(10) إسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص24.

(11) عمر الباروني، مرجع سابق، ص7.

لقد تزامن الاحتلال الإسباني للساحل الشمالي من بلاد المغرب من (1505-1511م) مع ظهور عدد من المجاهدين الأتراك في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وتبلورت فكرة الجهاد البحري والانتقام من الإسبان الذين طردوا المسلمين من الأندلس[1] ، وفي عام 1505م احتلت القوات الإسبانية المرسى الكبير بالجزائر، واستول الكونت بدرو دي نافارو (Pietro di Nrroohte) على وهران وبجاية عام1510م[2] ، وأصبحت المناطق الخاضعة للإسبان منطلقاً للقوات الإسبانية باتجاه طرابلس الغرب مدعومة بقوات إيطاليا من نابولي وصقلية، والمرشدين المالطيين[3] ، واستولت القوات الإسبانية على مدينة طرابلس الغرب بقيادة بدرو دي نافارو في 2ربيع الثاني 916هـ/1510م[4] .

وتطبيقاً لتعليمات الملك فرديناند الكاثوليكي في وجوب إخلاء المدينة من المدنيين وعدم السماح لهم بسكناها[5] ، يقول الإسباني بايتستينودي تونسيس المشارك في الحملة العسكرية على طرابلس: قد بلغ الهجوم ذروته، ودخلت القوات المسيحية المدينة كأنها أسراب الطيور، وأخذت تقتل وتطارد أهل طرابلس الذين تحصنوا بالقلعة والمسجد الكبير، وحوصرت الأحياء، وتمكنت القوات من الاستيلاء على المسجد، وتم أسر الشيخ عبدالله وأولاده وزوجته[6] ، وبلغ قتلى العرب ستة آلاف، وأُسِرَ حوالى عشرة آلاف[7] ، لقد عمَّت الفرحة كافة العالم المسيحي، ودعا مندوب البلاط البابوي في بولونيا فرانشكيو اليدوس المسيحيين إلى إقامة الاحتفالات تعبيراً عن فرحتهم باحتلال طرابلس الغرب[8] .

---

(1) امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص ص24-30.

(2) كامللو منفروني، مرجع سابق، ص27.

(3) اتيوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ص137.، عمر الباروني، مرجع سابق، ص36.

(4) أبو عبد الله بن غلبون، التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، ط1، 2008م، ص38.

(5) محمد الهادي بو عجيلة، مرجع سابق، ص62.

(6) ايتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ص ص173-174.

(7) شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، نقلها وحققها: محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط3، 1994م، ص175.، ايتوري رويسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ص35.

(8) ايتوري روسي، المرجع نفسه، ص28.

كان استيلاء الإسبان على طرابلس يعني السيطرة على البحر المتوسط، ومنع الأتراك من الجزء الغربي منه[1] ، كذلك السعي إلى هدف صليبي عنصري القصد منه القضاء على الدين الإسلامي، وتنصير مسلمي طرابلس[2] ، حيث قام الإسبان بطرد السكان، وهدمت المباني وأضيفت أربعة حصون بعد ترميم القلعة (السرّاي)، وأطلق على الحصون أسماء "القديس بارب"، "القديس يعقوب"، "القديس يوحنا"، "القديس أنطوان"، وحولت قاعة السرّاي إلى كنيسة سميت كنيسة "القديس ليونارد"[3] ، وفي عام1511م تخلى شارل الخامس عنها[4] ، وأصبحت تابعة لنائب مملكة صقلية[5] ، الذي شجع الصقليين على الاستيطان في طرابلس[6] ، في عام1522م سقطت رودس في أيدي السلطان سليمان القانوني، فلجأ فرسان القديس يوحنا[*] إلى إيطاليا، وعاشوا في حماية البابا "كليمنت السابع"، وقد طلب رئيس المنظمة الفارس "فليب نصيب" المساعدة من شارلمان الخامس "شرلكان" بأن يمنح الهيأة جزيرة مالطا، وجزيرة قوزو، ولكنه اشترط أن يأخذوا معها طرابلس، ويتعهدوا بحمايتها من المسلمين، فوافقوا على ذلك[7] ، وفي 24 مارس 1530م وقع الإمبراطور شارل الخامس مرسوم التنازل عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا في (كاستيك فرانكو

---

(1) خليفة إبراهيم ضوء، مرجع سابق، ص7.

(2) أبو عبد الله بن غلبون، مصدر سابق، ص111.، أحمد النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1961م، ص ص1-4.

(3) شارل فيرو، مرجع سابق، ص ص77-78.

(4) إسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص25.

(5) شارل فيرو، مرجع سابق، ص87.

(6) إسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص25.

(*) فرسان القديس يوحنا هي منظمة دينية فرسانية وقعت تحت حماية القديس "يوحنا باتيسيا"، أطلق على أعضائها اسم (استبارية osadiarir)، تشتهر اليوم باسم فرسان مالطا، ولازال نشاطها قائم حالياً في الحقل الاجتماعي تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية، ومركزها الرئيسي روما قرب الفاتيكان، ونشاطها مستقل عن الدولة الإيطالية، تأسست هذه المنظمة عام1099م، أي عام استيلاء الفرنجة على بيت المقدس، ومؤسسها يدعى جيرار، أطلقوا على أنفسهم في البداية اسم إخوة القديس يوحنا أو الاسبتارية، بدأوا نشاطهم بتأسيس مستشفى عام1113م. أسعد السحمراني، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص393.، عمر الباروني، مرجع سابق، ص6.

(7) أبو عبد الله ابن غلبون، مصدر سابق، ص487.

بولوفيسري)، وقد ورد في هذا المرسوم ما يأتي: "رغبةً منا في تدعيم الدير والمنظمة والهيئة الدينية لمستشفيات القديس يوحنا وتوفير إمكانية الاستقرار لها ... فقد قررنا عن طيب خاطر التنازل للمرشد الأكبر والمنظمة عن مقر ثابت ... وإقطاعاً نبيلاً دائماً حراً مشمولاً بالإعفاء كلاً من المدينة والقلعة والجزر التابعة إلينا في طرابلس ومالطا وقوزو ..."[1] ، رحب الفرسان بالنزول في طرابلس[2] وكانوا فرقة من أشد فرق المسيحيين عداءً للمسلمين[3] ، وبسيطرتهم على طرابلس سنحت لهم فرصة لتهديد السفن الإسلامية، والوقوف في وجه التوسع العثماني نحو الغرب[4] ، وفي عام1530م تسلم أول حاكم يوفد من قِبل المنظمة مقاليد الأمور في طرابلس الغرب[5] ، وهو "غاسباري دي سانقوسا Casparedesanguessa"[6]، وبذلك ينتهي حكم الإسبان المباشر لطرابلس الغرب الذي دام عشرين عاماً[7] .

اختلفت المصادر التاريخية حول قصة الوفد الطرابلسي الذي خرج إلى اسطنبول، يقول أحمد الأنصاري: "لما تفاقم الخطب على أهل طرابلس، واستفحل أمر ما نزل بهم من قتانة الإسبانيين ... انتدب جماعة من أهالي سكان تاجوراء ... مستنجدين"[8] بالسلطان سليمان القانوني[9] ، يطلبون منه إنقاذهم من الحكم الصليبي[10] .

---

(1) ايتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911م، ص192.

(2) اسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص26.

(3) أحمد النائب الأنصاري، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تقديم: أحمد زينهم، ومحمد عزت، طرابلس، دار الفرجاني، 1994م، ص39.، اتيوري روس، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911م، ص ص46-50.

(4) اسماعيل ياغي، مرجع سابق، ص26.

(5) عمر الباروني، مرجع سابق، ص90.

(6) ايتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911م، ص193.

(7) عمر الباروني، مرجع سابق، ص90.

(8) أحمد النائب الأنصاري، نفحات النسرين والريحان، ص186.

(9) راسم رشدي، طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر، طرابلس-ليبيا، 1953م، ص88.

(10) ايتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ص63.، ابن غلبون، مصدر سابق، ص93.

وسنحت إرادته السنية[*] بتولية (مراد أغا) عليهم مع الوفد في خف من العساكر[1] ، مع سنان باشا ودرغوث باشا بقوة بحرية[2] ، للقيام بمهمة طرد المسيحيين من تلك الديار[3] ، فليس من الغرابة أن يستنجد العربي المسلم في طرابلس بأخيه المسلم في الشرق، أو السلطان العثماني الذي كان يمثل خليفة المسلمين في ذلك الوقت[4] .

فتحت القلعة المدينة أبوابها للأتراك[5] ، وأجلى سنان باشا عنها فرسان القديس يوحنا يوم 14أغسطس 2شعبان 958هـ/1551م[6] ، وأصبحت طرابلس ولاية عثمانية[7] ، عين مراد أغا والياً عليها[8] ، وحكم سلاطين آل عثمان طرابلس لا كحكام أتراك بل كخلفاء مسلمين، وهذه الرابطة الدينية في طرابلس حملت رعاياهم، بغض النظر عما إذا كانوا عرباً أو أتراكاً[9] ، اتخذت الدولة العثمانية طرابلس قاعدة أمامية لأعمالها البحرية والتصدي للقوات الإسبانية والأوروبية في شمال أفريقيا، وفي الفترة ما بين 1552-1560م، حاول فرسان القديس يوحنا السيطرة على أي

(*) بعد هزيمة الدولة الشيعية البويهية في إيران ثبت الخاقان طغرل بك (1040-1063م) أركان المذهب السني وبذلك تكون الدولة العثمانية دولة سنية تتبع المذهب السني. يلماز أوزنونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة: محمود الأنصاري، مج1، اسطنبول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، 1988م، ص52.

(1) أحمد النائب الأنصاري، نفحات النسرين والريحان، ص188.

(2) شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1977م، ص130.

(3) محمود عامر ـ ومحمد خير، تاريخ المغرب الحديث المغرب الأقصى ـ ليبية، منشورات جامعة دمشق، 2000م، ص157.، محمد الهادي بو عجيلة، ص61.

(4) محمد عمر مروان، مقاومة الليبيين للغزاة الإسبان وفرسان القديس يوحنا 1510-1551م، مجلة تراث الشعب، السنة23، العددان1-2، 2003م، ص80.

(5) ايتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ص78.

(6) أبو عبد الله بن غلبون، مصدر سابق، ص28.

(7) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص130.

(8) أبو عبد الله بن غلبون، مصدر سابق، ص28.

(9) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص130.

موقع على الساحل الإفريقي في محاولة للنفاذ إلى طرابلس[1] ، ولم ينس فرسان القديس يوحنا ما أصيبوا به من نكبات في طرابلس على يد مسلمي شمال أفريقيا والأسطول العثماني، فأخذوا يحرضون الدول الأوروبية للانتقام من المسلمين والتنكيل بهم بإعداد حملة تهدف إلى استعادة طرابلس من العثمانيين، واشتركت فيها كل من إسبانيا، وجنوة، والبابا بقيادة (جيوفاني أندريا دوريا)[2] ، كان ظهور الدولة العثمانية وامتداد نفوذها إلى شرق البحر المتوسط يشكل خطراً حقيقياً على مستقبل إسبانيا في شمال إفريقيا، والذي يحول بينهم وبين خططهم الصليبية ضد الإسلام والمسلمين[3] ، فقد كان هدف الإسبان من احتلالهم لطرابلس، بأن تكون قاعدة أمامية للقراصنة المسيحيين للتصدي للمد العثماني في شمال إفريقيا[4] .

زاد اهتمام الدول الأوروبية بليبيا[5] عقب قيام الأسرة القرمانلية[*] سنة1711م، واستلام أحمد باشا مقاليد الحكم في البلاد[6] ، وحكمها حكماً مستقلاً عن الدولة العثمانية[7] ، واهتم بالقوة البحرية[8].

وبذلك استطاعت ليبيا فرض سيادتها على جانب كبير من حوض البحر المتوسط، وإملاء شروطها على كثير من الدول الأجنبية التي تهدف إلى تأمين سفنهم وتجارتهم[9] ، مما دفع بعدد

---

(1) محمد الهادي بو عجيلة، مرجع سابق، ص67.

(2) شارل فيرو، مرجع سابق، ص ص133-134.

(3) محمد الهادي بو عجيلة، مرجع سابق، ص41.

(4) المرجع نفسه، ص24.

(5) عمر بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية، ص379.

(*) كانت الأسرة القرمانلية أسرة تركية من قرمان بآسيا الصغرى، استقر جدهم الأكبر (مصطفى باشا) في طرابلس، حيث كان ضابطاً في انكشارية عثمان الساقزلي، واندمج أبناؤه وأحفاده بأهل البلاد وصاهروهم، ونتج عنها تكوين الطبقة القولوغلية، ويعتبر أحمد باشا المؤسس الحقيقي للأسرة القرمانلية في ليبيا 1711-1835م. ردولف ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، نقلها للعربية: طه فوزي، طرابلس، دار الفرجاني، (د.ت)، ص22.

(6) محمد الهادي بو عجيلة، مرجع سابق، ص225.

(7) عمر بن اسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية، ص379.

(8) وليد خالد يوسف، حكم الأسرة القرمانلية في ولاية طرابلس الغرب 1711م- 1835م، مجلة جامعة تكريت، العدد السادس، 2012م، ص287.

(9) محمد الهادي بو عجيلة، مرجع سابق، ص130.، مصطفى بعيو، دراسات في التاريخ اللوبي، الإسكندرية، ط1، 1953م، ص ص110-111.

من الدول الأوروبية[1] لعقد معاهدات مع الأسرة القرمانلية، ومن بينها انجلترا عام1751م وفرنسا عام1752م[2] ، ومنذ ذلك الوقت تمتعت طرابلس الغرب بسمة بحرية قوية[3] ، خلال القرن الثامن عشر الميلادي بدأت الأنظار تتحول إلى البحر المتوسط كطريق جديد أقرب إلى الهند[4] .

وخلال تلك الفترة من الصراع الدولي في البحر المتوسط كانت الولايات المتحدة في بداية ظهورها تسعى لأن تكون لها مكانة متميزة في على مسرح الأحداث السياسية العالمية[5] ، فقد اهتمت الولايات المتحدة الأمريكية منذ حصولها على الاستقلال على ضمان سلامة مرور سفنها التجارية في مياه حوض البحر المتوسط، بالاتفاق مع حكومة إيالة طرابلس الغرب على إنشاء قنصلية بمدينة طرابلس وتعيين قنصل أمريكي[6] ، ومع تولي يوسف باشا القرمانلي الحكم عام1795-1832م، دخلت إيالة طرابلس الغرب مرحلة جديدة من أهم مراحل تاريخها الحديث مليئة بالأحداث الدولية التي ارتبطت بها بحكم موقعها الاستراتيجي، وشهدت التنافس بين مختلف القوى البحرية الأجنبية[7] ، ونظراً لهذه الأهمية الاستراتيجية رأى يوسف باشا وجوب الاهتمام بها بزيادة قطعها وتسليحها والرفع من مستوى كفاءة رجالاتها[8] ، وبذلك ألزم يوسف باشا الدول الأوروبية المسيحية بدفع الإتاوات؛ لضمان سلامة سفنها، وتجديد الاتفاقيات، وتعيين ممثلين في الإيالة، لذلك عرفت الإيالة في العهد القرمانلي بكثرة القناصل[9] .

---

(1) وليد خالد، مرجع سابق، ص287.

(2) علي سلطان، تاريخ العرب الحديث 1516-1918م، طرابلس، ط1، 1997م، ص22.

(3) وليد خالد، مرجع سابق، ص288.

(4) محمد الهادي بو عجيلة، مرجع سابق، ص225.

(5) وليد خالد، مرجع سابق، ص46.

(6) عبد الله الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا، 1795-1832م، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 1985م، ص67.

(7) امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص121.

(8) المرجع نفسه، ص ص122-123.، عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1989م، ص337.

(9) عمر بن اسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية، ص379.

لقى يوسف باشا دعماً عسكرياً قوياً من الدولة العثمانية كي يتمكن من توسيع نفوذها في البحر المتوسط بعد الأحداث والحروب التي خاضها ضد النمسا وروسيا، والتي انتهت إلى إبرام السلطان سليم الثالث لمعاهدة الصلح بين الدولتين 1791م، وتعرف باسم معاهدتي زشتوي وياش، وبموجبها ترجع الأراضي التي احتلتها من الدولتين في البلقان، وقام السلطان على أثرها بإصلاح الأوضاع العسكرية البرية والبحرية للدولة العثمانية، واهتم بثغورها، وكانت ولاية طرابلس الغرب واحدة منها؛ لمواجهة المشاكل والحروب التي شهدتها أوروبا في أعقاب قيام الثورة الفرنسية 1789م[1] ، وكان إحدى نتائج انتصار الثورة الفرنسية 1789-1799م زيادة التوسع الاستعماري الفرنسي، واصطدام المصالح بينها وبين بريطانيا في زيادة الهيمنة على المنطقة من خلال استغلال ضعف الإمبراطورية العثمانية، وكانت كل من فرنسا وبريطانيا تجهزان لشغل مراكز في الشمال الأفريقي بما في ذلك إيالة طرابلس الغرب[2] ، وخاصةً في مرحلة حملة نابليون الفرنسية على مصر 1798-1801م، حيث احتل نابليون مالطا، وهو في طريقه إلى مصر 1798م، واتخذ من إيالة طرابلس قاعدة لتموين الحامية الفرنسية بمالطا بما تحتاج من مؤن غذائية[3] .

تُعد الفترة التاريخية (1798-1805م) إحدى أهم مراحل الحملات الصليبية على الشرق، فقد شاركت فيها عدة دول مسيحية، حيث تحالفت مع الولايات المتحدة الأمريكية كل من الدنمارك والسويد ونابولي؛ لضرب إيالة طرابلس الغرب، كما بارك البابا "بيوس السابع" هذه الحرب، وأثنى على بريبل[*] ورجاله، قائلاً: "استطاع بقوة صغيرة، وفي فترة وجيزة أن يخدم قضية النصرانية أكثر

---

(1) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، 1981م، ص ص37-39.، وليد يوسف، مرجع سابق، ص289.

(2) نيكولاي إيليتش بروشين، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، بنغازي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2001م، ص201.

(3) عمر بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية، ص386.

(*) إدوارد بريبل أحد قادة الحملة الأمريكية على إيالة طرابلس الغرب 1803-1805م. امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص267.

مما فعلت الدولة النصرانية الأقوى خلال أجيال"[1] ، ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي بدأت انجلترا وفرنسا ترنوان بأبصارهما نحو أفريقيا الوسطى، فطرابلس تعُد ممراً أمثل تقع في بداية طريق هو أقصر الطرق التي تربط البحر المتوسط بالسودان[2] .

في عام1811م بسط يوسف باشا سيطرته على فزان، وبذلك سيطر على جزء كبير من طرق الصحراء التجارية التي تصل إلى (برنو)، وأصبحت طرابلس الغرب نقطة انطلاق للرحلات البريطانية[3] ، كان القنصل البريطاني هانمار وارنجتون - خلال الاثنين والثلاثين سنة التي أمضاها في عمله في طرابلس 1814-1846م - على يقين بأن طرابلس الغرب والطرق الصحراوية التي تمر بها تجعل منها البوابة الطبيعية لبريطانية، ووسيلة لتحقيق الأهداف الجغرافية التجارية والتبشيرية إلى الدواخل[4] ، ومن خلال التنافس بين القناصل الانجليز، والفرنسيين كان التأثير على يوسف باشا لتقديم المساعدات لأبناء جلدتهم الذين ينزلون الإيالة[5] .

في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، بدأت سلسلة الرحلات والبعثات عبر الأراضي الليبية إلى الجنوب، فقام الرحالة جيمس رتيشاردسن في 25أغسطس 1845م برحلة غدامس وفزان، ورأى ضرورة دعم المبشرين البروتوستانت، وزيارة المطران لتلك المناطق، فقد كان ذلك من ضمن نشاط ريتشارسن التبشيري[6] .

كما كانت هناك رحلة الدكتور هنري بارث الألماني Heinrich Borth 1849-1851م من طرابلس إلى غدامس- غات تشاد تمبكتو[7] ، وشهدت الفترة الأخيرة من ولاية يوسف باشا

---

(1) امحمد سعيد الطويل، مرجع سابق، ص267.

(2) نيكولا ايلتش، مرجع سابق، ص321.

(3) فريال قاسم، الرحلات الاستكشافية الانكليزية عبر الأراضي الليبية بين عامي 1818-1852م، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م، ص45.

(4) جون رايت، انبعاث ليبيا، ترجمة: الطيب الزبير، مراجعة وتصحيح: أبو بكر عمر، دار الفرجاني، (د.ت)، ص59.

(5) حليمة النحاس - وفايز مزاري، مرجع سابق، ص77.

(6) فريال قاسم، مرجع سابق، ص125.

(7) يحيى بو عزيزة، اهتمامات الفرنسيين في جنوب الجزائر والصحراء، مجلة البحوث التاريخية، السنة الثالثة، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1981م، ص363.

اضطرابات ومنازعات بين أفراد الأسرة القرمانلية[1] ، دفعت الدولة العثمانية إلى وضع حد لحكم هذه الأسرة، وذلك بوصول القوات العثمانية إلى طرابلس الغرب بقيادة نجيب باشا أوائل محرم 1251هـ/1835م، وطويت هذه الصفحة من حكم الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب وبداية الحكم العثماني الثاني الذي استمر حتى 1911م، حيث حل الإيطاليون محل الأتراك في استعمار البلاد وحكمها[2] .

---

(1) عمر بن إسماعيل، انهيار الأسرة القرمانلية، ص ص232-235.، شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص138.

(2) كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرماني، ترجمة: عبد القادر المحيشي، مراجعة: صلاح الدين السوري، طرابلس، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط1، 1981م، ص211.

المبحث الثاني

مفهوم التنصير

التعريف اللغوي للتنصير:

ورد تعريف التنصير في اللغة بمعنى نَصّره ينصّره تنصراً[1] ، وفي المحكم الدخول في النصرانية، ونصَّره جعله نصرانياً، ونصَّر الشخص تنصيراً[2] وهي على وزن فعل يفعل تفعيلاً، والنصرانية مفرده تجمع على النّصارى وأنصار نسبة غير قياس إلى الناصرة (ناصره) وهي قرية في الجليل[*] بالشام[3] ، والنصارى منسوبون إليها[4] ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ**﴾ البقرة(62)، وهناك اختلاف في كلمة نصارى؛ الأول: من أصل سرياني وهو (نصرويو mosroyo) نصرانياً، والثاني: لها صلة (بالناصريين Nasarenes) إحدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة، وقد بقى اليهود يطلقون على من اتبع ديانة المسيح "النصارى"، والثالثة: نسبة إلى قرية اسمها "ناصرة" أو نصران أو نصرونا[5] ، والنصرانية اسم دين النصارى، ويجوز إطلاقها على واحدة النصارى، فيقال: امرأة نصرانية كما يقال رجل نصراني[6] ، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا**

---

(1) الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مصر، مطبعة الأسرة، ط3، 1978م، ص436.، عبد الرازق عبدالحميد، التنصير في أفريقيا، سلسلة دعوة الحق (كتاب شهري محكم)، رابطة العالم الإسلامي، السنة23، العدد227، 2008م، ص13.

(2) جمال الدين الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج8، ص ص9440-9441.، زينب عبد السلام، التنصير حقيقة ضرورة مواجهته أهدافه، (د.ط)، 1994م، ص105.

(*) الجليل: هي منطقة جغرافية في شرق البحر المتوسط في شمال فلسطين المحتلة (1948م)، ومن أكبر مدنها الناصرة وصفد وعكا، تضم منطقة الجليل بعض أكثر المدن والمواقع قداسة في الديانة المسيحية، منها مدينة الناصرة حيث بشّر الملاك جبرائيل مريم العذراء بولادة يسوع حسب المعتقدات المسيحية، كما أنها المدينة التي نشأ فيها فنُسِبَ إليها ودُعي يسوع بيسوع الناصري، إلى جانب قانا الجليل والتي تم فيها عرس قانا الجليل أولى معجزات يسوع الناصري وفقًا للمعتقدات المسيحية، وجبل الطور والتي حصل فيها حادثة التجلي، ونهر الأردن وبحيرة طبريا وكفرناحوم والتي تضم العديد من مواقع الحج المسيحية. شبكة المعلومات الدولية، على الموقع الإلكتروني: https://ar.wikipedia.org›wiki›

(3) فاطمة رحلي ـ ومليكة قريش، سياسة التنصير في إفريقيا بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجيلاني، ميلانة-الجزائر، 2015-2016، ص14.

(4) جمال الدين ابن منظور، مصدر سابق، ص4440.

(5) كنز العواد، السياسة التنصيرية الفرنسية في الجزائر العاصمة ووادي ميزاب 1830-1930م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر، 2019م، ص38.

(6) عبد الرازق عبد الحميد، مرجع سابق، ص114.، فاطمة رحلي ـ ومليكة قريش، مرجع سابق، ص110.

نَصَارَى﴾ المائدة(82)، وقد تطور المفهوم اللفظي للتنصير، فالمصطلح ليس حديث التكوين، وإنما ارتبط بظهور رسالة عيسى بن مريم عليه السلام كونه مطلب جاء به الإنجيل غايته نشر الدين النصراني[1].

وكلمة تنصير إذاً جاءت من كلمة النصارى، وهم المسيحيون أنصار النبي عيسى عليه السلام مقابل اليهود الذين كذبوه[2] ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ آل عمران(52)، ونصر فلاناً أي وقف إلى جانبه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ الصف(14).

تُطلق كلمة نصارى على الذين آمنوا بعيسى ابن مريم عليه السلام، ولم يخلطوا في إيمانهم، ولم يقولوا بالتثليث[*] ، والذي كان سبباً في خلافاتهم، وبذلك كفّرت كل فرقة أُختها، وقد حكم الله بكفرهم جميعاً[3] في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المائدة(73)، والنصرانية مرادفة لكلمة المسيحية التي تدل على الديانة التي جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام، بما فيها من عقائد وشرائع وأخلاق، والتي توارثتها الأجيال المتتابعة بجميع متغيراتها التي حدثت فيها التحريفات[4] .

---

(1) علي بن إبراهيم الحمد النملة، التنصير في المراجع العربية، الرياض، دار الإمام، 2004م، ص27.، كنز العواد، مرجع سابق، ص18.

(2) فاطمة رحلي ـ ومليكة قريش، مرجع سابق، ص110.

(*) التثليث هو التبديل في العقيدة الأساسية، يدعو إلى الإيمان بالرب الابن، الروح القدس، حيث الرب هو الأب الصانع، والابن هو المسيح خلق قبل العوالم، ومنهم من يعتقد أنه رسول، والوحدانية هي التثليث. الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ص570-571.، أحمد عبدالوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة، ط1، 1981م، ص117.

ومنهم من يعتقد أن المسيح هو الإله وقديسي الكنيسة. ينظر: الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة، (د.ت)، ص ص570-571.

(3) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج3، ص275.، كنز العواد، مرجع سابق، ص119.

(4) محمد عثمان صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1989م، ص111.

وجاء في بعض التعريفات بالنصرانية أن كلمة (النصارى) تدل على الشخص الذي نسب لمدينة الناصرة بفلسطين، وأطلق على عيسى "الناصري"، وأصحابه هم "الناصريون"، وجاء في إنجيل متى[1] : "إن عيسى عليه السلام سكن(*) بالناصرة"[2] ، وكلمة نصرانية عند المسلمين لم ترد بذاتها في القرآن، فقد جاءت خمسة عشرة مرة بصفة الجمع (النصارى)، ومرة في صيغة الفرد (نصرانياً)، ومرة في صيغة الوصف (أنصاراً)، جاءت في سورة البقرة في الآيات التالية: (62- 111- 113- 120- 135)، وفي سورة المائدة الآيات التالية: (14- 18- 51- 65- 82)، وفي سورة الحج الآية (117)[3] ، واتخذ مفهوم التنصير بُعداً آخر، وهو حماية النصارى من الإسلام، والحد من انتشاره بينهم في مواطنهم، وكذلك انتشاره بين غيرهم[4] .

وردت لفظة التنصير في الحديث الشريف بصيغة المثنى[5] ، قال أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ (أي يجعلانه يهودياً)، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ (أي يجعلانه نصرانياً) ...، ويقول أبو هريرة واقرأوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ مريم(30)"[6] ، بمعنى أن جميع الناس يولدون على فطرة الإسلام، ثم يحولهم آباؤهم عنها[7] ، وترادف كلمة التنصير كلمة mission، أي: إرسالية دينية تنصيرية، أو العمل في حقل التنصير، وكلمة missionnaire وتعني المنصر أو مجموعة من الناس يؤدون وظائف معينة تتمثل في دعوة الناس بصورة أو بأخرى إلى النصرانية[8] ، والمنصرون جمع منّصر على وزن مفعّل، يعني: اسم فاعل من يدخل الآخرين في دين النصارى[9] .

---

(1) كنز العواد، مرجع سابق، ص20.

(*) الناصرة: أقدم المدن الفلسطينية، موطن مريم العذراء، تقع في منطقة الخليل غرب طبرية، يعود بناؤها للكنعانيين العرب. كنز العواد، مرجع سابق، ص20.

(2) محمد عثمان صالح، مرجع سابق، ص15.

(3) المرجع نفسه، ص11.

(4) علي بن إبراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير ودراسة العلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين والمنصرين، الرياض، مكتبة التوبة، ط1، 1998م، ص7.

(5) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر، (د.ت)، ص66.

(6) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق : مصطفى ديب البغا، بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي، رقم1319، ج1، ص456.

(7) كنز العواد، مرجع سابق، ص20.

(8) نونا ناديه، معالجة الصحافة الإسلامية لواقع التنصير، الجزائر، تحليل مضمون صحيف البصائر الأسبوعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، شعبة الإعلام والاتصال، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبوملياناة، 2012-2013، ص8.

(9) نور الدين عوض الكريم، أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا وطرق مواجهتها، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض-السعودية، 1422-1423هـ، ص13.

المفهوم الاصطلاحي للتنصير:

تنوعت التعريفات الاصطلاحية للتنصير، وقد ركزت في معظمها على الأهداف والوسائل، ومن هذه التعريفات:

التنصير حركة دينية سياسية استعمارية[1] ، بدأت بالظهور إثر فشل[*] الحروب الصليبية[2] ، والتنصير حركة صليبية منظمة تتخذ من الدين ستاراً[3] بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة، وبين المسلمين خاصة[4] ، وتهدف إلى ارتداد المسلمين وغيرهم عن دينهم وإدخالهم في النصرانية، أو تغييرهم ودفعهم إلى الإلحاد، أو اللادينية واللاأخلاق، وفق منهج مدروس متكامل، قائم على استغلال جميع الوسائل المادية والمعنوية المتاحة في جميع مجالات الحياة[5] ؛ بغية إحكام السيطرة على هذه الشعوب[6] ، والتنصير هو التعبير الذي أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها وجذب غير النصرانية ولاسيما المسلمين[7]، يقول نذير حمدان: التنصير اتجاه كنسي تحويلي في الدعوة، والعمل المنظم في داخل البلاد

---

(1) فاطمة رحلي- ومليكة قريش، مرجع سابق، ص11.

(*) الحروب الصليبية يقصد بها الحملات ذات الطابع الديني، أرسلها مسيحيو غرب أوروبا إلى الشرق الإسلامي بين عامي 489-690هـ/1096-1291م لانتزاع الأراض المقدسة في فلسطين من المسلمين، وقد سميت بهذا الاسم نسبةً إلى شارة الصليب التي اتخذها الغزاة علامة لهم، وهي أيضاً هجرة واسعة قام بها سكان أوروبا الغربية إلى الشرق الإسلامي لاحتلاله، وعليه شكلت الحروب الصليبية مرحلة من مراحل الصراع بين الشرق والغرب عبر عصورها التاريخية، ولا تزال مستمرة حتى يومنا هذا؛ لتحقيق مصالح سياسية عسكرية اقتصادية ثقافية ودينية. محمد سهيل طقوس، تاريخ الحروب الصليبية - حرب الفرنجة في المشرق، بيروت، دار النفائس، ط1، 2011م، ص13.

(2) نونة ناديه، مرجع سابق، ص38.، الموسوعة المسيرة للأديان المعاصرة، ص675.

(3) أمل عاطف الخضري، التنصير في فلسطين في العصر الحديث، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية أصول الدين قسم العقيدة الإسلامية، غزة - فلسطين، 2004م، ص9.

(4) كنز العواد، مرجع سابق، ص21.

(5) أمل عاطف الخضري، مرجع سابق، ص9.، كنز العواد، مرجع سابق، ص21.

(6) نور الدين عوض الكريم، مرجع سابق، ص ص11-12.، فاطمة رحلي- ومليكة قريش، مرجع سابق، ص11.

(7) عبد الرحمن بن حنبكة، أجنحة المكر الثلاث وخوافيها التبشير استشراق استعمار، دمشق، دار القلم، ط4، (د.ت)، ص30.

وخارجها؛ لصرف الناس إلى النصرانية، أو فرق فيهم، وخاصة المسلمين الذين يقبل منهم انسلاخهم من إسلامهم فقط، ثم الإبقاء على النصارى الشرقيين محافظين على دينهم فلا يتأثرون بالإسلام[1]، حركة التنصير أو حركة التبشير كما يسميها البعض خطأ، هي إحدى إفرازات الحركة الصليبية، فقد تأسست لتحقيق أهداف هذه الحركة، وفي ظلها وبجهودها نبتت، وتبعاً لذلك مرت حركة التنصير بنفس أدوار القوة والضعف التي مرت بها الحرب الصليبية، فكانت مثلها تخرج من طور لتدخل طوراً جديداً[2] .

التنصر في حقيقته هو الامتداد الحقيقي للحروب الصليبية، فإن كانت الحروب الصليبية حروباً وحملات عسكرية، فإن التنصير حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، يؤكد ما صرح به مخطوط العمل التنصيري، فقد أخبر المؤرخ جان دي جرانفيل[3] ـ والذي رافق لويس التاسع عشر ملك فرنسا في حملته الصليبية السابعة ـ عن ما انتهى إليه لويس في خلوته في معتقله بالمنصورة، التي أتاحت له فرصة ليفكر بعمق في السياسة التي كانت أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، وقد انتهى به[4] التفكير ـ وفق ما أفضى به إلى أعوانه أثناء رحلته إلى عكا متوجها إليها من دمياط ـ إلى وضع التخطيط الجديد للحملات الصليبية السلمية (التبشيرية)[5] ، حيث قال: "إنه لم يعد في وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام، وأن العبء لابد أن تقوم به أوروبا كلها لتضيق الخناق على الإسلام والمسلمين، ثم تقضي عليه، ويتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون تملكها لآسيا وأفريقيا"[6] .

---

(1) نذير حمدان، الغزو الفكري المفهوم والوسائل المحاولات، مكتبة الصديق، (د.ت)، ج1، ص93.

(2) نونة ناديه، مرجع سابق، ص38.

(3) عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، التنصير تعريفه أهدافه وسائله، حسرات المنصرين، دار الكتاب والسنة، ط1، 1999م، ج1، ص9.

(4) عبد الرحمن عمير، الإسلام والمسلمين بين أحقاد التبشير وظلال الاستشراق، بيروت، دار الجبل، (د.ت)، ص21.

(5) عماد شرف، حقائق عن التبشير، القاهرة، المختار الإسلامي، ط1، 1975م، ص19.، مصطفى خالدي ـ وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت، منشورات المكتبة العلمية، ط1، 1953م، ص34.

(6) أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص153.، عبدالرحمن بن عبد الله الصالح، مرجع سابق، ص9.

ويقدّر رينيه جروسيه (أحد مؤرخي النصارى) هذا التوجه الاستراتيجي للملك لويس التاسع بقوله: "إن الملك لويس التاسع كان بذلك في مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا للغرب الخطوط الرئيسة لسياسة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرها"[1] ، ووُضِعَت وصية لويس التاسع موضع التنفيذ، فبعد سنوات قامت معاهد التبشير في أوروبا بدراسة اللغة العربية والإسلامية والقرآن الكريم من منطلق الرد عليه، وانتقاده وإثارة الشبهات حوله[2] .

ومن المفاهيم الحديثة للتنصير: هو زحزحة أكبر قدر من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألا يكون من الضروري اعتناق المسيحية[3] ، بل تشكيك المسلمين في تاريخهم وزعزعة عقائدهم[4] ، والتنصير هو دعوة النصارى للآخرين إلى النصرانية، ويزعم النصارى أن هذا الأمر صدر لهم من المسيح عليه السلام، حيث قال: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"[5] ، فيزعم النصارى أنه بموجب هذا الأمر كان لابد لهم أن يسيروا لتبليغ النصرانية إلى الأمم[6] ، ولم يرد مصطلح التبشير (التنصير) في كثير من الكتب العربية، وهو مرادف لمصطلح التنصير.

مفهوم التبشير اللغوي:

التبشير من بشر: بشره وأبشره تبشيراً[7] ، وبشر من البشرى، وأبشرت الرجل وبشرته يعني أخبرته بشارة بسط وجهه[8] ، والتبشير لا يكون إلا بالخير[9] ، قال تعالى: ﴿**وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ فصلت(30).

---

(1) عبد الرحمن عمير، مرجع سابق، ص23.، عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، مرجع سابق، ص20.، أحمد عبدالوهاب، مرجع سابق، ص153.

(2) عبد الرحمن عمير، المرجع السابق، ص29.

(3) نور الدين عوض الكريم، مرجع سابق، ص13.

(4) عبد الحميد عبد الرازق، مرجع سابق، ص15.

(5) الأب متى، مصدر سابق، لإصحاح(19/28)، ص35.

(6) منقذ بن محمود السقار، الاستعمار في العهد الحديث ودوافعه الدينية، مكة، (د.ت)، ص18.

(7) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: عدنان داوود، دمشق، دار القلم، ط3، 2002م، ص125.

(8) مجموعة من المؤلفين المعجم الوسيط، القاهرة، ط3، (د.ت)، ج1، ص58.

(9) الراغب الأصفهاني، مصدر سابق، ص125.

والتبشير هو إخبار فيه سرور، وإن كان بشر: فيكون مقيداً، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لقمان(7)، ومن هنا عندما يقال: بشَّر بالشيء، فهو مبشر، والمبشر هو الذي يبشر القوم بأمر خير أو شر؛ ولكنه يغلب فيه الخير[1] .

وجاءت في القرآن الكريم لفظة (بشَّر) بمعنى: (الإخبار) سبعة وسبعين مرة، وجاءت في سبعين مرة للإخبار بما فيه السرور والفرح، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ البقرة(25)، وسبع مرات مقيدة تخبر بما يسوء ويُحزن[2] .

والتبشير إما أن يكون بفكرة عُرّف بها أو دين يدعو إليه، وهو ما تقوم به بعض الكنائس النصرانية، والبشارة عند النصرانية يقصد بها الإنجيل، وأطلق لفظ التبشير على أعمال المنصرين الذين لا يدعون بخير، بل يدعون فيه بِشَر البشرية وفسادها، ويدعون إلى الشرك بالله، وهذا التبشير الذي يحاول أتباعه نشره بين شعوب العالم الإسلامي وغير الإسلامي ودعمه مادياً ومعنوياً لم يقم إلا على أنقاض الديانة النصرانية المُحَرَّفة[3] .

المفهوم الاصطلاحي للتبشير:

التبشير عند المسلمين يعني تبشير وتبليغ تعاليم الإسلام على ما عليه المسلمين وغير المسلمين، وعند النصارى اتخذت الكلمة معاني مختلفة حسب العصور وحسب أهداف الكنيسة، وفي معتقداتهم أن عيسى قد مات فداء للبشرية من الخطيئة، في حين أن الإسلام يقول: إن عيسى عليه السلام لم يصلب بل يهوذا هو المصلوب[4] ، قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ النساء(157).

---

(1) الراغب الأصفهاني، مصدر سابق، ص125.، أمل الخضيري، مرجع سابق، ص2.

(2) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، 1984م، ص ص119-120.، كنز العواد، مرجع سابق، ص22.

(3) كنز العواد، مرجع سابق، ص ص22، 53.

(4) محمد عثمان، مرجع سابق، ص ص41-42.

والتبشير أطلقه رجال الكنيسة على أعمالهم التي يقومون بها؛ لتنصير الشعوب غير النصرانية، ولاسيما المسلمين، عن طريق ما يسمونه المبشرين الذين يجندون أنفسهم للقيام بهذه المهمة باتباع وسائل تختلف حسب الضرورات، وقد تكون الدعوة صريحة، أو عن طريق التعليم الممنهج، أو الخدمات الصحية والاجتماعية، وقد تحول التبشير داخل الشعوب الإسلامية إلى درجة التكفير وإخراج المسلمين عن دينهم[1] .

وقبيل الإسلام أطلقت لفظة تبشير على حركة نشر المسيحية، باعتبار أن المسيحيين حملوا للوثنين بشارة[2] الإنجيل، والمبشر هو عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ الصف(6)، وقد انتهى دور هذه البشارة ببعثة سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ سبأ(28)، غير أن وظيفة التبشير بعد المسيح انحرفت عن أصالتها لتصبح وسيلة تضليل وشر، وتغير معناها الحقيقي عندما كونوا عقيدة التثليث[3] ، فالنصرانية يقصد بها الرسالة التي أنزلت على عيسى عليه السلام[4] ، وهي دين سماوي قائم على التوحيد[5] ، جاءت مكملة لرسالة موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، وموجهة إلى بني إسرائيل داعية للتوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاد شديدين، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على التحريف، وامتزجت بمعتقدات أخرى وثنية[6] ، وبذلك تحول مفهوم التبشير في العصر الحديث من أسلوب الهداية للضالين إلى أسلوب الإبعاد عن منهج الله[7] .

---

(1) عبد الرحمن بن حبنكة، مرجع سابق، ص53.، أمل عاطف، مرجع سابق، ص6.
(2) ممدوح حسن، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، عمان، دار عمار، ط1، 1995م، ص6.
(3) كنز العواد، مرجع سابق، ص24.
(4) أمل عاطف، مرجع سابق، ص10.
(5) علي بن إبراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير، ص18.
(6) أمل عاطف، مرجع سابق، ص10.
(7) أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص361.

ومنذ مطلع العصر الحديث، ومن خلال كتابات المؤلفين المسلمين المتنوعة عن الأديان، ظهر مصطلح (النصارى، والنصرانية)، ولم تظهر كلمة مسيحيون والمسيحية إلا عندما غُلب المسلمون على أمرهم بسيطرة الاستعمار، وبث مصطلح المسيحية في أذهان المسلمين بدل النصرانية[1] ، قولاً واحداً هنا: ظاهره دين مسيحي سمح، وباطنه فيه تنصير مشوَّه ومشوِّه.

ومصطلح التبشير الذي أصبح يعني التنصير، هو التعبير النصراني لحملات التنصير، وهو في حقيقة أمره مؤسسة تنصيرية تعتمد على منهجية متكاملة ذات شعب متعددة: اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وفكرية وتعليمية، تهدف لنشر العقيدة المسيحية في البلدان الإسلامية وغيرها، وتغريب الإنسان المسلم وتشكيكه في عقيدته الإسلامية[2] .

ومما سبق يتضح التشابه الكبير بين المدلولين الاصطلاحيين للتنصير والتبشير، ففي حين كان التنصير خطة لنشر المسيحية في العالم الإسلامي، نجد أن التبشير يبدو أعم بعد أن تطور مفهومه وصار عملية ثقافية واسعة ارتبطت ارتباطاً كبيراً بالاحتلال الأوروبي[3] .

ويلاحظ أن كلمة التبشير لا يمكن أن تنطوي على ما يفعله النصارى من حملات معادية للإسلام وداعية للنصرانية، وما يقومون به لا يحمل الخير، بل يحمل الشر والضرر للمسلمين وللبشرية جمعاء من خلال الدعوة إلى دينهم وإقامة المؤسسات لخدمة دعوتهم التنصيرية، والإسلام أحق أن يوصف بالتبشير؛ لأنه دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته عامة وتامة عن طريقه، ولن تكون كذلك، دون تبليغ وتبشير.

---

(1) محمد عثمان، مرجع سابق، ص24.

(2) عبد الرزاق عبد الحميد، مرجع سابق، ص ص15-16.

(3) كنز العواد، مرجع سابق، ص27.

المبحث الثالث

أهداف التنصير

لقد وجدت العديد من الأهداف التي عمل المنصرون على تحقيقها بمختلف الوسائل من أجل نشر النصرانية، ومنها إدخال النصرانية وإعادتها إلى عدد كبير في البلاد الإسلامية[1] ، وأن يتبع المسلمون ملتهم، قال تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ البقرة(120)، إن العلاقة بين الغرب والإسلام قائمة على صراع ديني ظهر واضحاً أثناء الحروب الصليبية 489- 691- 1095- 1129م[2] ، فقد تضمنت خطة لويس التاسع ملك فرنسا تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية[3] ، وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة لمحاربة الإسلام ووقف انتشاره[4] ، التنصير (التبشير) تعليم تربوي يهدف إلى إخراج المسلمين من عقيدتهم ومذاهبهم[5] ، حمل الناس بصورة أو بأخرى ـ أفراد أو جماعات غير النصرانية ـ إلى العقيدة النصرانية[6]، والحيلولة دون دخول الأمم الأخرى غير النصرانية في الإسلام، والوقوف أمام انتشار الإسلام بإحلال النصرانية مكانه، أو الإبقاء على العقائد المحلية المتوارثة[7] ، وتحويل العقل والنفس، وإخراج المسلم من مفهوم الإسلام الصحيح، ومن قيم الإسلام

---

(1) محمد سعد شعيب ـ وعبدالبصير علي، الاستشراق والتنصير، (د.ط)، 2007م، ص23.

(2) علي بن إبراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير، ص17.

(3) عبد الرحمن بن عبد الله، مرجع سابق، ص ص9-10.، أحمد أنور الجندي، التبشير والاستعمار، (د.ط)، (د.ت)، ص129.

(4) محمد شعيب ـ وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص6.

(5) سلمان سلامة عبد الملك، أضواء على التبشير والمبشرين، الأمانة، ط1، 1994م، ص21.

(6) نونه ناديه، مرجع سابق، ص39.

(7) علي بن إبراهيم الحمد النملة، التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله، وسبل مواجهته، (د.ط)، (د.ت)، ص25.

الحق بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع[1] ، وهدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله[2]، وفتح الطريق أمام فكرة وقلبه ليتقبل كل فكر وافد، فعمل المنصرون على الدعوة إلى تقوية العنصريات والأقليات والعصبيات والقوميات (فارسية، تركية، عربية)، وإحياء الحضارات القديمة الفينيقية والإغريقية لخلق ثقافات وتاريخ سابق على الإسلام، ومحاولة التشكيك في تاريخ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ، والادعاء بأن القرآن مستمد من التوراة والإنجيل، واستغلال الآيات التي مجد القرآن فيها السيد المسيح عليه السلام والسيدة مريم للتبشير بالمسيحية[3] ، واعتقاد المبشرين المنصرين أن تبشير العالم فرض على المسيحين يستندون في ذلك أيضاً إلى ما جاء في نهاية إنجيل مرقس أقدم الأناجيل المسيحية[4] : "اذهبوا إلى العالم أجمع وكرزوا[*] بالإنجيل إلى الخليقة كلها"[5] .

أصدر بابا الفاتيكان أمراً في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي بإنشاء كراسي للغات العربية والعبرية في عدة جامعات في أوروبا، منها: باريس، اكسفورد، اقتناعاً منه بأن تنصير المسلمين لن يؤتي ثماره إلا بالتعلم[6] ، واتجهت الكنيسة الغربية إلى التنصير من خلال الفكر والثقافة والعلم وما تسميه اليوم الغزو الفكري الثقافي، الذي اتخذ من الاستشراق منطلقاً له من خلال تشويه الإسلام بطرق شتى[7] ، ومنها: الدعوة إلى العميات (اللغة المحلية)، والقضاء على اللغة العربية الفصحى، والحيلولة بين النشء وبين تعلم لغته التي هي المفتاح للإسلام والقرآن، والادعاء بأن اللغة العربية

---

(1) أحمد أنور الجندي، الإرساليات وسيلة لهدم العقيدة والتشكيك بالإسلام، (د.ط)، (د.ت)، ص4.

(2) أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص162.

(3) أحمد أنور الجندي، الإرساليات وسيلة لهدم العقيدة والتشكيك بالإسلام، ص ص3-4.

(4) محمد شعيب ـ وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص194.

(*) التكريز: في الأصل كلمة سريانية، تعني إعلان الإنجيل، أي إعلان الخلاص بواسطة المسيح، والموضوع الأساسي للكرازة هو قيامة المسيح. بولس الغفالي، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص412.

(5) إنجيل متى، الإصحاح السادس عشر، فقرة15-16، ص53..

(6) محمد سعد شعيب ـ وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص11.

(7) علي بن إبراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير دراسة ظاهرتين، ص25.

لم تعد صالحة لاستيعاب وتفريغ اللغة الفصحى من الروح الإسلامية[1] ، ولذلك تبنت الدول الكبرى الأوروبية هذه السياسة فحملت رايات التنصير؛ لأنها تحقق لها الأهداف التي تتطلع إليها سواء كانت دينية أو سياسية أو اقتصادية[2] ، عن طريق استغلال الطلاب والمرضى والتأثير على مفاهيمهم، وتحطيم معنوياتهم وتنشئة أجيال ممسوخة مضطربة الثقافة منكرة لقيمها وتراثها ولغتها وتاريخها[3] ، وإعداد نشء لا يعرف الصلة بالله، ولا يهتم، يحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، مهماتهم إفساد في الأرض وصد عن سبيل الله وإشاعة الفاحشة[4] ، والهدف من الوقوف وراء التبشير (التنصير) الرغبة في تنشئة جيل يدين بالولاء للدول التي تحمي المدارس التبشيرية، والولاء للثقافة الغربية والتنصل من الشخصية القومية والدين ومن اللغة[5] ، ويقول روبرت ماكس[*] : "لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ويقام قداس الأحد في المدينة"[6] .

ولهذا وضعت المنظمات التنصيرية استراتيجية خاصة لتحقيق هذا الهدف[7] ، عن طريق المبشرين (المنصرين) الذين يلبسون في كل مكان لباس التقوى، ويلوحون للناس بأنهم ملائكة الرحمة ورسل الإنسانية وحملة مشاعل النور والثقافة[8] ، وتقوم أعمالهم على فكرة الدعوة إلى

---

(1) أحمد أنور الجندي، الإرساليات وسيلة لهدم العقيدة والتشكيك بالإسلام، ص3.

(2) عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، مرجع سابق، ص10.

(3) سلمان سلامة عبد الملك، مرجع سابق، ص21.

(4) عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، مرجع سابق، ص13.

(5) عبد الجليل التميمي، الحركة التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية العلوم الإنسانية، جامعة تونس، تونس، منشورات مركز البحوث والدراسات العثمانية الموريكسية، 1982م، ص46.

(*) روبرت ماكس: أحد المنصرين الأمريكيين. محمد شعيب ـ وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص232.

(6) محمد شعيب ـ وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص232.

(7) أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص170.

(8) سلمان سلامة، مرجع سابق، ص22.

التسامح المشبوه؛ لأنها هي الطريقة الوحيدة التي تساعد المنصرين على اختراق المسلمين[1] ، ولا يتم ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية وتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي[2] ، والإيحاء بأن المبادئ والمثل والتعاليم النصرانية أفضل من أي مثل ومبادئ أخرى، وبأن تقدم الغربيين الذين وصلوا إليه بفضل تمسكهم بالنصرانية، ويعزى تأخر العالم الإسلامي إلى تمسكهم بالإسلام[3] ، ويكون بذلك الهدف أن يخرج المسلم من دينه، وأن لم يعلن اعتناقه للنصرانية، يقول صموئيل زويمر[*] : "مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق، وبذلك تقومون أنتم بعملكم"[4] كما لم يغب عن المنصرين أهمية المرأة في المجتمع، لذلك اهتموا بها لتنصريها والتنصير بها[5] ؛ لأن الوصول إليها بالتبشير وصول إلى الأسرة كلها[6] ، إن التنصير قد أتكأ كثيراً على الاستشراق في الحصول على المعلومات عن المجتمعات المستهدفة لاسيما الإسلامية[7] ، وخاصة عندما اكتسب مفهوم التنصير معنى أوسع من مجرد الإدخال في النصرانية إلى تشويه الإسلام، والتشكيك في الكتاب والسنة والسيرة النبوية، فكان فرسان هذا التطور في المفهوم هم المستشرقون، هنالك علاقة بين الاستشراق والتنصير ، فكان الهدف الرئيس للاستشراق الهدف التنصيري؛ إذ وجد جمع من المستشرقين هدفوا

---

(1) أحمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص170.

(2) محمد شعيب، عبد البصير علي، مرجع سابق، ص220.

(3) المرجع نفسه، ص ص229-230.

(*) صاموئيل شاتليهوم زويمر (1862م-1952م)، من أقطاب التنصير في البلاد العربية، يُعد رئيس المستشرقين في الشرق الأوسط لأكثر من خمسين عاماً، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي، وهي مجلة تنصيرية، تهتم بدراسة شؤون المسلمين لوضع الخطط والعقبات في طريق تقدم المسلمين أو نشر الإسلام، وله مصنفات عن الإسلام، منها: (الإسلام، والإسلام في جنوب أفريقيا). محمد شعيب ـ وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص185.

(4) عبد الرحمن عبد الله، مرجع سابق، ص13.

(5) مصطفى خالدي ـ وعمر فروخ، مرجع سابق، ص64.، محمد شعيب ـ وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص264.

(6) مصطفى خالدي ـ وعمر فروخ، مرجع سابق، ص23.

(7) علي بن إبراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير دراسة بين ظاهرتين، ص21.، محمد شعيب ـ وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص265.

من دراستهم للشرق إلى تعميق فكرة التنصير في المجتمع، وحاولوا بطريقتهم العلمية تحقيق مفهوم التنصير، وحتى تؤتي محاولات التنصير ثمارها بنجاح تعلم المستشرقون لغات المسلمين وإقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين النصراني[1] .

احتضنت دول أوروبا الحملات التنصيرية (التبشيرية)[2] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي؛ فالكاثوليكية في حماية فرنسا، والأرثوذكسية في حماية روسيا، والبروتستانتية تدعمها انكلترا[3] ، وتشير اعترافات بعض المنصرين بأنهم صنائع المستعمرين، يعملون لحسابهم ويحققون أهدافهم وأغراضهم؛ ليتمكنوا هم من امتصاص خيرات البلاد والاستيلاء على ثرواتها[4] ، في عام1830م سيرت فرنسا جيشاً لاحتلال الجزائر، واصطحبت معها جيشاً جراراً من المبشرين، ولم تمض سنوات حتى أصبح الكاردينال شارل مارسيال المان لا فيجري قائداً ومطران للجزائر، وكبير أساقفة إفريقيا[5] .

مما سبق يتضح أن مفهوم التنصير وهدفه هو زحزحه أكبر قدر من المسلمين عن دينهم، والتشكيك في عقائدهم، والدعوة إلى تنصيرهم، ولاسيما بعد فشل الحروب الصليبية على العالم الإسلامي، فقد استخدمت كافة الهيئات والأفراد والجماعات، وخاصة المبشرين لتحقيق أهداف التنصير، تنشئ به أجيال ممسوخة مضطربة الثقافة منكرة لقيمها وتراثها.

وسنتناول في الفصل الثاني هذا الموضوع بشيء من التفصيل من خلال المدارس والتعليم الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب.

---

(1) علي بن إبراهيم الحمد النملة، المستشرقون والتنصير دراسة بين ظاهرتين، ص ص21، 17.

(2) المرجع نفسه، ص35.، محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة، دار المنارة، ط2، 1989م، ص35.

(3) عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص36.

(4) سلمان سلامة، مرجع سابق، ص22.

(5) عبد العزيز الكحلوت، التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، 1992م، ص38.

الفصل الثاني

المراكز الأوروبية في ولاية طرابلس الغرب ودورها في محاولات التنصير الأوروبي

المبحث الأول: القنصليات الأوروبية والعمل التنصيري.

المبحث الثاني: دور البعثات الطبية الأوروبية والمحاولات التنصيرية.

المبحث الثالث: الكنائس الأوروبية في ولاية طرابلس الغرب والدور التنصيري.

المبحث الرابع: دور المدارس التبشيرية ومحاولاتها التنصيرية.

المبحث الأول

القنصليات الأوروبية والعمل التنصيري

يمكن إرجاع النظام القنصلي في الشمال الإفريقي إلى فترة الحروب الصليبية التي قامت بدور مهم في العلاقات السلمية بين المسلمين والمسيحيين، وأثرت تلك الحروب في النشاط التجاري المتبادل بين سكان أوروبا وشمال أفريقيا، وكان من نتائجه تأسيس القنصليات الأوروبية في مدن الشمال الأفريقي، ويُعد القنصل المصدر الرئيس الذي يرجع إليه في التعرف على اتجاهات الدولة ونياتها، إذ لم تكن هذه النيات من الوضوح بدرجة كافية، فكان المصدر الرسمي للمعلومات المتعلقة بسياسة حكومته تجاه الدول التي يمثلها فيها[1] .

كان للقنصليات الأوروبية دور كبير في التنسيق والتخطيط مع الأجهزة الحكومية الأوروبية التابعة لها، وعمل القناصل كحلقة اتصال بين الولاية وحكوماتهم[2] ، والقناصل ـ الممثلين الأوروبيين في الدولة العثمانية ـ كانوا امتداداً للامتيازات الأجنبية التي منحت لدولهم، عندما كانت الدولة العثمانية الإمبراطورية الأقوى في العالم بإمكانها أن تمنع أو تمنح[3] ، وقد حصلت فرنسا 1535م بموجب اتفاقية عقدها (فرانسوا الأول) مع (سليمان القانوني) على امتيازات، وحصلت الحكومة الإنجليزية عام1579م على نفس الامتيازات[4] ، ولعب القناصل الأوروبيون دوراً مهماً في حماية مصالح دولهم السياسية والاقتصادية والدينية، وحماية مصالح رعاياهم، وذلك ضمن هذه الاتفاقيات والمعاهدات مع الدولة العثمانية[5] .

---

(1) ياسمين مصباح، دور القنصليات والممثليات الأجنبية في طرابلس الغرب 1711-1835م، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة عمر المختار، 2002-2003م، ص ص70-71، 81.

(2) ياسمين مصباح، مرجع سابق، ص ص70-71، 81.

(3) امساعد الدروقي، برقة بين السيطرة العثمانية والقوى المحلية والأطماع الأجنبية 1835-1911م، دار المعرفة الجامعية، 2013م، ص148.

(4) عبد الله الخباط، مرجع سابق، ص11.

(5) ياسمين مصباح، مرجع سابق، ص88.

كان التنافس بين فرنسا وإنجلترا من أجل الحصول على الامتيازات في عاصمة الدولة العليا، وامتد إلى الولايات التابعة للإمبراطورية، وكانت ولاية طرابلس الغرب أهم الولايات التابعة للإمبراطورية بحكم موقعها الجغرافي المهم[1] ، وأدى هؤلاء الدبلوماسيون القناصل، التجاريون أحياناً كثيرة، أدواراً خطيرة في الدولة العثمانية بتدخلهم السافر في الشؤون الداخلية، وكان لملاحظاتهم وتقاريرهم أثر واضح في توجيه سياسات دولهم إزاء أقاليم الدولة المختلفة[2] .

وللقنصليات الأجنبية جذور تاريخية في الولاية في فترة حكم الأسرة القرمانلية، التي كانت تعرف باسم الإيالة، حيث وجدت القنصلية الأمريكية 1786م وقامت بتعيين قنصلها (جيمسي كاثكارث) في الإيالة، ولعب دوراً بارزاً في توطيد العلاقات بين إيالة طرابلس وأمريكيا، مع وجود قنصليات أوروبية مثل الدويلات الإيطالية: (قنصلية البندقية، ساردنيا، مملكة الصقليتين، نابولي، توسكانيا)، وتضمنت المعاهدات بين قنصلية توسكانيا وإيالة طرابلس السماح لرعايا دولتها بأداء شعائرهم الدينية[3] ، وكان لبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والنمسا والسويد قناصل في مدينة طرابلس، ونواباً ووكلاء في بنغازي، وهم مرتبطون بسفارات بلدانهم في اسطنبول[4] .

كانت المنافسة بين هؤلاء القناصل على أشدها، مما انعكس على علاقات دولهم وسياستهم تجاه الدولة العثمانية، وأصبحت قوة الدولة ومكانتها هي التي تحدد تأثير السفير أو القنصل، فالقنصل الانجليزي كان في مقدمة القناصل من خلال تأثيره وتدخله السياسي والاقتصادي والإداري في الدولة العثمانية وممتلكاتها، ولا سيما طرابلس، حيث جمع جورج وارنجتون George Werington القنصل الإنجليزي (1814-1846) خيوط السياسة والاقتصاد والإدارة للإقليمين (طرابلس وبرقة) طيلة ثلاثين عاماً، ويأتي السفراء والقناصل الفرنسيين بعده[5] .

---

(1) عبد الله الخباط، مرجع سابق، ص92.

(2) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص149.

(3) ياسمين مصباح، مرجع سابق، ص ص92، 129، 140، 146، 152.

(4) فرانشيسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب وتقديم: خليفة التليسي، طرابلس-ليبيا، ط2، 1984م، ص ص21-24.، امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص143.

(5) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص149.

توسط قناصل الدول الأوروبية بين السلطات العثمانية وبعض المتمردين من الرعايا العثمانيين؛ وذلك لتحقيق مكاسب وامتيازات، كوساطتهم بين السلطات العثمانية وعبد الجليل[*] سيف النصر[1] ، وهذا يوضح أن القناصل الأجانب كان لهم دوراً بارزاً في حركات التمرد، وعلى الأخص القنصل الإنجليزي (وارنجتون) الذي تدخل مرة أخرى بين الباشا وعبد الجليل لوجود علاقة بينهما، وكذلك تأييده لحركة الثورة، وتدخل القناصل بشكل مباشر في النزاعات الأسرية في فترة تنازل (يوسف باشا) عن الحكم لابنه؛ مما أدى إلى انقسام القناصل إلى فريقين: فريق مؤيد لابن الباشا (علي)، وفريق مؤيد لابن عمه (محمد)، وأدى هذا التدخل إلى زيادة الصراع بين أفراد الأسرة القرمانلية، مما نتج عنه عودة الحكم العثماني الثاني[2] .

لقد قام (ريتشاردسن) بعمل مقارنة بين (وارنجتون) في طرابلس الغرب، والقنصل البريطاني في طنجة "هي- Hue" أوضح فيها بأن وارنجتون كان قادراً على عمل كل شيء في باشاوية طرابلس، وظل وارنجتون الباشا الفعلي لطرابلس زمن يوسف باشا[3] ، حيث قام بتذليل المصاعب والمخاطر التي واجهت الرحالة في طرابلس ووسط أفريقيا، وكان يعمل لحماية أبناء قطره فيها، وزادت مكانة القنصل وارنجتون وأصبح له الأسبقية على قناصل الدول الأوروبية المعتمدين في إيالة طرابلس، فقام بالعديد من النشاطات في ميادين مختلفة، حيث عمل على إدخال التطعيم في طرابلس 1816م، وقدم اقتراحاً بالزيادة في الإنتاج الزراعي عام1817م، وعمل على إرسال نائب قنصل (جلجوفي) إلى مرزق؛ لتحسين الارتباط التجاري مع الدواخل، وتحسين العلاقات التجارية

(*) عبد الجليل بن غيث بن سيف النصر، وجد في قصر يوسف باشا وترعرع بين أولاده، ترأس في 1826م حملة عسكرية إلى بورنو، وفي عام 1830م ظهرت الاضطرابات في الإيالة، وسخط السكان على استبداد يوسف باشا بسبب الجور الضرائبي، مما دفعهم إلى الانتفاضة، فبدأ عبد الجليل الثورة محاولاً استلام السلطة في الإيالة، وانضمت بعض القبائل إلى قبيلة أولاد سليمان المتمردة. نيكولاي إيليتش بروشين، مرجع سابق، ص75.

(1) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص167.

(2) ياسمين مصباح، مرجع سابق، ص ص344، 352، 356.، كولا فوليان، مرجع سابق، ص186.

(3) جيمس ريتشاردسن، ترحال في الصحراء، ترجمة: الهادي بو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 1993م، ص326.، فريال قاسم، مرجع سابق، ص196.

بين بريطانيا وطرابلس، وساعد باشا طرابلس للحصول على قرض بقيمة عشرين ألف دولار؛ لتغطية حاجات الباشا الملحة، وبذلك كسب ثقة الباشا وأصبح مستشاره في أمور البلاط، كما كانت كثير من الدول الأوروبية مثل: توسكانيا، وهولندا التي لم يكن لها تمثيل دبلوماسي في طرابلس تلجأ إليه في تسيير أمورها، وعمل وسيطاً بين القبائل العربية والباشا حتى لا يزيد عليهم ثقل الضرائب، وقام بحماية كل من يلجأ إلى القنصلية ويحصل على عفو الباشا[1] .

يتضح مما سبق أن العهد العثماني الثاني في ولاية طرابلس وبرقة اتسم بقوة تأثير القناصل الأجانب، وتدخلهم في شؤون الولاية، مما انعكس سلباً على الأوضاع الإدارية، حيث كثرت القلاقل والتمردات القبلية، وكثر عزل الولاة، مما كان سبباً في زعزعة الأمن والاستقرار فيها، وزيادة تدخل القناصل في الشؤون الداخلية، وأصبح نفوذهم أكبر، حيث كانوا يسبغون حمايتهم على كل خارج عن القانون، وكان المتمتع بالحماية يحصل على الحصانة من المتابعة القانونية[2] .

دخل قنصلا بريطانيا وفرنسا ونائبيهما في برقة دائرة التنافس مع غيرهم من الدول الأخرى، وكانوا الأكثر نشاطاً وفاعلية، ولم يقتصر دورهم على إثارة الفتن وتقديم الحماية لمن يطلبها تحت ذريعة توفير الأمن والرعاية والدفاع عن مصالحهم من ظلم الإدارة العثمانية، بل تصدى إلى تقديم مشاريع لتقسيم إقليمي طرابلس وبرقة، فقد قدَّم (المسيو لاروش La- Roche) القنصل الفرنسي في طرابلس عام1855م، لحكومته مشروعاً لتقسيم ولاية طرابلس وبرقة، وأشار على الحكومة العثمانية بأهمية تنفيذه، وتقسيم الإقليمين بين كل من تونس ومصر، وحتى في حالة استيلاء فرنسا على تونس تقوم بضم طرابلس، وبريطانيا تضم برقة في حالة الاستيلاء على مصر، غير أن هذا المشروع لم يحظ بموافقة الحكومة الفرنسية[3] .

---

(1) فريال قاسم، مرجع سابق، ص ص176-178-188.

(2) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص15.

(3) وثيقة(86): رسالة من الوالي مصطفى نوري باشا إلى وزارة الخارجية حول المؤامرة الفرنسية على إقليمي طرابلس وبرقة بتاريخ 23شوال 1271هـ-1855م، نقلاً عن: عمر بن إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي، مرجع سابق، ص645.

استغلت الدول الأوروبية من خلال نواب قناصلها في برقة طلبات الحماية المقدمة ضد التجار المسلمين من المالطيين واليهود واليونانيين، وجعلوهم أهداف، مستغلين العواطف الدينية والميول المذهبي، كما اتخذ القناصل من تجارة الرقيق ذريعة للتدخل في شؤون الولاية على نطاق واسع[1] .

بالإضافة إلى أن كثير من القناصل ونوابهم استغلوا الإرساليات التبشيرية والضغط على مسؤولي الحكم لإنجاز كثير من أعمالهم، فقد تحدث القنصل الفرنسي في بنغازي عن وصول الراهب (سلفترور داينبولا) إلى بنغازي عام1838م، واستئجاره لمبنى القنصلية الفرنسية القديمة بمبلغ ثلاثين تاليريا[*] من نائب القنصل (إنريكو روسوني)[2] .

تم تعيين عدد من نواب القناصل مثل: ديكسون، وفردريك، وجيمس ريتشادرسن، وججلوفي في المناطق الصحراوية، وكانوا يعملون لترويج التجارة البريطاني، واستخدم نواب القناصل وسائل دعائية قريبة من الوسائل التي استخدمها الرحالة، وزودت الحكومة البريطانية بشكل منتظم (ججلوفي)[**] بالأدوية والمعدات الطبية عام1846م، وساهم ججلوفي في تسيير أمور البيت الذي كان مخصصاً كمستشفى، وأعلم نائب ججلوفي شيخ غات ببعثة(ريتشاردسن، وبارث) كي يؤمن لهم سلامة الرحيل[3].

تطوع (بارث) للسفر مع (ريتشارسن)؛ لاستكشاف وسط أفريقيا، فقد كان يهوى الاستكشاف، بينما ريتشاردسن يرى أن البعثة أكثر من كونها استكشافية، فإنها ذات أهداف تجارية، وخيرية، وتبشيرية، فنشاطه تبشيري[4] يدعو لنشر المسيحية، وحاول أثناء الرحلة استخدام الزنوج لترجمة الأناجيل، ودعا إلى ضرورة دعم المبشرين البروتستانت في السواحل بزيارات المطران، ومقاومة نشاط قساوسة الكتب الكاثوليكية، موضحاً أن الفرنسيين جنوا محصولاً وافراً من حمايتهم للمسيحية، وأصبحت محركهم السياسي للتوسع[5] .

---

(1) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص ص153-154.

(*) تاليريا: تالر ماريا تريزا، بالإنجليزية (Maria Theresa thaler): يعرف أيضاً باسم الريال النمساوي أو دولار ماريا تريزا، هي عملة فضية سكت عام 1741، وسمي باسم الملكة ماريا تيريزا التي حكمت النمسا وهنغاريا وبوهيميا من عام1740 إلى 1780، استخدم الريال النمساوي في التجارة العالمية بشكل مستمر، وبتاريخ 19 سبتمبر 1857 أعلن الإمبراطور فرانز جوزيف إمبراطور النمسا بأن دولار ماريا تريزا هو العملة الرسمية للتجارة بالنمسا، ولكن بعدها بسنة أي 31 أكتوبر 1858 فقدت تلك العملة وضعها الرسمي داخل النمسا، ... . https://ar.wikipedia.org›wiki›

(2) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، الحوار، ط1، 1994م، ص43.

(**) ججلوفي: وكيل القنصل البريطاني في مرزق. فريال قاسم، مرجع سابق، ص196.

(3) فريال قاسم، مرجع سابق، ص ص210-211.

(4) المرجع نفسه، ص223.

(5) جيمس ريتشاردسن، مصدر سابق، ص ص227، 236.، فريال قاسم، ص125.

عند وصول ريتشاردسن إلى مرزق، وحواره مع الناس، بدأ يروج للعقلية المسيحية الأوروبية، ويخبر السكان بأن القطر لو كان بأيدي مسيحيين فإنه سوف تزدهر أحواله بالزراعة والصناعة نتيجة الذكاء الأوروبي، وتتحول الصحراء إلى جنة[1] .

هذا أغلب أسلوب المنصرين، التحدث عن ذكاء المسيحيين، وأن من يدخل المسيحية يتميز بالذكاء والتقدم، وكان ريتشاردسن منصراً أطلق على نفسه (مُرابط) عند التحدث مع سكان الصحراء، وخاصة عند توزيع الدواء على المرضى، زود (وارنجتون) الرحالة (ريتشاردسن) أثناء رحلته بأدوية ليوزعها على الأهالي، فقد كان هؤلاء الرحالة على اتصال دائم بنواب القناصل في الصحراء[2] ، كما استفاد الرحالة جيمس هاملتون من خدمات القنصل البريطاني في بنغازي السيد (ورى Werry)، حيث اتخذ القنصل (ورى) كافة الإجراءات لضمان سلامته عندما كان في الدواخل[3] ، كما تلقى مساعدات من السيد "أكيلنا Aquilina" في درنة[4] .

ازدادت الإرساليات التنصيرية، وأفواج من الرحالة والمستكشفين منذ أن بدأت الأطماع الاستعمارية الأوروبية تتجه صوب شمال إفريقيا[5] ، حيث قام هنريك دوفيريه برحلة إلى غدامس 1860م، ومرزق، وزويلة، وجمع معلومات حول هذه المراكز التي كانت معروفة بشدة التعصب الديني، وأدرك أهمية ولاية طرابلس الغرب، والنفوذ الكبير الذي يتمتع به قنصل فرنسا بطرابلس (ب-ابوتا P- EBotta) كما مرَّ الرحالة دوفيريه بنالوت وجبل نفوسة، وكانت المساعدات التي قدمها له القنصل (بوتا) لدى الوالي (محمود باشا) قد مكنته من القيام برحلته في المناطق الداخلية في ولاية طرابلس الغرب، إذ حصل بواسطة القنصل على رسائل توصية تهيب بجميع الموظفين التابعين للحكومة بالعناية والحماية لهذا الرحالة[6] .

---

(1) جيمس ريتشاردسن، مصدر سابق، ص394.، فريال قاسم، مرجع سابق، ص128.

(2) فريال قاسم، مرجع سابق، ص ص195-198.

(3) جيمس هاملتون، جولات في شمال إفريقيا، تعريب المبروك الصويعي، طرابلس-ليبيا، دار الفرجاني، (د.ت)، ص177.

(4) فريال قاسم، مرجع سابق، ص191.

(5) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص187.

(6) اتيلوموري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا في مطلع القرن التاسع عشر وحتى الاحتلال الإيطالي، تعريب: خليفة التليسي، طرابلس، دار الفرجاني، ط1، 1971م، ص ص66-68.

دخل الإنجليزيان: (مردوخ، سميث) إلى طرابلس لمقابلة الوالي، ثم توجها إلى بنغازي، حيث وجدا مساعدة كبرى من القنصل الإنجليزي (جي كروان- Guy Crown)، الذي زودهما برسائل التوصية والحراسة لبلوغ قورينا والقيام بالأبحاث والحفريات، وصل هؤلاء الرحالة والمستكشفون إلى الولاية تحت أزياء وشعارات مختلفة، وفي رسالة موجهة إلى وزارة الخارجية، بتاريخ 15رجب 1269هـ/1859م، وأشارت إلى وصف شخصية غريبة بصحبة بضعة أشخاص آخرين، وكان لدور القناصل هنا وظيفة التمويه والتستر على الأعمال التي يقوم بها أمثال هؤلاء، واضطلع القناصل بمهمة إخفاء الحقيقة، فالسيد "بوطا BOTTA" قنصل فرنسا في طرابلس كان يموه عن سبب مجيء المدعو (الحاج اسكندر)، وبرغم من أن الحاج اسكندر رجل فرنسي، إلا أن بوطا قد أخفى هويته، وكان مضمون الرسالة إلى وزارة الخارجية ... منذ بضع أيام وصل إلى طرابلس عن طريق تونس شخص يدعى (الحاج اسكندر)، عمره خمس وعشرون سنة، يتكلم العربية والفرنسية، بصحبة أربعة أو خمسة أشخاص، وصل لزيارتي برفقة القنصل الفرنسي مسيو "بوطا"... أثناء الحديث تطرقت للاستفسار عن جنسية الحاج اسكندر وسبب مجيئه ...، فقال أنه يحمل جوازاً من دولة بروسيا، وأنه تشرف بالدين الإسلامي، وسافر إلى الحجاز وأدى فريضة الحج، وسبب مجيئه هو السفر إلى السودان (تشاد والنيجر) عن طريق قضاء غدامس ... وأنه الآن تحت الحماية الكريمة، وأيده القنصل بقوله: ... تحت حمياتكم ...، ورداً على الاستفسار عن الإجراءات اللازمة، رد القنصل بأن المذكور من رعايا دولة فرنسا، وتحقق من المراقبة أنه يدخل الجوامع للعبادة لا ادعائه الإسلام، ولكن شوهد وهو يدخل كنائس النصارى واليهود ... وعلم من إفادات لبعض الجاليات أن الحاج اسكندر فرنسي الأصل، أجرى ختانه عن طريق الأطباء في باريس[1] .

---

[1] وثيقة بتاريخ 15 رجب 1264هـ الموافق 1859م. نقلاً عن: مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص ص187-188.

بالإضافة إلى أعمال الرحالة والقناصل في ولاية طرابلس الغرب لم تخفي إيطاليا أطماعها ومخططاتها بشأن السيطرة على طرابلس وبرقه، ومن هذه المخططات التذرع بقضية الرقيق المنافية للأخلاق، لإيجاد قاعدة من العبيد المحررين لتسهيل عملية الغزو، ويظهر ذلك في رسالة وزارة الشؤون الخارجية للمستعمرات إلى السفير الإيطالي في اسطنبول، اقترحت الوزارة على السفير أن تعمل إيطاليا على إعتاق العبيد ذكوراً وإناثاً، والحيلولة دون إعادتهم من بنغازي إلى واداي[1] ، وعليه يجب تجميع أكبر عدد من هؤلاء العتقاء في إقليم برقة، وإيوائهم في إحدى المؤسسات التابعة لهم، وإسباغ صفة الدولة عليهم، وإسناد العمل برمته إلى مؤسسة المبشر الأب (جيرولمو Gerolmo) التابع إلى مؤسسة المبشرين الدولية في بنغازي، على أن تقوم المؤسسة بإيواء المحررين ولاسيما صغار السن، وإطعامهم وتلقينهم اللغة الإيطالية، ولقيت هذه الرسالة معارضة من الحكومة العثمانية ومن حاكم بنغازي، فهي لا تريد أن ترى هؤلاء الصغار يتحولون على أيدي القناصل والمبشرين إلى المسيحية، ولاسيما أنه ليس بإمكانهم الاختيار بين المسيحية والإسلام؛ لأنهم سيختارون ديانة هؤلاء الحماة، وتفاقم نفوذ القناصل ونوابهم في إقليمي طرابلس وبرقة، وغالوا في استغلال امتيازاتهم منتهزين فرصة ضعف الدولة العثمانية وإدارتها، وفرض سياسة الأمر الواقع عليها منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وطيلة القرن التاسع عشر الميلادي[2] .

بالمقابل لم يقبل النصارى دخول أي نصراني في الدين الإسلامي، ففي عام 1860م ارسل نائب القنصل الفرنسي إلى دولته حول حادثة عزم فتاة مالطية من أسرة بيلا Bella على اعتزامها اعتناق الدين الإسلامي، كما احتج الأب باشيفكيو رئيس البعثة الفرنشسكانية في بنغازي لدى المحاسب العام والمتصرف بالوكالة للإقدام على خرق المعاهدات الدولية السارية بين الباب العالي والدول الأوروبية، وذلك بقبول عزم ماريا بيلا على الدخول في الإسلام من غير أن يسبق ذلك إعلام الجهات الدينية والسياسية التي تتبعها الفتاة، مع العلم أن الفتاة لم تصبح مسلمة بعد ...[3] .

---

(1) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص155.

(2) المرجع نفسه، ص ص156، 158.

(3) وثيقة بتاريخ 1283هـ/1867م، نقلاً عن مصطفى بازاما، برقة في العهد العثماني الثاني، ص ص201-204.

هنا شعرت السلطات العثمانية بتفاقم نفوذ القنصليات الأوروبية، وحاول السلطان عبدالحميد التصدي لهم بإصدار فرمان سلطاني تحت مسمى: "خصائص قناصل الدول الأجنبية القاطنين في الأقاليم السلطانية"، وذلك عام1880م، وطلب أن يُعمم على قناصل جميع الدول حتى لا يفهم فهماً سيئاً يمكن لهؤلاء استغلاله، فقد حدد الفرمان صلاحية القنصل بأن لا يتجاوز الاهتمام بالمصالح التجارية، بحيث لا يمارس صلاحيات السفراء[1] ، وقضى الفرمان بمنع جميع الرعايا الأوروبيين من التوجه إلى دواخل إقليمي طرابلس وبرقة، أو الإقامة خارج مدن الإقليمين، بما في ذلك القرى المجاورة للمدن[2] .

لا شك أن فرمان عام1880م جاء متأخراً في وقت تمادى فيه القناصل، وتجاوزوا صلاحياتهم كثيراً، فقد تجاوز (فاتيير دي بورفيل dc. Bourville Vattier) قنصل فرنسا في بنغازي صلاحياته، وقام بحفريات أثرية عشوائية بأساليب غير علمية في قورينا وتوكرة وطلميثة، وقام بتهريب المسكوكات والآثار، ما من شأنه تدمير العهدين اليوناني والروماني[3] .

زاد قناصل الدول الأوروبية في ولاية طرابلس الغرب من فرض نفوذهم وتدخلهم في الشؤون الداخلية للولاية، فقد وقّع مجموعة من قناصل دول كل من: النمسا، وإسبانيا، وبلجيكا، وفرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا عام1881م عريضة قدمت إلى والي طرابلس الغرب، طلبت فيها إصلاح النظام الأمني في الولاية، وجاء فيها: "نظراً لسوء حالة الأمن العام في طرابلس ... السرقات الجزئية ... اجتمعت الهيأة القنصلية بالمدينة ... بعد استشارة ... وأخذ التدابير التي يجب اتخاذها ..."[4] ، وفي عام1882م اهتمت البعثات بمساعدة القناصل بدراسة الحركة السنوسية، خاصةً بعدما تبين لهم دقة الجهاز التنظيمي، وكفاءة قادة الحركة إلى حد وصفها بأنها دولة داخل دولة، إضافة للروح الدينية، وقوة العقيدة لقيادة حركة مقاومة عاتية ضد التوغل الأوروبي[5] .

---

(1) أحمد الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882-1911م، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1971م، ص79.، امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص159.

(2) وثيقة رقم127: برقية من وزير الداخلية إلى الولاية بتاريخ 1908م. نقلاً عن: وثائق تاريخ ليبيا الحديث الوثائق العثمانية 1881-1911م، أحمد صدقي الدجاني، تقديم: عبدالسلام أدهم، منشورات جامعة بنغازي، ص213.

(3) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص179.

(4) وثيقة رقم (1): اقتراحات مقدمة من الممثلين القنصليين الأوروبيين في طرابلس إلى الولاية لزيادة تقوية القانون والنظام. طرابلس 4مايو 1881م، نقلاً عن: أحمد صدقي الدجاني، تاريخ ليبيا، الوثائق العثمانية، ص ص13-14.

(5) مصطفى بعيو، بعض الملامح التاريخية عن ليبيا، بنغازي، المطبقة الأهلية، (د.ت)، ص8.، امساعد الدروقي، ص160.

فازداد نشاط القنصلية الإيطالية في ولاية طرابلس الغرب، أثناء تعيين (ريجيني) (تاجر إيطالي اعتنق الإسلام وارتدى الملابس - الزي الليبي)، وكيلاً قنصلياً لإيطاليا في مصراته ، (ريبكي- REBRECCHI)، الذي قدم تصوراً لتوطيد مركز إيطاليا في طرابلس، بتطوير المعاهد الدراسية، وإنشاء مدارس في كل من طرابلس، وبنغازي، والخمس، ومصراته، ومسلاته، وسرت، ودرنة، وطبرق، وتوكرة، وكلف (فرانسيكو جوسب) أحد الساسة الإيطاليين القنصل الإيطالي بطرابلس (قراندي- CRAAND) بالتمهيد السياسي الإيطالي، وذلك بمنح الإغراءات للأعيان والمشايخ مقابل التأييد الإيطالي، واستمر القناصل الإيطاليون في بنغازي يحاولون الاتصال بالمشايخ والعناصر الوطنية لإقناعهم بأن ولاية طرابلس ستتقدم مثل تونس ومصر إذا ما قبل الليبيون بالسيادة الإيطالية عليها، غير أن اتصالاتهم لم تعط نتائج إلا للبعض، الذين كان لهم ارتباط سابق بإيطاليا[1] .

نشطت القنصلية الإيطالية مرة أخرى عام1902م، فامتلكت إيطاليا العدد الأكبر من المراكز التجارية، وأسست عدداً من المدارس لتعليم أبناء الجالية الإيطالية، ومن يريد التعلم فيها من أبناء السكان المحليين يتعلم اللغة الإيطالية[2] .

منحت الدول الأوروبية الرعوية لمن يطلبها من الأهالي، وهذا كان من ضمن أساليب التغلغل في أقاليم الدولة العثمانية، وتحول ولاء هؤلاء الرعايا إلى الدول التي منحتهم رعويتها وأصبحوا عيوناً وجواسيس لهذه الدولة في الأراضي العثمانية، كان هؤلاء أكثر تقبلاً لبرامج البعثات التبشيرية التنصيرية التي انهالت على طرابلس وبرقة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وكانوا أشد إقبالاً على إرسال أولادهم للتعلم في المدراس التي فتحتها في طرابلس وبرقة[3] .

---

(1) وهبي البوري، بنك روما – التمهيد الإيطالي لغزو ليبيا، مجلة الثقافة العامة، 2006م، ص40.

(2) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص162.

(3) وثيقة رقم(163). نقلاً عن: أحمد الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا، الوثائق العثمانية، ص ص289-230.

وعملت الحكومة الإيطالية على الإنفاق المباشر على بعثاتها التنصيرية في طرابلس برعاية القناصل، ودور الجمعيات مثل جمعية (الشفقة) التي انتظم فيها بعض الإيطاليين برئاسة الإيطالية (أميلله) زوجة القنصل الإيطالي بطرابلس، وهي جمعية نسائية عملت حفلات اليانصيب التي كانت تدعو لها أعيان المجتمع، مثل: الدفتردار، ومندوب الوالي، والتجار، كان هذا أسلوب الجمعيات الخيرية، وهي من الأساليب الملتوية لجمع المال من أشراف ووجهاء المجتمع، رصدت هذه المبالغ التي تم تحصيلها في هذه المناسبات لشراء ملابس للتلاميذ الفقراء، وكان التعاون بين الأجناس الأوروبية مختلفة الملل التي تأمل في خدمة الأهداف التنصيرية، بالإضافة إلى تعاون اليهود المحليين مع هذه العناصر، وكان اليهود يقولون: "لعلنا نهتدي إلى اتخاذ جمعية خيرية، مثل هذه تعود علينا وعلى أولادنا بالخير ما دامت هممنا كبيرة ومرادنا يبدأ في نهاية غيرنا"[1] .

وفي عام1904م نصح (ميدانا Medana) القنصل العام الإيطالي في طرابلس حكومته بأن التغلغل الاقتصادي هو الوسيلة الوحيدة لفرض السيادة الإيطالية على الولاية، ويكون بإنشاء مكاتب البريد، ومدارس ومراكز للخدمات الصحية في بنغازي وطرابلس، كما أصبح مصرف روما مركزاً للنفوذ الإيطالي في الولاية، فقد حصل المصرف على امتيازات خاصة من مصرف إيطاليا ومن نائب مصرف روما (لتوماسوتيتوني) وشقيقه (لتوراسوتيتوني) وزير خارجية إيطاليا 1906-1909م، كذلك وجود علاقة وطيدة بين المصرف والفاتيكان، وفتح مصرف عام1907م في طرابلس، وآخرين؛ أحدهما: في مدينة بنغازي، والآخر: في درنة[2] .

---

(1) محمد الكوني بالحاج، التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني، 1835-1911م، وأثره على مجتمع الولاية، الجماهيرية العظمى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000م، ص111.

(2) وليم. س. اسكيو، أوروبا والغزو الإيطالي لليبيا 1911-1912م ترجمة: ميلاد المقرحي، مراجعة: عطية البرير، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م، ص40.

خلاصة القول: تعددت محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب، بالإضافة إلى التدخل في شؤونها بشكل كامل، من خلال: مراكزها المتعددة، والتي تمثلت في مدارس الفرنشيسكان، ودورها التنصيري، ونشر الثقافة الأوروبية بين السكان والمساعدات الطبية المجانية، بمستشفيات الراهبات المتعددة والموجودة في ولاية طرابلس الغرب، ودور القنصليات الأوروبية ومساعداتها المتعددة للرحالة والمبشرين، وتسهيل أعمالهم ودخولهم إلى الولاية، والمساهمة في ضعف الولاية، والتغلغل الاقتصادي فيها، عن طريق: إنشاء مصرف روما بطرابلس عام1905م، توسيع أعمال المصرف في بنغازي، وهذا المصرف عبارة عن مؤسسة مالية تركز عملها في شراء الأراضي من خلال العمليات التجارية والقروض، كل هذه المحاولات ستجد ردود فعل من قبل المؤسسات الدينية الإسلامية في ولاية طرابلس الغرب، وهو ما سوف نتطرق إليه في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

المبحث الثاني

دور البعثات الطبية الأوروبية والمحاولات التنصيرية

عملت البعثات الطبية جنباً إلى جنب مع البعثات التنصيرية، وغالباً ما يتمتع الطبيب بالمعرفة المسيحية إلى جانب معرفته العلاجية، فقد سخرت المنظمات التنصيرية التطبيب في خدمة أغراض التنصير[1] ، وحرصت الدول الأوروبية على إرسال بعثات دينية وبعثات طبية إلى ولاية طرابلس الغرب بحجة رعاية المصالح الدينية للجاليات المسيحية من منطلق الاتفاقيات التي وقعتها مع الدولة العثمانية، وكانت كل بعثة تقدم خدمات للجاليات التي تنتمي إليها عقائدياً، حيث تولت فرنسا رعاية جاليات الفرنشيسكان ذات الجذور الكاثوليكية، بينما رعت بريطانيا الجاليات البروتستانتية والإنجليكانية، كما حرصت روسيا على أن تجد لنفسها مكاناً، لكن قلة أعداد الجالية الأرثوذكسية جعل التأثير الروسي ضعيفاً[2] .

كان هناك تزامن بين قيام الإرساليات التبشيرية بفتح المدارس والكنائس، وقيام البعثات الطبية بفتح المراكز الصحية[3] ، وكانت ولاية طرابلس الغرب كغيرها من الولايات التابعة للعثمانيين عرضة طوال التاريخ الحديث لتواتر الأمراض التي كانت لها انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فمن الناحية الاجتماعية تعرضت لنقص في تعداد السكان والهجرة خارجها، والهجرة الداخلية هرباً من الموت، وعلى صعيد الآثار الاقتصادية للأوبئة فقد أدى انتشارها إلى بيع التجار محلاتهم بأبخس الأثمان، كما جاء قرار من الإدارة العثمانية "يمنع فتح الأسواق في حالة تفشي الوباء"، وعلى الجانب السياسي برز دور الصحف المحلية في التنبيه والتحذير للوقاية من الأمراض، ومن هذه الصحف طرابلس الغرب والترقي[4] .

---

(1) عبد العزيز الكحلوت، مرجع سابق، ص87.

(2) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص ص276-277.

(3) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص178.

(4) أمال محمد المحجوب، تأثير الأمراض والأوبئة والمجاعات على المجتمع الليبي في العهد العثماني الثاني، أعمال الندوة العلمية التاسعة، المرج، 2000م، ص ص160، 271، 275، 283.

ففي عام 1630م انتشر وباء الطاعون في طرابلس وفتك بالكثير من الأهالي، وتوفي الراهب الأب (دي موريال) رئيس الإرسالية الكاثوليكية، كما توفي معه راهبان آخران، ولقد طلب قنصل فرنسا من داي طرابلس السماح له ببناء مستوصف يحتوي على خمسين سريراً لمعالجة من يُعانون من بين الأسرى (النصارى) وباء الطاعون، وقد تحصل القنصل على قطعة الأرض مجاناً من قبل السلطات القرمانلية، وتفشى أيضاً في عام 1675-1676م في طرابلس ومنطقة الدواخل[1] ، واجتاحها كذلك بين عامي 1784-1786م، وتوفي القساوسة الثلاثة بالمدينة نتيجة إسعافهم للمصابين[2] .

ووجدت العديد من المنظمات الطبية كمنظمة فرسان مالطة المنبثقة عن الهيئة الدينية (أمالفتيانية Amalftana) كانت تشرف على شؤون المستشفيات المسيحية التي كان لها نشاط في طرابلس، وتمثل في المعالجة والمساعدة، وفي افتداء أسرى المسيحيين منذ العهد العثماني الأول، ثم العهد القرمانلي، حيث انتشرت المستشفيات الخاصة بالإرساليات المسيحية، والتي كان لها دور في تقديم الخدمات العلاجية[3] ، وخلال العهد العثماني الثاني وجدت مستشفى أوروبية بمدينة طرابلس تديرها راهبات القديس يوسف، به قسمان للرجال، والنساء، يقدم العناية الطبية مقابل أجر بسيط، ولقيت هذه الخدمة تقديراً واستحساناً من الأهالي، وكان يدير المستشفى بقسميه البرونور (غاستوني تري)[4] .

---

(1) محمود الديك، الأوضاع الصحية في طرابلس منذ العهد العثماني حتى فترة الاستعمار الإيطالي، أعمال الندوة العلمية التاسعة، المرج، 2000، ص223.

(2) كوستانزيوبرنيا-طرابلس (1510-1950م)، ص228.، الآنسة توللي، عشرة أعوام في بلاط طرابلس، 1783- 1793م، ترجمة: عبد الجليل الطاهر، بنغازي، دار ليبيا، 1967م، ص66.

(3) محمود الديك، مرجع سابق، ص ص241-242.

(4) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 121.

فرانشيسكو كورو، مرجع سابق، ص103.

وفي عام 1858م وصلت بعثة دينية مسيحية من الراهبات الكاثوليكيات، تقدمن بطلب للسلطة العثمانية بشأن السماح لهن ببناء مستشفى صغير بالمدينة "طرابلس" بالقرب من سوق الترك، وتمت الموافقة على طلبهن، وتألف المستشفى من عنبرين يحتوي كل منهما على 12سريراً، وكما ضم عيادة خارجية لاستقبال المرضى، وكان يقدم خدمات طبية للأسر المسيحية وغيرهم من الأهالي[1] ، كما وجد في ضاحية المنشية في طرابلس دير ملحق بكنيسة لإقامة راهبتين وميتم يقطنه خمس من الرهبات يديرن صيدلية توزع الدواء بالمجان على الفقراء[2] ، وفي عام1854م وُقِّع في مقر مجلس اللواء بمدينة بنغازي على عقد مبايعة وشراء بين إدارة البعثة الإرسالية الدينية بطرابلس التي كان يمثلها الأب "ايفرسينو دا فيرنا" وبين ملاك الأراضي العرب، حيث تم بموجب ذلك العقد شراء قطعة أرض لغرض تشييد كنيسة ومساكن للرهبان الفرنشيسكان، إضافة إلى مستشفى صغير ملحق به وحدة إسعاف مجاني، كما بيعت قطعة الأرض بحوالي تسعة وعشرين ألف قرش تركي[3] ، وفي عام1867م وصل إلى بنغازي راهبات يعقوبيات قادمات من طرابلس، وكان في الاستقبال بعض رجال الدين الفرنشيسكان والقناصل الأجانب، وعدد من أعيان بنغازي، ولقد تولت الراهبات إدارة مدرسة البنات المسيحية، وفتحن مستوصف الفرنشيسكان وصيدلية صغيرة لتوزيع الأدوية مجاناً، كما فتحن فيما بعد مستشفى صغير بالمدينة.

وفي يونيو عام1869م حضر المشير (رضا باشا) مع رئيس الكرسي الرسولي (أنجلو داسانتا أجاثا) لحضور احتفال الناجحين من طلاب المدارس الكاثوليكية التي يديرها الرهبان والراهبات الفرنشيسكان، وكان ينوي القيام بزيارة لبعض المراكز الحضرية في برقة بصحبة الأب

---

(1) محمود الديك، مرجع سابق، ص242.

(2) أحمد عطية مدلل، التدخل الأجنبي في ليبيا (1881-1915م) ج1، الجماهيرية العظمى، منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، 2007م، ج1، ص63.

(3) فرنشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص107.

أنجلو دا سانتا[1] ، كما كان يريد من الرهبان إقامة مستوصفات على حساب البعثة تعالج المرضى، وتوزع الدواء بالمجان في كل من القيقب، ودرنة، والبمبة، وطبرق، بينما كان يريد رئيس الرهبان أن يسمح للبعثة بإقامة مركزين لها في البمبة وطبرق[2] ، وبهذا يتعين على المشير (رضا باشا) بذل كافة مساعيه لدى الباب العالي بالقسطنطينية لإصدار فرمان يتم بموجبه الموافقة على تلك المقترحات، بالإضافة إلى منح قطعة أرض تخصص لتشييد المباني المذكورة[3] .

انتهى عام 1874م من تشييد مستشفى صغير، وعيادة مجانية في مدينة بنغازي تقوم الراهبات اليعقوبيات بإدارته والإشراف عليه، ومن خلال مبادرة الدول الأجنبية بتشييد المستشفيات في ولاية طرابلس الغرب[4] ، فقد تبرع القنصل الفرنسي في 1878م باسم حكومته بمبلغ خمسمائة ليرة إيطالية لمواصلة البناء لمستشفى الراهبات اليعقوبيات في بنغازي، ومن الملاحظ أن الرهبان اليعاقبة كانوا كلما أوغلوا في الدواخل ارتدوا الملابس العربية، بما في ذلك الالتفاف بالعباءة حتى لا يلفتون النظر إليهم بأزيائهم الكهنوتية، أما في المدينة فهم يتجولون بحرية[5] ، مما يدفعني للتساؤل ماذا كان يعني ذلك؟ هل كان عندهم أهداف أخرى غير العلاج بالمستشفيات؟ وهل كان هدفهم القيام بأعمال تنصيرية دون لفت انتباه السكان؟ أو خوفاً من السكان الذين كانوا ينظرون نظرة شك إلى كل من هو نصراني موجود في البلاد؟

---

(1) المرجع نفسه، ص ص138-147.

(2) وثيقة من ولاية طرابلس إلى قائمقام البمبة لسنة1286هـ/1869-1870م. نقلاً عن: فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص143.

(3) فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص ص143، 152.

(4) قاسم الجميل، صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، الجماهيرية مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، ط1، 2003، ص55.

(5) وثيقة في سنة 1299هـ/1877-1878م، نقلاً عن: محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص321.

ونتيجة لما تعرضت له ولاية طرابلس الغرب منذ عام 1842-1874م من أمراض مختلفة مثل مرض التيفود، والحمى الصفراء التي انتشرت في مدينة بنغازي، ومرض الأعصاب والجدري الذي أدى إلى وفاة رئيس الإرسالية الكاثوليكية في بنغازي؟[1] .

وظهر أيضاً في منطقة المرج وتوكرة وبرسس وباء الطاعون، ووصل إلى هذه المنطقة الدكتور (راضي اليوناني، وليونارد، وآرثود)، وطبيب سلاح البحرية الفرنسية (لافال)، وأكد هؤلاء الأطباء أن المرض المنتشر هو وباء الطاعون[2] .

أعطى سوء الوضع الصحي العام في الولاية للدول الأوروبية مبرراً دائماً للتدخل في شؤونها[3] ، وانضمت الولايات المتحدة الأمريكية إلى القوة الأوروبية في نشر تقاليدها وطقوسها من خلال مجموعة الإرساليات التبشيرية البروتستانتية خارج ديارها على هيأة خدمات اجتماعية وإصلاحية، كإنشاء دور الأيتام، ورعاية المسنين، والمدارس، والمستشفيات، وذلك برعاية عدد من المنظمات والبعثات، ومنها إرسالية شمال أفريقيا البروتستانتية[4] .

أنشأت البعثة الطبية الأمريكية المركز الصحي، الذي عرف بالنقطة الرابعة بشارع أبو ريانة بالمدينة القديمة، إضافة إلى عدد من الصيدليات، منها: الصيدلية الاقتصادية بساحة السيدة مريم، وصيدلية برج الساعة، وصيدلية الخندق قرب الدرج المؤدي إلى سوق المشير، وسميت فيما بعد بصيدلية البلدية[5] .

ووجدت جمعيات خيرية في الخمس، مثل: جمعية الفرنشيسكان، وجمعية القديس (دوموندو)، حيث امتهنت هذه الجمعيات أعمال التطبيب والإشراف على الكنائس والأديرة ذات العلاقة بالأعمال التبشيرية، ورعاية المصالح الأوروبية في المنطقة[6] .

---

(1) محمود الديك، مرجع سابق، ص ص229-232.

(2) محمود الديك، مرجع نفسه، ص236.

(3) قاسم الجميل، مرجع سابق، ص55.

(4) مريم أحمد سلامة، مستوصف المستر ريد (1882-1969م) بالمدينة القديمة طرابلس، أعمال الندوة العلمية التاسعة، المرج، 2000م، ص ص397-398.

(5) المرجع نفسه، ص396.

(6) خليفة الأحول، مدينة الخمس كما وصفتها لنا وثائق الاستيطان الإيطالي، مجلة الوثائق والمخطوطات، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الرابع، السنة الرابعة، 1990م، ص37.

ويتحدث الرحالة جيمس[*] ريتشاردسن عن وجود العديد من الأطباء في مدينة طرابلس، ومنهم الطبيب (جامكو المالطي) المشهور، الذي يقوم بمعالجة الضباط وأتباع الباشا، ويقوم بتطعيم جميع أفراد القافلة[1] .

وعند وصول الرحالة جيمس رتشاردسن إلى مدينة غدامس، ادعى أنه مارس مهنة الطب، وذلك بتوزيع محلول العين على المرضى الذين يقصدونه، واصطحب جيمس في ترحاله مجموعة من الأدوية التي زوده بها الدكتور (ديكسون) في طرابلس، ويقول إنه نقص لديه الدواء؛ نظراً للطلب من قبل المرضى الذين صادفهم في أثناء سفره، وأفاد أنه قام بعلاج خمسين شخصاً خلال ثمانية أيام دون مقابل، وأخبر أهل غدامس مراراً بأن الدواء الذي يستعمله ويوزعه عليهم لا يخص القنصل الإنجليزي في طرابلس بقدر ما يخص ملكة بريطانيا، التي يسعدها شفاؤهم، وتتكون هذه الأدوية من مسحوق للحمى وحبوب مطهرة وحبوب جولدرء[2] .

من هنا أرسلت الإرسالية البريطانية بلندن مبعوثاً رسولياً إلى شمال أفريقيا عام1882م، المستر (ريد) صيدلاني مؤهل، وقد لمس الحاجة إلى المساعدات الطبية بين الأهالي، فأقام عيادة في طرابلس عام 1889م[3] ، حملت اسمه (المستر ريد) سوق الحرارة في العقار الذي يحمل رقم62، ونتيجة للإقبال الذي حظي به مستوصف المستر ريد في طرابلس افتتح له فرعاً في بنغازي، و أقام القس "بايكرنغ" صلاة في مقر الإرسالية البروتستانتية، أو ما عرف بحوش (المستر ريد)، وأعلن عن الافتتاح الرسمي للجناح الذي بُني حديثاً في احتفال صغير عُقد في المستوصف، وأقام صلاة قصيرة، واعتاد أن يلقي المواعظ الدينية والدروس، والقصص المستمدة من الأناجيل على العاملين بالمستوصف والمترددين عليه من المرضى على حدٍ سواء، فلا تتم معالجة المرضى

(*) جيمس ريتشاردسن، يعتبر منصراً أكثر من كونه رحالة مستكشف. فريال قاسم، مرجع سابق، ص125.

(1) جيمس ريتشاردسن، مرجع سابق، ص30.

(2) جيمس ريتشاردسن، مصدر سابق، ص225.

(3) مريم سلامة، مرجع سابق، ص393.

ولا تسليم الدواء إليهم إلا مقابل ذلك الاستماع، كذلك كانت توزع كتيبات دينية على الأهالي على الرغم من أن أغلب الأهالي يعانون من مشكلة الأمية في تلك الفترة[1] .

وضمن سياسة التغلغل السلمي الإيطالي لولاية طرابلس الغرب، شرعت الحكومة الإيطالية عام 1902م في إنشاء مستوصف إيطالي يقوم بخدمة الأهالي بمدينة بنغازي، وفي عام1903م أسس بالفعل[2] ، تحت حماية القنصلية الإيطالية وتمويلها، يقدم خدمات علاجية لأفراد الجالية الإيطالية، وكذلك لبعض الفقراء من جميع الجنسيات، وفي عام 1903م، أنشئ مستشفى في مدينة طرابلس، كما أسس مستوصف (اللينجري الإيطالي) قدم خدمات علاجية للفقراء، وخلال عامي 1904- 1905م، قدم اقتراح بتنفيذ مستشفى وتأسيس صيدلية في الخمس[3] ، إذن كان لإيطاليا في ولاية طرابلس العديد من المدارس والمستشفيات والإرساليات الدينية والمشاريع الاقتصادية؛ منها: مصرف روما، كلها تعمل للصالح حكومتها[4] .

وضمن سياسة التغلغل طلبت الإرساليات الدينية والبعثات الطبية بشكل مستمر الحصول على قطعة أرض لبناء مدرسة أو مستشفى، ففي عام1903م أصدر (طاهر باشا) حاكم برقة أوامره بالسماح للبعثة الإرسالية الفرنشيسكانية بتشييد مدرسة كاثوليكية للبنات في مدينة درنة، وهي بالمدينة مقابل القلعة، وصلت إليها ثلاث راهبات فرنشيسكانيات مارسن التعليم والتمريض المجاني بالعيادة المجانية التي يتردد عليها الكثير من أهالي درنة والأرياف المجاورة لها[5] .

قام النشاط التنصيري على تحقيق بعض المساعدات العينية، فكانت بيوت الراهبات تقدم الأدوية مجاناً، وأصبحت المدينة القديمة بطرابلس مسرحاً لمثل هذا النشاط من خلال الاهتمام بأعمال الخير والبر بإقامة الملاجئ، وإنشاء بعض النقاط الطبية والمصحات[6] .

---

(1) المرجع نفسه، ص ص338-399.

(2) محمود الديك، مرجع سابق، ص299.، Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 121.

(3) محمود الديك، مرجع سابق، ص244.، قاسم الجميل، مرجع سابق، ص55.

(4) وهبي البوري، بنك روما – التمهيد الإيطالي لغزو ليبيا، ص ص93-100.

(5) فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص166.

(6) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص107.، مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص168.

وفي عام 1907م قامت المؤسسات الخيرية بفلورنسا بحماية الإرساليات، كانت مهمتها تأسيس مأوى للأيتام الإناث بإدارة الراهبات الفرنشيسكانيات، وكانت تحت حماية القنصل الإيطالي[1] ، وفي الوقت الذي أخذت فيه البعثات تقوم بإدخال اليتامى ومن لا عائل لهم من السكان المحليين إلى الملاجئ التابعة لها، أخذ المبشرون يجوبون القرى والمناطق النائية بحثاً عن أمثال هؤلاء وإرسالهم إلى الملاجئ ومحاولة تنصيرهم، واتسع نشاط البعثات فشمل أنحاء متفرقة في الولاية، حيث انتشر المبشرون في معظم المدن والقرى، وأقاموا الكنائس والمدارس والملاجئ، وشرعوا في عمل جاد ونشط من أجل كسب عطف السكان، فادعوا بأن عملهم إنساني، وقصد به نشر المدنية وانقاذ أهل البلاد من التخلف، وجاءت هذه البعثات التبشيرية بتكليف من المنظمات الكاثوليكية، ومن الفاتيكان ومن الحكومة الإيطالية، وأخذت الهيئات الكاثوليكية أمثال: (اوسانوتوري، رومانو، وبوبولو، روماتو) ترسم صورة مؤلمة للفقر والتأخر في طرابلس وبرقة، وتتحدث بإسهاب عن المهمة النبيلة التي تتمثل في حمل الحضارة المسيحية إلى هذه المناطق، من خلال هذه البعثات اندفع رجال الدين بحماس شديد لتأييد احتلال ولاية طرابلس الغرب، وكانت الرغبة كاملة لدى المبشرين خاصة، ورجال الدين الإيطاليين عامة، بضرورة استعادة كافة المناطق التي سادتها قديماً الإمبراطورية الرومانية المسيحية، في محاولة لإعادة نشر المسيحية فيها من جديد[2] .

لقد كان موقف الحركة الكاثوليكية التي ضمت منظمات وجمعيات واتحادات هو تأييد الغزو الإيطالي، وأن الاستيلاء على طرابلس فيه انتصار للديانة المسيحية ورفعتها، وأخذوا يدعون في خطبهم ومجالسهم تأييد الغزو، فقد ألقى الأب (نوربو نوتولا)[*] خطاباً أشار فيه إلى مجد إيطاليا الذي سيعود إليها، وقال: "إن المبشرين الفرنشيسكان الذين ظلوا بين البربر ينتظرون الشرف أن يكونوا أول من يصافح جنودنا الأبطال فوق تلك البلاد"[3] .

---

(1) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 122.

(2) وهبي البوري، بنك روما، ص ص260-261.

(*) الأب أنور بوتوتولا، أحد كبار رجال الدين في مدينة (سيزي من المنصب لفكرة غزو افريقيا وطرابلس بصفة خاصة. وهبي البوري، بنك روما، ص61.

(3) وهبي البوري، بنك روما، ص61.

هذا يؤكد الروح المفعمة بالتعصب الصليبي، وذلك عندما أشاع المبشرون أن العثمانيين أناس متعصبون، لا يحترمون الديانات الأخرى، واتخذوا من مقتل الأب (جوسبي) بمدينة درنة، ثم انتحار الأب (فاسنوتة تبريني) في منطقة طرابلس وسيلة، ودعوا حكومتهم لشن حرب دينية ضد الإمبراطورية العثمانية باعتبارها حاملة لواء الدين[1] .

وفي خطاب بعثة الحكومة العثمانية لقناصل الدول الأجنبية في طرابلس، تطلب منهم: أن يبعثوا لها كشوفات بعدد المدارس والمؤسسات الدينية التابعة لبلادهم، وأسماء الأمكنة التي بها، فبعثت القنصلية كشفاً بذلك ... حيث توجد كنيسة مؤسسة بأمر سلطاني متصل بها دير صغير مخصص لإقامة عشر راهبات ومدرسة خارجية تدرس مجاناً بالقرب من الكنيسة، ويوجد في زقاق الحمام دير مخصص لإقامة عشر راهبات ومدرسة خاصة للبنات مجانية، ومستشفى وصيدلية صغيرة توزع العلاج مجاناً مع الميتم الذي يقيم فيه خمسة من الرهبان الذين يديرون صيدلية الفقراء، وفي الخمس توجد كنيسة ودير وصيدلية لتوزيع الدواء مجاناً على الفقراء، وتوجد صيدلية مخصصة للفقراء تحت إدارة جماعة المبشرين المسماة (نورد أفريقيا)، ومستشفى ذو ثلاثة سراير تابع لدير رهبان سان جوزيف الواقع تحت الحماية الفرنسية[2] .

وصل الطبيب الفرنسي لافال، وهو طبيب عسكري برتبة رائد كان يعمل في المستشفى العسكري بقسطنطينة في الجزائر، وكان في مهمة في برقة من قبل الحاكم العام بالجزائر حول الوضع الصحي بمنطقة برقة، أتى هذا الطبيب إلى برقة ثلاث مرات، فكان قدومه الأول سنة 1869م، ضمن البعثة العسكرية العثمانية، وقدم معلومات حول الرحالة الألماني رولفس الذي زار إحدى زوايا السنوسية (الفائدية)، والتقى بالثوار الجزائريين الذين يناضلون الغزو الفرنسي، ووعدهم بالحماية من تعقب القنصل الفرنسي لهم، كما وصل الطبيب لافال المرج التي انتشر فيها وباء الطاعون ومات بهذا المرض[3] .

---

(1) المرجع نفسه، ص261.

(2) وثيقة رقم(163) رسالة القنصلية الإيطالية إلى الولاية وأخرى من القنصلية الإنجليزية 14 فبراير 1911م، نقلاً عن: وثائق تاريخ ليبيا الحديث الوثائق العثمانية 1881-1911م، أحمد صدقي الدجاني، ص ص389-290.

(3) محمود الديك، مرجع سابق، ص ص248-249.

في عام 1912م وصلت بعثة الصليب الأحمر الألمانية إلى ولاية طرابلس، كان نشاط أطباءها، وخاصة الطبيب الباطني (توتسة) بدأ من اليوم الأول للوصول إلى غريان في 8 فبراير 1912م[1] ، إذ إن مرض التيفوس كان منتشراً في غريان في القصر والجوامع والأحياء، ولم تمض بضعة أيام حتى أخذ المستشفى بقبول المرضى وتشغيل معظم الأقسام، واستمر عملها مدة أربعة أشهر من 8 فبراير إلى شهر يونيو 1912م، وشمل نشاطها زيارات إلى الأماكن التي يشغلها مرض التيفوس، ووصلت أيضاً البعثة الإنجليزية التي استقرت في غريان، إلا أن مشفاها كان أصغر، ولم يحظ بالإقبال الذي تمتع به المستشفى الألماني[2] .

---

[1] عماد الدين غانم، المادة المصدرية الألمانية حول الأوضاع الصحية في ليبيا خلال من القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الأول من القرن العشرين، (د.ط)، (د.ت)، ص ص130-137.

[2] عماد الدين غانم، مرجع سابق، ص ص137-138، 140-141.

المبحث الثالث

الكنائس الأوروبية في ولاية طرابلس الغرب والدور التنصيري

تمتعت الأقليات الأجنبية الموجودة في ولاية طرابلس الغرب بممارسة شعائرهم الدينية الخاصة بهم وبوجود الكنائس والاسقفيات في كل من لبدة، وطرابلس، وصبراتة، وقورينا "شحات"، وهذه الكنائس ظهرت واستمرت وزاد نشاطها بعد سيطرة العثمانيين على طرابلس الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي فترة الحكم العثماني الثاني "المباشر"[1] ، فالكنيسة ـ هنا ـ هي مؤسسة دينية، هدفها تثبيت وجود الدين المسيحي، والتبشير به في كل زمان ومكان[2] .

فبرزت العديد من الكنائس في ولاية طرابلس ـ بداية الكاتدرائيات[*] ـ وظهرت عن طريقها محطات تبشيرية جديدة في الأماكن الداخلية النائية، وأصبحت بذلك نواة للعمل الكاثوليكي، خاصة في طرابلس وبنغازي، وتعززت بوجودها المؤسسات المدرسية والمستشفيات[3] .

وفيما يتعلق بالمنشآت المعمارية المسيحية في طرابلس، فقد بدأت مبكرة ،وظهرت معالمها مع بداية القرن السادس الميلادي في عهد الإمبراطور جستنيان (527-563م) الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالديانة المسيحية، فأقام العديد من الكنائس في ربوع الإمبراطورية الرومانية وشمل نشاطه المعماري طرابلس[4] .

---

(1) بوزبوجه سمير، الطريقة السنوسية 1911-1951م، وموقفها من قضايا العصر محلياً- إقليمياً- دولياً، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، أحمد بن بله، 2017- 2018، ص30.

(2) بديعة الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، الرياض، منشورات دار المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص77.

(*) كاتدرائية: تعني تحديداً الكنيسة الرئيسية، بمعنى أنها تحوي تقليدياً كرسي الأسقف المحلي، أو مطران الأبرشية؛ لكونها الكنيسة التي يقيم فيها الخدم، ولكونها الكنيسة الأم أو الأهم في الأبريشية. بولس الغفالي، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص412.

(3) Vittorio Ianari, Chiesa, Coloni, E Islam. Religione e politica nella Libia italiana, 1995. p. 62.

(4) محمد الصغير بو صبيع، نبذة تاريخية عن المسيحية المبكرة في ليبيا ومعالمها الأثرية، مجلة قاريونس العلمية، السنة الثالثة عشر، العدد الأول والثاني، 2000م، ص77.

لقد كانت فكرة عودة المسيحية[*] إلى طرابلس وبرقة ـ حيث قورينة وماضيها ـ تداعب مخيلة رجال الكنيسة والملوك والشعوب في أوروبا[1] ، فقد تم افتتاح أول كنيسة كاثوليكية في بنغازي في عام1818م، وتم تكريسها للقديس "لوتشيو ST.LUCIO" أول أسقف لمدينة قورينا[2] ، كما شهدت الفترة من عام1837-1895م، وصول العديد من الآباء الفرنشيسكان إلى الولاية، إذ وصل عام1837م إلى بنغازي أحد الآباء الفرنشيسكان المدعو "سلفيزودا فينولا" الذي استقر أول الأمر لفترة محدودة عند القنصل الفرنسي، وفي عام1838م وصل الأب "لدوفيكو دا مادونا P.LUDOVICO DA MADONA" إلى درنة قادماً إليها من بنغازي من مقر إقامته من أجل تقديم المساعدة والمشورة الدينية للمسيحين المقيمين بدرنة، ونزل ضيفاً لدى أسرة "أكويلينا المالطي AQUILNA"، واتخذ من إحدى حجرات منزله مصلى مؤقتاً لأداء الشعائر والطقوس الدينية المسيحية[3] .

وفي 11 فبراير 1257هـ/1842م أصدر الباب العالي قراراً سمح بموجبه لرهبان البعثة الفرنشيسكانية بامتلاك قطعة أرض تقام عليها كنيسة وبيت للرهبان، وقد تم ذلك بمساعي المسيو ليدو (LEDOUX) قنصل فرنسا العام[4] .

وفي عام1843م وصل الأب "أنجلو دا سانتا أجاثا Padre Angelo da Sant Agata إلى بنغازي قادماً إليها من طرابلس، حيث قام بتأجير محل واسع بلغت مساحته اثنى عشر متراً من أحد الأهالي، واتخذ منه مصلى ومعبداً يكرس للقديس "لوتش" أول أسقف لقورينا، وأصبح المحل مأوى للرهبان الفرنشيسكان[5] .

(*) في أواخر سنة 21هـ/643م فتحت ليبيا في زمن الخليفة عمر بن الخطاب على يد القائد عمر بن العاصي. شعيب عوض العبيد، الكتاتيب في إقليم برقة، ص465.، نغم أكرم الجميلي، التعليم في ولاية طرابلس الغرب 1839-1911م، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد4، 2012م، ص2.

(1) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص269.

(2) فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص53.

(3) المرجع نفسه، ص ص88، 99.

(4) وثيقة بتاريخ 1257هـ/1842م، نقلاً عن: محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص63.

(5) فرانشيكو روفيري، مرجع سابق، ص101.

كانت تقيم في بنغازي عائلات مسيحية كاثوليكية[1] ، وفي أبريل من عام1845م وصل الأب (نتالي دا شيسيو Padre Natale da Cesio) إلى بنغازي قادماً إليها من طرابلس كنائب للقاصد الرسول[*] من أجل الرعاية الدينية للمسيحيين في برقة، وتحصل الأب "نتالي" على لقب أبرش مدينة بنغازي أو حواري بنغازي بالنظر إلى توقيع الكنيسة المسيحية الصغيرة المكرسة (مريم العذراء)[2] ، وبذلك أصبح بذلك للبعثة الفرنشيسكانية وجودها الرسمي المعترف به[3] ، وعام 1857م وضع حجر الأساس لبناء الكنيسة الكاثوليكية[4] ، حيث وضع الأساس على دعامات خشبية من شجر السنديان أهديت من البابا "بيوس التاسع Pololx" شخصياً، ونقلت في سفينة ترفع علم البابوية من مدينة "انكونا ANCANA" الإيطالية[5] ، إلى بنغازي[6] ، كما تبرع لبناء الكنيسة إمبراطور النمسا "فرانشيسكو جوسبي Francesco Giuseppe" بمبلغ مالي قدره أربعمائة زكيتي كمشاركة لتشييد الكنيسة[7] ، وسمحت فرنسا للأب "أوفروسنيو EVFROSNO" بأن يقود حملة تبرعات لبناء الكنيسة من مدن باريس وليون وباقي المدن والقرى الفرنسية[8] ، عاد الأب أوفروسينو من جولته في فرنسا، وقد نجح في جمع التبرعات لبناء الكنيسة في بنغازي في 1854/6/26م، وتقع هذه الكنيسة بشارع (عمر بن الخطاب) حالياً الذي كان يعرف في عهد الأتراك (بشارع النصارى)، وهذا العقار الوحيد الذي دفع في مقابله ثمن تملكه من مال الكنيسة المسيحية الخاصة -

---

(1) رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس سنة1835، نقله: منير الفندري، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسة، دار الحكمة، 1911م، ص110.

(*) هو الكرسي البابوي، وهو كيان سياسي قانوني معترف به دولياً، يرأسه أسقف روما أو رئيس الكنيسة الكاثوليكية المعروف عموماً باسم البابا. وتمثل الإدارة البابوية الرومانية الحكومة المركزية في الكرسي الرسولي، وهي مجموعة من الإدارات والهيئات الكنسية التي يرأسها الباب. شبكة المعلومات الدولية على الرابط: https://ar.wikipedia.org›wiki›

(2) فرانشيكو روفيري، مرجع سابق، ص102.

(3) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص80.

(4) فرانشيكوروفيري، مرجع سابق، ص110.

(5) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص269.

(6) فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص110.، بوزبوجه سمير ، مرجع سابق، ص1.

(7) فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص110.

(8) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص269.

أما سائر ما شيد بعد ذلك من كنائس في جميع أنحاء الإقليم كان بلا مقابل (تخصيص حكومي) - مع نزع الملكية في عهد الاستعمار الإيطالي[1] .

من خلال ما سبق أرى أن باقي الكنائس قد بنيت عن طريق الفرمانات العثمانية التي كانت تصدر عن السلطات الحاكمة بإعطاء بعض الأراضي للنصارى لبناء الكنائس وممارسة طقوسهم الدينية بحُرية، وذلك بفضل الامتيازات التي أعطتها الحكومة العثمانية للرعايا الأجانب داخل الإقليم.

قام حاكم بنغازي بتسليم فرمان من السلطات بخصوص السماح بتشييد كنيسة مسيحية جديدة في بنغازي إلى المسؤول الأعلى للآباء الفرنشيسكان، وذلك سنة 1856[2] .

كما توجد كنيستان إحداهما كاثوليكية والأخرى أرثوذكسية بباحة السيدة مريم بالمدينة القديمة (طرابلس)[3] ، ولقد أقفلت الكنيسة الأرثوذكسية عام1785م بسبب مرض الطاعون، ولم تفتح إلا بعد زيارة عليّ بك[*] للمدينة[4] .

كما أنه لم تنشأ كنيسة بروتستانتية بالمدينة القديمة؛ نظراً لتأخر قدوم إرسالية شمال أفريقيا البروتستانتية عن وصول الإرساليات الفرنشيسكانية الكاثوليكية التي تم لها ذلك في عهد الوالي محمد باشا الساقزلي (1631-1649م)[5] .

يذكر الرحالة (علي بك) عن وجود كنيسة واحدة بالمدينة، بينما يتحدث الرحالة (الفيسي ميلانوتس) عن وجود كنيستان واحدة كاثوليكية والأخرى ارثوذكسية وذلك منذ عام 1765م، وتقع الكنيستان في ساحة السيدة مريم والتي عرفت محلياً "وسعاية النصارى" بمحلة باب البحر، ولقد

---

(1) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص122.

(2) فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص109.

(3) مريم أحمد سلامة، مرجع سابق، ص398.

(*) علي بك العباس هو الاسم الذي اشتهر به الرحالة الإسباني (دومنجوباديا ليك) عندما قام برحلته عبر أقطار الوطن العربي 1803-1807م، متخفي بزي عربي، ومدعياً الإسلام، وكانت طرابلس من بين المحطات التي زارها. خالد الهدار، زيارة الرحالة الإسباني علي بك العباسي الطرابلسي في أوائل القرن التاسع عشر، مجلة تراث الشعب، السنة الثالثة والعشرون، العددان1-2، 2003م، ص98.

(4) خالد الهدار، مرجع سابق، ص107.

(5) مريم سلامة، مرجع سابق، ص398.

بنيت كنيسة أرثوذكسية 1765م، خلف حمام (القديس ميكال) سجن المسيحيين الذي بني على انقاض سراي (دارغوت)[1] .

ويُذْكَر أن هنالك كنيسة كبيرة للنصارى، أُكْمِل بناؤها في عام 1828م، والمقصود بها (كاتدرائية السيدة مريم) التي بنيت على أنقاض الكنيسة الصغيرة التي تحدث عنها (علي بك)[2] ، ويذكر الرحالة (علي بك) أن الأوروبيين المسيحيين بوجهٍ عام يمارسون شعائرهم الدينية في كنيسة صغيرة تقوم على خدمتها أربعة راهبات من روما من الدرجة الكهنوتية يملكون ناقوساً يسمع صوته يومياً في كل أحياء المدينة، وقد كانت الكنيسة ترمم من الهبات التي تصرف لها من روما[3] .

قام الأب (أنجلو دي سانتا) عام1871م بتدشين وبناء قِبْلة للكنيسة الكاثوليكية في بنغازي، وتم تدشين الكنيسة بشكل رسمي، وافتتحت لأتباع الطائفة المسيحية، ولخدمة مريم العذراء، وأصبحت الكنيسة الكاثوليكية الأم لجميع كنائس برقة وتسلم رئيس الكرسي الرسولي الأب (أنجلو دا سانتا) الفرمان الصادر عن الباب العالي بالقسطنطينية الذي بموجبه يسمح للكنيسة بشراء قطعة أرض واسعة بمنطقة البركة ببنغازي للزراعة، ثم ألحق بها معبداً صغيراً ومصلى لأداء الشعائر الدينية للرهبان الفرنشيسكان (والأخوات اليعقوبيات)، وقد صدر فرمان عن الباب العالي بالقسطنطينية تم بموجبه السماح لرئيسي الكرسي الرسولي بطرابلس بتشييد كنيسة كاثوليكية مع إلحاق سكن للرهبان الفرنشيسكان، حصل الأب (جوسبي دا بارافرانكا) عام 1898م على فرمان صادر من الباب العالي بالقسطنطينية يسمح بموجبه بشراء قطعة أرض واسعة بالفويهات لإقامة مؤسسة زراعية مهنية تعليمية لأبناء الرقيق الذين تم عتقهم، وأشرف في البداية الراهب (باوايفولكسي) عليها، ثم انتقلت إدارتها فيما بعد إلى الآباء اليعقوبيين عام 1904م[4] .

---

(1) خالد الهدار، مرجع سابق، ص106.

(2) حسن الفقيه، اليوميات الليبية 1551-1832، تحقيق: محمد الأسطى، طرابلس، مركز الجهاد، 1984م، ص495.

(3) خالد الهدار، مرجع سابق، ص106.

(4) فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص ص147، 149، 166، 163-164.

ونظراً للاهتمام المتواصل بشراء الأراضي، وبناء الكنائس، قدَّم الحاكم العام في طرابلس (جوزيف بيفليكو) 1901م طلباً إلى السفير الفرنسي في القسطنطينية للحصول على الإذن والترخيص الضروري من الحكومة العثمانية لشراء قطعة أرض لبناء كنيسة جديدة في الخمس - المدينة التي تبعد 100كم إلى الجنوب الشرقي من طرابلس - واشتكى في تقريره السنوي من أن البعثة لم تتلق الدعم الذي تحتاجه من الفرنسيين، وتلقى الحاكم "بيفليكو"[*] فيما بعد المعونة على أساس منتظم، ولاسيما أن الوجود الإيطالي أصبح معترفاً به في المنطقة، وبدأ الحاكم البابوي بكتابة الطلبات إلى القنصلية الإيطالية في طرابلس عام1905م طالباً من الدولة الإيطالية الحماية الرسمية للبعثة الفرنشيسكانية[1] ، وبالفعل تحصلت البعثة على الحماية الرسمية من قبل الدولة الإيطالية عام1907م (تم الحديث عن ذلك سابقاً).

وتوجد العديد من الكنائس في ولاية طرابلس الغرب، منها: كنيسة الخضراء التي تقع بالقرب من مبنى محصن على رأس تل صغير بالقرب من الطريق الذي يصل ترهونة بالقصبان، وهي تقع شرق منطقة الخضراء بحوالي 8كم[2] ، وكنيسة جستنيان بازليكيا وسيتموس سيفورس في لبدة الكبرى التي بدأت أعمال الحفر فيها سنة 1923م، تحت إشراف البعثة الإيطالية بقيادة ريتانور باتوتستي، ثم تلاه (جياكر موجديدي)، كما تحدث عنها (بيترو روما)، ثم أتم (وارد بيركنز وجودتشاليد) أعمال الحفر والكشف عنها بين عامي 1948م-1951م[3] .

وتوجد كنيسة كاثوليكية وسط مدينة الخمس مقابل شارع (قزه زولي) يرجع تأسيسها إلى عام1903م، حيث أشرفت على إدارتها جمعية خيرية (الجمعية الفرنشيسكانية)، كانت تعمل تحت

(*) بيفلكو الحاكم العام الإيطالي في طرابلس. محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص9.

(1) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص9.

(2) محمد عيسى، مرجع سابق، ص7.

(3) محمد الصغير بو صبيع، مرجع سابق، ص77.

حماية القنصلية الفرنسية بولاية طرابلس الغرب[1] ، وكنيسة خفاش عامر التي تقع بمنطقة (شعبة أم الخراب)، وهي إحدى الأحياء الصغيرة بوادي سوف الجين[2] ، على بعد 25كم إلى الشرق من مدينة مزدة[3] ، وعلى يمين الطريق المؤدي إلى مدينة بني وليد بحوالي 1كيلو متر، وأول من أشار إليها الرحالة بارث، وذلك عام 1849م، وعلّق عليها الرحالة الفرنسي (ماينسيول)، وزارها (جيتولوتس) وكتب عنها عام1913م، وأخيراً أتم كل من (وارد بيركنز وهانيمر) أعمال الكشف عنها 1946م، وقد كانت على قمة تل مرتفع، مما جعلها محصنة شأنها شأن الكنائس الأخرى بدواخل طرابلس[4] .

وكنيسة الأصابعة تقع فوق تل مرتفع شمال غرب مدينة الأصابعة، وهي ترجع إلى العصر الروماني، وتقع وكنيسة وادي بزرة تقع على بعد حوالي 20كم إلى الجنوب الشرقي من بني وليد، وتعرف بكنيسة "السوق الأوطي"، وكنيسة الحواريين بقرية تاغا بيفرن، وقرنطسا في نفوسة، وكنيستا المسرح تقع هاتان الكنيستان بالقرب من المسرح بمدينة صبراتة ترجعان إلى القرن الرابع الميلادي[5] .

وبالمثل توجد شرق الولاية العديد من الكنائس المسيحية، منها: الكنيسة الشرقية بالآثرون وهي تقع على شاطئ البحر إلى الشرق من رأس الهلال، بين رأس الهلال وقرية كرسة الحالية، وصفها سينيوس القوريني في القرن الخامس الميلادي بأنها قرية المياه، كما وصل إليها الأخوان بيتشي في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وفيما بين عامي 1950-1951م، قام (جودتشيلد) بجولة استطلاعية في المنطقة للقيام بعمل خريطة للولاية في العهد الروماني، وتمكن من العثور على بقايا كنيسة تحتوي على بعض الأعمدة والتيجان الرخامية، وفي عام 1960م أتمت بعثة أمريكية أعمال الكشف عن الكنيسة، وكنيسة أخرى إلى الغرب من الكنيسة الأولى تحت إشراف

---

(1) خليفة الأحول، مدينة الخمس كما وصفتها لنا وثائق الاستيطان الإيطالي، ص37.

(2) محمد علي حسين الدراوي، الآثار المسيحية في منطقة المدن الثلاث، مجلة لبدة الكبرى، جامعة المرقب، العدد الأول، 2014، ص195.

(3) محمد عيسى، مرجع سابق، ص8.

(4) محمد الصغير بو صبيع، مرجع سابق، ص83.

(5) محمد علي حسين الدراوي، مرجع سابق، ص195.، محمد عيسى، مرجع سابق، ص ص7-9، 21.

(ويدرج) الذي قام بعملية الكشف والترميم، وكتب عن هذه الكنيسة وموقعها، وذكر بأنها تقع على بعد عشرين متراً من الشاطئ[1] ، كما شيدت كنيسة كاثوليكية في درنة في المكان الذي دفن فيه "الأب جوستينو باشي" بعد مقتله 22 مارس 1908م[2] .

وكنيسة سوسة (أبولونيا) التي تعتبر من أقدم الكنائس وأكبرها، وهي تقع على الطريق الرئيسي الذي يربط بين الأكروبولس[*] في الشرق، والحمامات الرومانية في الغرب، وتعود إلى القرن الخامس الميلادي، وتُعد من أهم المنشآت المعمارية المسيحية[3] ، وكنيسة (برطلس) التي تقع على بعد ثلاثة عشر كم إلى الشرق من مدينة شحات على امتداد الطريق الجبلي الذي يؤدي إلى مدينة درنة[4] .

وكنيسة مطوقات تقع عند مفترق شحات–درنة على بعد واحد وعشرين كم جنوب زاوية (ترت)، يوجد بها بقايا قصر اتخذت منه القرية اسمها، وجنوب مدينة البيضاء تقع كنيسة صرة الرخيم على بعد 18كم إلى اليمين من الطريق المؤدي إلى قرية عمر المختار، وإلى الشرق من مدينة البيضاء على بعد 30كم، وإلى الشمال من مدينة القبة بمسافة 4كم تقع كنيسة صرة الشنيظرة، وكنيسة صرة القرعان شرق لملودة، وشمال القبة[5] ، وتقع كنيسة قصر ليبيا على بعد 50كم إلى الغرب من مدينة قورينا، تم اكتشافها 1957م، عن طريق المزارعين، وأصبحت الكنيسة مقر أسقفية بمنطقة المدن الخمس[6] .

---

(1) محمد الصغير بوصبيع، مرجع سابق، ص95.

(2) فرانشيسكو روفيري، مرجع سابق، ص13.

(*) الأكروبولس هي هضبة صخرية عالية وسط أثينا، يأتي مصطلح أكرو من صفة العلو والارتفاع، وبولس تعني المدينة، أي المدينة المرتفعة. شبكة المعلومات الدولية على الرابط: https://ar.wikipedia.org›wiki›

(3) محمد عيسى، مرجع سابق، ص90.

(4) محمد الصغير بو صبيع، مرجع سابق، ص100.

(5) المرجع نفسه، ص ص136–137، 133–134.

(6) محمد عيسي، مرجع سابق، ص14.

من المعروف أن المدن القديمة في إقليم المدن الخمس تحتوي على عدد من الكنائس، أربعة في أبولونيا، وثلاثة في توكرة على سبيل المثال، كما أنه من المعتاد أن نجد أكثر من كنيسة في القرى إحداها تبدو محصنة تشبه القلعة ومحاطة بخندق والأخرى غير محصنة، فعلى سبيل المثال هناك كنيستان في(لملودة)، وكذلك كنيستان في (مقارنس)، واثنان في (قصر ليبيا)، كذلك الحال في منطقة (قصر سيلو)، ولا توجد معلومات كافية عن تجهيزات الكنائس من الداخل غير الكنيسة الأرثوذكسية عن المونوفيستية[*] ، ولكن يبدو أن الكنائس المحصنة الخاصة بالأرثوذكس قد شيدت من قبل السلطة الحاكمة ... وصممت كما لو كان لها دوراً عسكرياً[1] .

وأما سبب وجود كنيستين فاحتمال أن تكون إحداهما خاصة بسكان المدينة، والأخرى قد تكون مخصصة لسكان الضواحي، وأن الكنائس ذات الحنية الغربية تعود إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وذات الحنية الشرقية تعود إلى القرن السادس الميلادي، وهناك كنائس تحتوي على حنيتين تتمثل في كنيسة جستنيان في لبدة، وكنيسة البازيليكا في صبراتة، والتي أضيف إليها حوض للتعميد على شكل صليب، كما وجدت العديد من المقابر المسيحية في منطقة النجيلة 18كم غرب طرابلس، ومقبرة عين زارة شرق طرابلس، وهذا يدل على طول فترة وجود المسيحين إلى أن تم طردهم بعد الفتح الإسلامي 643م[2] .

كانت تجارة الرقيق منتشرة في سائر الممتلكات العثمانية[3] ، وهي على درجة كبيرة من الأهمية في ولاية طرابلس الغرب التي كانت حلقة وصل بين وسط أفريقيا وأوروبا وموانئ طرابلس

(*) مونوفيزية يعنى الطبيعة الوحيدة، وفى المسيحية، مذهب الطبيعة الوحيدة ظهر في القرنين الخامس والسادس على يد أوطاخي، وهي معارضة لفكرة النسطورية بخصوص طبيعة المسيح المونوفيزية، فتقول إن المسيح له طبيعة وحيدة، وليست واحدة، كما في الميافيزية، وهي الطبيعة الإلهية (اللاهوت) التي تلاشت فيها الطبيعة الإنسانية(الناسوت). شبكة المعلومات الدولية على الرابط: https://ar.wikipedia.org›wiki›

(1) R. G. Grood Child, Libyan Statues, CD by Joyce., Reynolds, London, 1976, p. 261-262.

(2) محمد علي حسين الدراوي، مرجع سابق، ص197.

(3) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص443.

وبنغازي التي تقوم بتصدير هذه البضاعة، وازدهرت الطرق التجارية بالولاية خاصة طريق فزان وطرابلس، وطريق أوجلة وجالو بنقل بضائع السودان إلى بنغازي ومنها إلى مصر، وتعاون القناصل مع تجار الرقيق بل تورطوا في هذه التجارة، وخاصة نائب القنصل البريطاني (جلجوفي) وكذلك قناصل كل من طرابلس وبنغازي، وفي عام1855م أصدر الوالي ـ طبقاً لتعليمات الأستانة ـ قراراً يمنع المتاجرة بالعبيد داخل الولاية[1] .

قام النخاسون بتهريب وبيع الرقيق سراً في بنغازي رغم فرمانات السلطان، ومن المستغرب أن تلجأ البعثة إلى استغلال هذا، فتقدم على شراء صغار ما يعرض في الأسواق بقصد تلقينهم مبادئ العقيدة المسيحية وتعميدهم في الكنيسة كمسيحيين، محاولة بهذا البرهنة على نجاح عناصرها في التبشير في بلاد المسلمين وبين المسلمين، ووجد الرهبان لأنفسهم مبرراً في تنصير صغار السن بالشراء، وكذلك ابتياع كبار السن، وتخصيصهم لخدمة الرهبان في الكنيسة، واستغلالهم في أعمال الزراعة مقابل لقمة العيش والمأوى، ولقد تم التستر على هذا بدعوى أنهم تطوعوا لهذا كمسيحيين يتفانون في خدمة المسيحيين، ولم يكن هؤلاء مسيحين، ولا أصبحوا كذلك بمحض الإرادة وعن قناعة، وإنما هي دعوى رجال البعثة يرون بها استمرار حالة الاسترقاق للكنيسة وللبعثة ككل، واجترأت البعثة على غير المسترقين من يتامى الأطفال والمشردين في الولاية عن طريق دعوى الإنسانية وإيوائهم مع تلقينهم مبادئ المسيحية وتعميدهم كمسيحيين[2] .

تولت بريطانيا عبء النهوض ومعارضة تجارة الرقيق، في كل من طرابلس وبنغازي، وكان القنصل البريطاني (هندرسن) يقوم بمراقبة تجارة الرقيق، ثم انضمت قنصلية إيطاليا في عام1875م، ووجدت قوائم تحرير العبيد عن طريق القنصلية الإيطالية، ومنهم: (أبو بكر بن محمد) من كانو،

---

(1) خليفة إبراهيم ضوء، مرجع سابق، ص ص182-184.

(2) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص443.

و(لطيفة) جارية أرملة المدعو (عثمان أفندي)، و(فاطمة بنت كوكا) من برنو، و(حواء) من الواداي جارية الحاج رمضان من طرابلس، ثم اعتق اثنى عشر عبداً آخر عن طريق القنصلية الإيطالية[1] .

لم يكن تحرير هؤلاء العبيد من قِبل القنصليات الأوروبية بدافع إنساني، وإنما كان لأهداف وغايات أخرى، قد تكون محاولة للتنصير أولاً، أو ربما لإثارة الرأي العام بما يحدث في الولاية، أو لأهداف استعمارية.

[1] انيوري روس، ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى 1911م، ص451.

المبحث الرابع

دور المدارس التبشيرية ومحاولاتها التنصيرية

تمتعت الأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية منذ العصر الوسيط بحماية الدولة، وبحرية ممارسة طقوسها الدينية، ولم تتغير هذه المعاملة حتى بعد العداوة المسيحية التي شنتها أوروبا في حملاتها ضد المسلمين 1095-1129م، والمعروفة بالحملات الصليبية[1] .

ويقول "أدورين بلس روتسناتي" إن تاريخ التبشير بالمسيحية (النصرانية) يرجع إلى صدر النصرانية "ريموند لول"[*] الإسباني، فهو أول من تولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية، والخطط التي وضعها للتنصير تعد النموذج والدستور الذي سار عليه المنصرون، فهو يعتبر من أخطر المنصرين على مرّ التاريخ، حتى أن المنصر صموئيل زويمر اعتبره أستاذه وقدوته[2] .

بفضل الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية[3] للدول الأوروبية[4] منذ عام1536م بدأت تتطلع لبسط نفوذها على أجزاء من الأقاليم الخاضعة للحكم العثماني[5] ، ووجدت هذه الدول نفسها أمام ميدان رحب لتبدأ بالخطوة الأولى لتحقيق أهدافها، ومن بينها التخطيط لنشر الثقافة والتعليم التنصيري[6] ، وبدأت بذلك الكنيسة سياسة دبلوماسية جديدة لمحو الماضي، وأرسلت بعثاتها الدينية تمارس نشاطها بين أفراد الجاليات المسيحية المقيمة في المدن الإسلامية بعد أن تأكدت أوروبا المسيحية من انهيار الدولة العثمانية[7] .

---

(1) بالقاسم الحنتاشي، الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريكسية لتوثيق المعلومات، 1990م، ص84.

(*) ريموند لول: ولد 1235-1315م في بالما في جزيرة ميورقة، هو راهب فرنشيسكاني، من أغرب شخصياً العصر الوسيط، المتعدد المواهب، فهو شاعر ورياضي ومعلم ومبشر ومتصوف ورحالة، قضى في تعلم العربية وحفظ القرآن، ثم قصد باريس، وانضم إلى الرهبانية الفرنشسكانية. محمد شعيب - وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص156.، نجيب العقيقي، المستشرقون، القاهرة، دار المعارف، ط4، 1980م، ج1، ص122.

(2) محمد شعيب - وعبد البصير علي، مرجع سابق، ص156 (بتصرف).

(3) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص105.

(4) خليفة الأحول، الجالية اليهودية في ولاية طرابلس الغرب 1864-1911م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الفاتح، 1985م، ص113.

(5) رأفت الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية، ط1، 1972م، ص114.

(6) محمد الكوني، مرجع سابق، ص105.

(7) بالقاسم الحنتاشي، مرجع سابق، ص85.

وجاءت بعد ذلك الإرساليات التبشيرية[*] ؛ لوضع البرامج التي تدمر الإنسان المسلم[1] ، وأصبح بذلك للتبشير حق التوسع كحق الاستعمار، وغيرت الكنيسة سياستها في القرن التاسع عشر الميلادي، إذ أصبحت لا تدعو مباشرةً إلى اعتناق المسيحية، بل ركزت جهودها على الأعمال الخيرية من إنشاء المستشفيات ومأوى لليتامى ووضع شعار الطب في خدمة التبشير، وإنشاء المدارس لتدعيم الثقافة الأوروبية[2] ، وتأسست مدارس على يد الإرساليات التبشيرية الدينية التي اعتمدت على حماية الدول التابعة لها[3] .

الفرنشيسكان:

يشير تعبير العائلة الفرنشيسكانية بشكل عام إلى نظام أو مؤسسة، سواء كانت دينية أم رسولية، والتي وافقت عليها السلطة المختصة في الكنيسة بشكل قانوني، وتشير صراحةً إلى تجربة القديس فرنسيس الأسيزي[4] ، ولد عام1181م، أبوه التاجر الثري "بيترو دي بيرنادوني" وأمه مادونابيكا" وأطلق عليه اسم يوحنا، ولكن الأب بعدما عاد من فرنسا غير اسمه إلى فرانشيكو، تم تعليمه منذ الصغر من قبل قسيس في كنيسة القديس جورج، والتحق به رفاقه، وكان أولهم هو ربانردودي، ثم بيترو كاتاني كل هؤلاء باعوا ممتلكاتهم، وانسحبوا مع فرانشيكو للعزلة في كوخ بائس، ثم التحق بهم ساباتينو، وموريكو، وجوفاني، سانتاكوستانزو، وبرناردو فيجلاني[5] ، انطلقوا

(*) قد اقترنت بداية وجود الإرساليات الفرنشيسكانية بحادثة محزنة، إذ كان القسيس اليبو أغوسطينو ـ الذي أسر عام1643م قرب أوستيكا من قبل العثمانيين ـ قد كتب إلى محمد باشا عام 1644م يظهر رغبته في اعتناق الإسلام، وتحمس الوالي لهذه الرغبة، وأحضره إلى القلعة، وأعلن خروجه من المسيحية، وسماه محمد عبد الله، وخصص له منحة شهرية، أظهر المسلمون ابتهاجاً بدخول القس إلى الإسلام، بينما تضايق المسيحيون لذلك، وفي عام1645م عاد القس إلى المسيحية تحت ضغط الأب باسيفكيو، وفي عهد عثمان الساقزلي 1649م كان القس ينتهز الفرصة للدعوة للدين المسيحي، حتى أثناء مروره في الشوارع، وحاول مرة أخرى دعوة عثمان باشا إلى الدين المسيحي، ولكن السخط بدأ يرتفع في المدينة ضد هذا القس، الذي كان يدعو إلى دينه بصفة علنية، ويؤكد أمام جميع المسلمين الحاضرين قداسة الدين المسيحي، وبطلان ما عداه، ورفعت شكاوى كثيرة إلى الداي، وصدرت أوامر من عثمان باشا بمغادرته الولاية، وبسبب تطاوله على الدين الإسلامي حكم عليه بالإعدام حرقاً عام1653م. كستانزا برنيا، مرجع سابق، ص ص137، 167-168.

(1) أحمد أنور الجندي، التبشير الغربي، (د.ط)، (د.ت)، ص2.

(2) بالقاسم الحنتاشي، مرجع سابق، ص85.

(3) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص115.

(4) عبد الجليل شلبي، الإرساليات التبشيرية، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د.ط)، (د.ت)، ص ص172-173.

(5) Anastasi, R. Bartolini Breve Storia Della, Farmiglia Francesana Perugia monteripdo, 2013, P. 15.

يبشرون بالإنجيل بين الناس، فكانوا لا يملكون شيئاً، ينامون على مدرجات الكنيسة، ثم انتقلت عائلة فرانشيكو (فرانشيكو والاثنا عشر راهباً) إلى منطقة "ريفورنو" فكانوا في كوخ صغير بدون كنيسة ولا مصلى، أقاموا الصلاة أمام صليب من الخشب، وكانوا يعملون في مستشفيات الأمراض المعدية، ويساعدون الفلاحين دون أي جزاء، رسم فرانشيسكو أول مسودة(*) انتقل إلى روما لكي يحصل على موافقة البابا، وحصل على إذن التبشير ثم رجع ومعه الاثنا عشر راهباً إلى "ريفورنو"، أراد فرانسيسكو محاولة السفر إلى المغرب، وذلك من أجل أن يبشر بالإنجيل بين المسلمين، وبينما هو في إسبانيا على وشك السفر إلى أفريقيا وقع مريضاً، وعاد إلى الوطن وتوفي عام1226م[1] .

يشير اسم الرهبان الفرنشيسكان إلى الأخوة الأصاغر "Frati Minori"، وهي الرهبنة الأولى التي أسسها القديس فرنشيسكو الإسيزي عام1209م، والتي أطلق على أعضاءها اسم الفرنشيسكان، مجمعة اليوم في ثلاث عائلات متساوية ومستقلة: الأخوة الأصاغر، والملاحظون، والإصلاحيون OEM[2].

وجدت الإرسالية الكاثوليكية في كل من طرابلس وبنغازي تحت سيطرة وإشراف المرسوم الفرنشيسكاني التابع للومبارديا(**) ، والتي امتلكت ميزة تأسيس واحتكار ثابتة على باقي الأنشطة الإرسالية والتبشيرية، فقد ادعى المرسوم الفرنشيسكاني أن وجودها في المنطقة يعود إلى حوالي القرن السابع عشر الميلادي[3] ، ولكن أنشطتها الحالية تعود إلى عام1810م عندما أسس المرسوم

(*) في أبريل 1209-1210م استقبل البابا إنوست الثالث فرنسيس الإسيزي وأتباعه في روما ووافق شفاهيةً على شكل حياتهم (السير الذاتية والقاعدة الأولية)، وأعطاهم الإذن للتبشير والتكفير عن الذنب، يعيشون في حياة مشتركة في فقر.
Francesca Di Pasquale, Thesis at the imperial School, the educational policy of the Arabs in Libia in the fasciet era 1922-1940, University of Pease Studies, 2003, p. 10.

(1) Anastasi, op. cit., p. 16-18.

(2) عبد الجليل شلبي، مرجع سابق، ص172 وما بعدها.

(**) لومبارديًا: كانت شعباً جرمانياً قام بغزو شمال إيطاليا في القرن السادس الميلادي، حيث قام بتأسيس مملكة، كان مصيرها الاستيلاء عليها من قبل شارلمان في القرن الثامن الميلادي، مكنها موقعها الجغرافي من خلق أفكار عمرانية عبرت المنطقة من الشرق إلى الغرب، ولكن الانطباع العام من قراءة التاريخ بين أن مملكة لومبارديا كان مسببة لمشاكل لكل من بيزنطة وروما.
Peter Garwood, Exploring Romanesque Architecture in Catalonia, books. google.com, p. 24.
هي أحد الأقاليم العشرين التي تتكون منها إيطاليا، ويقع في شمال البلاد، يحده شمالاً سويسرا، وشرقاً إقليما ترينتينو ألتو أديجي وفينيتو، وجنوباً إقليم إميليا رومانيا، وغرباً إقليم بييمونتي، وهي أكبر الأقاليم الإيطالية بعدد السكان، عاصمة إقليم لومبارديا ميلانو، وهي ثاني أكبر المدن والتجمعات الحضرية في إيطاليا.
شبكة المعلومات الدولية على الموقع الإلكتروني: https://ar.wikipedia.org›wiki›

(3) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 91.

مدرسة في طرابلس[1] ، وابتدأ التعليم الإيطالي فيها عن طريق المدارس والإرساليات التبشيرية[2] ، حيث افتتح المنصرون الكاثوليك مدرسة للأطفال المسيحيين[3] القليلين في البلاد آنذاك، والتحق بها[4] عدد قليل من أطفال الولاية[5] ، وأقبل التلاميذ على المدارس الإيطالية[6] ، بمعنى أن بداية التغلغل الثقافي الإيطالي في ولاية طرابلس بدأ عام1810م، عندما استقر الفرنشيسكان فيها[7] .

عن طريق المعاهد والمدارس ـ كما قال المنصر "هنري جسب" ـ "فإن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية (التنصيرية) إنما هو واسطة إلى غاية فقط، وهي قيادة الناس إلى المسيحية النصرانية وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية"[8] .

كانت إيطاليا تنظر إلى الصحراء في ليبيا وتونس نظرة حقد تاريخي قديم، وتحلم ببعث أمة رومانية في هذه المنطقة[9] ، وبدأ التخطيط الإيطالي قبل عام1911م[10] ، حيث قامت بإرسال الجواسيس والرهبان[11] ، وإرسال الإرساليات التبشيرية من قساوسة للبدء بغزو ثقافي كاثوليكي[12] ، إذ ظل المدير الرسولي الراهب "ANGELO أنجلو" لعدة سنوات يتحدث عن وجوب تأسيس إرسالية نصرانية في دواخل طرابلس، واستعد للتوجه أولاً إلى فزان لمعرفة إذا كان بالإمكان إقامة محطة إرسالية تكون وسط، وظيفتها تسهيل العلاقات في المستقبل مع الإرسالية التي سيتم انشاؤها في السودان فيما بعد[13] ، ذلك يعني أن الرهبان اتخذوا من الولاية نقطة انطلاق إلى بلاد السودان للتبشير بالنصرانية.

---

(1) Anastasi, op. cit., p. 91.

(2) رأفت غنيم الشيخ، مرجع سابق، ص115.

(3) احميده سالم حماد، فاعلية القبلية بطرابلس الغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي، كلية التربية المرج، العدد التاسع، 2016م، ص10.

(4) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص115.

(5) احميده سالم، مرجع سابق، ص10.، مصطفى نصر المسلاتي، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، طرابلس، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر، 1966م، ص144.

(6) أحمد عطية مدلل، مرجع سابق، ج1، ص20.

(7) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص114.

(8) عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، مرجع سابق، ص13.

(9) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص189.

(10) المرجع نفسه، ص185.

(11) شارل فيرو، مرجع سابق، ص745.، مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص186.

(12) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص185.

(13) شارل فيرو، مرجع سابق، ص745.

وبذلك بدأ النشاط التربوي للبعثة الفرنشيسكانية بداية من 1810-1911م بشكل سلمي عن طريق المدراس والجمعيات الخيرية[1] ، وأصبح لها - قبل الغزو الإيطالي - خمس مدارس ابتدائية كانت الحكومة الإيطالية تقوم بالصرف عليها بصفة كاملة[2] ، وأنشئت مدارس إيطالية في طرابلس، وكانت تقبل التلاميذ بالمجان، ولم يكن هذا العمل غيرة على أبناء الولاية، بل لتحقيق كل أهدافها وأطماعها وتغلغل لغتها، حيث اعتبر البعض هذه المدارس مدارس تبشيرية[3] ، في حين كانت المدارس التركية تقوم بطردهم[4] .

وفي عام1846م قامت بعثة إخوان الراعي الصالح[5] - وهي إرسالية كاثوليكية - بإنشاء مدرسة للبنات عدد منتسباتها 60 تلميذة[6] ، تحت إشراف عدد من القساوسة[7] ، اجتذبت إليها بنات من الديانات الثلاث المسيحية والإسلامية واليهودية، وقامت بتعليمهم اللغة الإيطالية، وهي اللغة المستعملة غالباً في طرابلس، وكانت هذه المدارس تمول من قبل الإرساليات الفرنشيسكانية[8]، ووجد عدد من المدارس الأخرى التي تديرها الراهبات الفرنشيسكانيات، تنشأ وتختفي بحسب نشاطها[9] ، وتنوعت المدارس الإيطالية بمدينة طرابلس منها مدرسة جيراتش GERACL التي تأسست عام1874م[10] .

أنشئت في طرابلس 1876م مدرسة إيطالية كان مديرها: "جانيتوباجي"، ثم أنشئت مدرسة للبنات فيما بعد، وكانت أول نواة الاستعمار الثقافي التربوي في ليبيا تهدف إلى إشعال جذور المسيحية الإيطالية، والتركيز على البربر، وتمييزهم عن مواطنيهم وأخوانهم الليبيين الآخرين[11] .

---

(1) Eleen Ryan, Italy and the Sanusiyya: Negotiating Athority in Colonial Libya, 1911-1931 academic Commons. Columbia. ed. Consultation date 21 January 2020, p. 17.

(2) محمد الكوني، مرجع سابق، ص109.، أحمد مدلل، مرجع سابق، ص20.

(3) شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص372.

(4) فريال عواسة - وأسمهان حمري، بنك دي روما ودوره في التمهيد للاحتلال الإيطالي في ليبيا 1907-1911م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة 8 ماي 1945م قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018-2019م، ص22.

(5) فرانشيسكو كورو، مرجع سابق، ص101.

(6) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص144.

(7) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص108.

(8) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص116.، الكوني، مرجع سابق، ص108.

(9) محمد الكوني، مرجع سابق، ص109.

(10) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص145.

(11) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص ص204-206.

تزايد نشاط الإرساليات التبشيرية الإيطالية في ولاية طرابلس خلال الفترة التاريخية من 1880-1896م بعباءة التعليم[1] ، ففي عام1881م وصل إلى طرابلس الماريون[*] الذين أشرفوا على إدارة المعاهد والمؤسسات الفرنشيسكانية حتى عام1910م، وكانت معاهد الماريين يرتادها عدد من التلاميذ المسلمين، أشار الأب كوستانزوبرنيا (المبشر في ليبيا خلال الفترة الاستعمارية ومؤرخ البعثة الفرنشسكانية) إلى ذلك، قائلاً: "إن السجلات المدرسية القديمة أظهرت وأشارت إلى وجود وارتياد أبناء الوجهاء العرب والموظفين الأتراك لهذه المدارس[2]، فقد أقبل بعض الضباط العثمانيين على إرسال أبنائهم إليها[3] ، وفي نفس العام وصل إلى طرابلس الآباء الفرنشيسكان من إخوان مارس MARISI، وأنشأوا مدرسة للبنات[4] ، ووجدت مدارس أخرى للأطفال الأيتام التي يديرها أخوان القديس يوسف في الخمس، ومدرسة ابتدائية تديرها الأخوات الفرنشيسكانيات في بنغازي، ومدرسة ابتدائية تابعة للإرسالية الكاثوليكية يديرها الآباء الفرنشيسكان في درنة[5] ، وفي عام1883م زاد عدد تلاميذ المدارس الإيطالية التي يشرف عليها "جانيتو البربوباجي"، وسعت إيطاليا بإدخال اللغة العربية لاجتذاب أبناء العرب لمدارسها، فافتتحت المدارس التي تتضمن مناهجها تعليم اللغة العربية[6] ، ورسمت الخطط التعليمية، وعملت على تنصير الأطفال والشباب، وإن تظاهرت بعثاتها التنصيرية أحياناً باحترام الدين الإسلامي، وكانت خطط التنصير الإيطالي عن طريق مناهج الدراسة على أساس تثقيفها بالثقافة الإيطالية وتدريسهم اللغة الإيطالية، وقد هدفت المدارس التنصيرية إلى تقديم الخدمات التعليمية الدينية، والعمل على تنصير الأهالي لدعم سياسة الدول الأجنبية وأهدافها الثقافية والسياسية والدينية[7] .

---

(1) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص211.

(*) المريميون أو الماريون Marianisti أتباع السيدة مريم. Francesca Di Pasquale, op. cit., p.25.

(2) Eleen Ryan, op. cit., p. 9.

(3) فريال عواسة، مرجع سابق، ص22.

(4) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص145.

(5) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص120.

(6) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص145.

(7) محمد الكوني، مرجع سابق، ص106.

قامت الجمعية الوطنية الإيطالية لإنقاذ المُبَشِرين في الخارج بتقديم المساعدات في منطقة المنشية بطرابلس بتوطين الراهبات الفرنشيسكانيات المبشرات من مصر تحت طلب المدير الرسولي (ارنستوسكباريللي) السكرتير العام للجمعية لنشر وتحسين الدعاية الإيطالية في ولاية طرابلس، وشرعت الراهبات منذ البداية بالأنشطة الخيرية والتعليمية وفتح دار للأيتام ومدارس في طرابلس مكثفة جهودها في أماكن عديدة من الولاية[1] .

كما قامت فرنسا بفتح العديد من المدارس بطرابلس، وأقامت الكنائس التي تقوم بالتنصير، وزاد اهتمام فرنسا بالتعليم التنصيري في العهد العثماني الثاني بطرابلس، حيث استبانت عجز الدولة العثمانية، ففي عام1881م وجدت في طرابلس مدارس فرنسية، (خمس مدارس وكنيسة)، وأسست مدرسة من طرف الفرنشيسكان التابعين لفرنسا الكاثوليكية داخل المدينة (طرابلس) التي يعود وجودها إلى عام 1740م[2] .

وكجزء من مجهود فرنسا في أفريقيا فقد عززت العلاقات الإيجابية مع المبشرين من خلال الدعم المادي خلال القرن التاسع عشر ميلادي، فزادت البعثة نشاطها التربوي في المنظمة بافتتاح مدرسة في طرابلس، وأخرى في الشرق في بنغازي، كما تلقت منظمة الأخوة الأصاغر "Frati Minori" الحماية السياسية والمادية من فرنسا[3] .

عقدت اتفاقية صداقة بين الجمهورية الفرنسية والدولة العثمانية بتاريخ 28نوفمبر سنة1901، حيث صودق مجدداً على الوجود القانوني للمدارس الكائنة بطرابلس من القنصل، واستمرارية إعفائها من الرسوم الجمركية، والاعتراف بالمباني الدينية، وبالتوسيعات والترميمات المصرح بها، ومسكن وكنيسة الرهبان الفرنشيسكان، ومدرسة راهبات جوزيف، ومدرسة أخوان

---

(1) Eleen Ryan, op. cit., p27.

(2) محمد الكوني، مرجع سابق، ص112.

(3) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 99.

الماريانسيت، ومسكن وكنيسة الرهبان الفرنشيسكان بالخمس ودرنة[1] ، كما وجدت في بنغازي مدرستان تحت رعاية فرنسا، واحدة للذكور، والأخرى للإناث تديرها الإرساليات الكاثوليكية[2] ، ومدرسة للبنات تديرها راهبات القديس يوسف[3] ، كما كانت طائفة الفرنسيسكان تعمل بشكل مكثف ونشط من أجل الدعاية الفرنسية في الولاية في فترة أنشطة الأخوة الماريين، وخاصةً في مجال التعليم باللغة الفرنسية[4] ، فقد قامت المؤسسات الكنيسية التنصيرية في فرنسا بالاتفاق مع مؤسسات التعليم التنصيري بتشجيع من قنصليات البلدان المهتمة بهذا النوع من التعليم لتحقيق أهدافها، فكانت الجمعية الكاثوليكية في فرنسا تدفع حوالي (18000) فرنك سنوياً لدعم مدارسها التنصيرية في طرابلس[5] ، غير أنه في عام1899م تشكلت الحكومة الجديدة في فرنسا تحت رئاسة الجمهوري (بيرولديك روسو)، وبذلك سجلت نهاية الحماية الرسمية الفرنسية للمبشرين والإرساليات الكاثوليكية، وعندما قطع (روسو) العلاقة بين الكنيسة والدولة، وإلغاء الدعم السياسي والاقتصادي، جعل الفرنشيسكان الإيطاليين في طرابلس وبرقة يبحثون عن مساعد جديد للمساعدات المالية والدبلوماسية[6] .

في عام1902م تم الاتفاق بين فرنسا وإيطاليا على ألا تعارض إيطاليا احتلال مراكش، وألا تقف فرنسا في وجه إيطاليا إذا ما أعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية وانتزاع ولاية طرابلس، وبذلك تراجعت فرنسا عن اهتمامها بمؤسساتها الكنيسة التنصيرية، وأوكلت حق الإشراف ومتابعة الكنائس والمدارس في ولاية طرابلس الغرب لإيطاليا[7] .

---

(1) محمد الكوني، مرجع سابق، ص113.

(2) فرانشيسكو كورو، مرجع سابق، ص121.

(3) وهبي البوري، مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، بنغازي، دار الكتاب الوطني، 2008م، ص35.

(4) Eleen Ryan, op. cit., p. 26.

(5) محمد الكوني، مرجع سابق، ص115.

(6) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 92.

(7) محمد الكوني، مرجع سابق، ص106.

وعقدت الاتفاقية الودية في 18أبريل 1904م بين إنجلترا وفرنسا لتصفية مشاكلهما الاستعمارية في كل من إفريقيا وآسيا، يتم بمقتضاها احتلال إنكلترا مصر، واحتلال فرنسا مراكش، وتساعد فرنسا إيطاليا لتحقيق أطماعها في طرابلس، ونتيجة لارتباط فرنسا بهذا الاتفاق أخذت تتخلى عن تعليمها التنصيري[1] ، ففي عام 1907م تم تحويل البعثة الفرنشيسكانية من الحماية الفرنسية إلى الإيطالية، وبدأت بالعمل من قبل الموظف الفرنشيسكاني الأب (جوسيبي بيفلوكوا)[2] ، ووافق وزير الخارجية (تيتوني) على منح الحماية الإيطالية للبعثة وذلك عام1908م، بعد تخلي فرنسا عن دعم الفرنشيسكان، ووعد بدفع مبلغ 2.2000 ليرة مقابل التأكيد المتزايد على تعلم اللغة الإيطالية والبدء في الخدمات الطبية[3] ، وبذلك اتخذت الخارجية الإيطالية قرارها 1910م، وأصبحت راعية البعثة الفرنشيسكانية العاملة في طرابلس الغرب، ومنعت مدارس الإرساليات من استخدام اللغة الفرنسية في التعليم، وفرضت اللغة الإيطالية[4] ، وتحدث مدير عام المدارس الخارجية (سكاليرني) إلى مدير (جاكمواين) عن الاهتمام التربوي، وبأن أول من نشر الثقافة والهوية الإيطالية في طرابلس المبشرون الفرنشيسكان عن طريق مؤسسات النشاط التربوي منذ نزولهم عام1636م، وبأن أول مدراس قامت على يد الأب (فيتاتزيو)[5] .

وبذلك وجد الحاكم الجديد للبعثة الفرنشيسكانية (بوتافيتورا روزيتي) - بفضل مشاريع الاستيطان الإيطالي - فرصة لمساعدة البعثة في مخططاتها؛ لتغيير ديانة العبيد المحررين وغالبيتهم من الأفارقة جنوب الصحراء، وكان مجمع القديس يوسف مثلاً للتهديد المباشر بنشاطاته المتعلقة باعتناق الدين بين العبيد المحررين في منطقة بنغازي، وطلب رزويتي منهم توسيع ممارساتهم فيما وراء عمل الإعانات[6] .

---

(1) محمد الكوني، مرجع سابق، ص113.

(2) Eleen Ryan, op. cit., p. 26.

(3) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 94.

(4) Eleen Ryan, op. cit., p. 26.

(5) Eleen Ryan, op. cit., p. 17-18.

(6) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 26.

لذلك قامت منذ البداية بوضع مخطط الترغيب للأهالي والأعيان لإلحاق أبنائهم بالمدارس الإيطالية، والاهتمام بالنشء الجديد، والملاحظ أن الطبقات الفقيرة هي التي كانت تُقبل على الانخراط في المدارس الإيطالية، فقد رسمت إيطاليا الخطط التعليمية التبشيرية، ولجأت إلى تنصير الأطفال والشباب وإرسالهم إلى إيطاليا ليعيشوا هناك[1] .

وخلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي أقام الكرسي الرسولي منفذين إعلاميين "الملاحظ الروماني "L'osserva tore Romano" الذي افتتح عام1861م، وكذلك "الحضارة الكاثوليكية Civiltà Catlolica" التي افتتحت في عام1854م، وأصبحت تحت سيطرة الفاتيكان المباشرة في 1880م، وفي عام1904م أصبح هناك تحالف واسع بين المصالح الليبرالية، والمصالح الدينية، وقد شجعت الصحافة الكاثوليكية على غزو الأقاليم الليبية، ولاقى الحماس الكاثوليكي لاحتلال إيطاليا لطرابلس الغرب انتشاراً واسع النطاق، ولاسيما عندما أعلن القساوسة الحرب المقدسة على المنابر، ورأت صحيفة الحضارة الكاثوليكية أن اعتناق الهوية الدينية يمكن الإيطاليين الكاثوليك من تنصير السكان المسلمين في شمال أفريقيا، لذلك طلب رئيس البعثة الفرنشيسكانية ـ بعد سفره إلى روما ـ أخذ التصاريح لبناء محطة إرسالية تبشيرية في كل من طبرق، ومصراته، وزليتن لخدمة السكان والانتفاع المرتقب للمستوطنين[2] ، كذلك وجود العديد من البعثات: كبعثات الراهبات الفرنشيسكانيات التي قدمت من مصر عن طريق البحر إلى درنة، واتخذت مبنى شُيد بأموال الحكومة الإيطالية سكناً لها، وفتحت مدرسة وعيادة طبية، وجماعة الرهبان اليعاقبة في بنغازي، والتي اتخذت من مباني البعثة الفرنشيسكانية بالفويهات مقراً لها[3] .

في نهاية الثمانمائة كانت بعض العائلات الطرابلسية ـ كما يبدو وفي أعداد محدودة ـ توجهت إلى التعليم في المدارس الكاثوليكية، ووجود المسلمين في هذه المدارس استمر خلال فترة الاستعمار الإيطالي، حتى وإن كان قد تميز بتغيير رقمي[4] ، وأكد الرحالة مارك فورند

---

(1) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص ص147، 150، 166.

(2) Francesca Di Pasquale, op. cit, p. 82, 84, 101.

(3) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص ص426، 438.

(4) Eleen Ryan, op. cit., p. 19.

Morgfourned - الذي زار طرابلس 1885م – على فتح القساوسة الفرنشيسكان مدرسة للبنين فيها جميع الديانات، يتم تعليمهم القراءة والكتابة بالإيطالية، ومن بينهم أبناء الضباط الأتراك، وكذلك تحضير الأهالي وتعرفيهم اللغات الأوروبية[1] .

كما أن المدارس الإيطالية في طرابلس كانت تستخدم اليهود، وأن بعض المدرسات في رياض الأطفال في التعليم التنصيري كن من اليهوديات[2] ، إذن استفاد اليهود من مدارس الإرساليات الأوروبية كجمعية الفرنشيسكان الإيطالية والرابطة الفرنسية العالمية[3] ، وبذلك كان التعاون بين التعليم الفرنسي والإيطالي واليهودي واضحاً، وظهر ذلك في عدد المدرسين اليهود في هذه المدارس حتى وصل 70%، وكان أشهرهم اليهودي ليفي وزوجته اللذين وهبا نفسيهما في خدمة أهداف الحركة التبشيرية الفرنسية[4] ، وهكذا تزاحمت البعثات المسيحية في بلد مجموع سكانه من المسلمين، مع وجود بعض أسر إيطالية، وفرنسية، وإنجليزية، ومن الفاتيكان[5] .

إن التبشير الإيطالي في ولاية طرابلس الغرب مشابه لمخططات فرنسا في تونس والجزائر؛ لأن الدولتين (إيطاليا وفرنسا)[6] تنتميان إلى جذور لاتينية واحدة، ويتبعان المذهب الكاثوليكي، فالمخطط الإيطالي الفرنسي متماثل، وإن تباينت الأهداف؛ نتيجة لتباين السياسيات الدولية، ولكن الاتجاهات التنصيرية والتعليمية[7] متكاملة، والدليل تنازل فرنسا لإيطاليا عن حقوق الإشراف والمتابعة للمؤسسات والكنائس ومخططات التبشير في ليبيا، وقد أحيط الباب العالي بالأستانة بهذا الإجراء[8].

---

(1) خليفة التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، طرابلس، الدار العربية للكتابة، ط3، 1997م، ص179.

(2) محمد الكوني، مرجع سابق، ص105.

(3) خليفة الأحول، يهود مدينة طرابلس الغرب تحت الحكم الإيطالي، 1911- 1943م، الجماهيرية العظمي، مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 2005م، ص25.

(4) خليفة الأحول، الجالية اليهودية في ولاية طرابلس الغرب، مرجع سابق، ص236.

(5) محمد مصطفى بازامة، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، ص438.

(6) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص156.

(7) محمد الكوني، مرجع سابق، ص106.

(8) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص156.

لا يخفى على أحد أن الصراع السياسي الذي كان يحتدم بين فرنسا وإيطاليا وإنجلترا على امتلاك شمال إفريقيا والسيطرة عليه، والصراع بين فرنسا وإيطاليا بالذات، لا من أجل استغلال الثروات التي ينظر إليها المستعمرون فحسب، بل من أجل إعادة خارطة إمبراطورية مسيحية جديدة تبدأ من المغرب الأقصى وحتى مصر، وهي كما يزعمون بقايا أمة مسيحية متناثرة استرقت واختلطت بالاعتداءات البربرية[1] ، ولهذا حاولت ايطاليا ـ وبوجود السلطة الروحية "الفاتيكان" ـ أن تملك زمام المبادرة لنشر المسيحية في المنطقة[2] ، وبوصول القوات الإيطالية في خريف عام1911م، وضع حداً لكل المناقشات حول الهوية الوطنية للبعثة الفرنشيسكانية[3] ، التي أصبحت تابعة لإيطاليا، وتقوم بنشر النفوذ اللغوي الإيطالي من خلال مدارس البعثات والخدمات الطبية[4] .

وبالعفل كان للسماح بفتح المدارس الأجنبية تأثيراً خطيراً في اضمحلال اللغة العربية واستقطاب الكثير من التلاميذ[5] ، واحتفلت صحيفة الحضارة الكاثوليكية بقرار وزير الحرب الإيطالي بإرسال قساوسة مع جملة الغزو الإيطالي للولاية، واشتراك الجنود الكاثوليك في الحرب الذي زاد عددهم من 400 جندي إلى 1500 جندي في ديسمبر 1912م[6] ، وكان النشيد الذي يردده جنود الجيش الإيطالي عندما كانت تتوجه فرقهم الغازية إلى الولاية سنة1911م، تقول كلماته في عداء صليبي صريح: "يا أماه أتمي صلاتك، ولا تبكي بل اضحكي ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة، لأحارب الديانة الإسلامية سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن"[7] .

---

(1) خليفة التليسي، حكاية مدينة طرابلس، ص96.، مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص162.

(2) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع السابق، ص162.

(3) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 100.

(4) Francesca Di Pasquale, ibid, p. 100.

(5) إسماعيل مولود القروي، التمهيد الثقافي الإيطالي للغزو العسكري لليبيا 1882-1911م، الرباط-المملكة المغربية، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، 1993م، ص76.

(6) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 100-101.

(7) رمضان البركي، الغزو الصليبي الجديد وسائله وغاياته، بنغازي-ليبيا، دار الكتب الوطني، 2002م، ص74.

الفصل الثالث

ردود فعل المؤسسات الإسلامية
على محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب

المبحث الأول: دور الكتاتيب، والمساجد.

المبحث الثاني: دور الزوايا.

المبحث الثالث: دور الرباطات.

المبحث الرابع: ردود فعل المدارس العثمانية من محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب.

المبحث الأول

دور الكتاتيب، والمساجد

أولاً: الكتاتيب:

لقد كان التعليم في الولاية منذ الفتح العربي الإسلامي تعليماً دينياً صرفاً؛ وذلك لتأكيد[1] الدين الإسلامي في النفوس إلى جانب تعليم اللغة العربية لغة القرآن[2] ، ولقد كان هذا التعليم يتم بجهود فردية في المساجد، التي اتخذت منذ إنشائها في كافة نواحي الولاية بيوت للعبادة، وحلقات العلم والتعليم[3] .

ارتبط الفتح الإسلامي بإنشاء المؤسسات الدينية من مساجد ورباطات، مما نتج عنه تشكيل منارات علمية انطلق منها شعاع الثقافة الإسلامية إلى سائر المجتمع[4] ، فكان لهذه المنارات العلمية من الكتاتيب والمساجد والزوايا والرباطات المنشرة في الولاية الأثر الكبير في التعليم الديني، وبانتشار التعليم الديني ازدهرت الثقافة في الولاية[5] .

عرفت البلاد منذ الفتح الإسلامي نظام الكتاتيب حيث انتشر على نطاق واسع بما شمل المدن والقرى والأرياف وحتى المناطق النائية[6] ، ويُعددُ الكُتَّاب من أقدم أنواع المراكز التعليمية، احتفى به العرب، وعدوا تلقي التعليم فيه أول تعليم نافع تلقوه[7] ، وقد لعبت الكتاتيب دوراً مهماً في نشر العلوم الدينية[8] .

---

(1) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص62.

(2) محمد بشير السويسي، أوضاع التعليم في ليبيا 1835-1950م، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد2، 1999م، ص76.

(3) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص62.

(4) الصالحين الخفيفي، دور التعليم الديني في الحفاظ على التراث الثقافي في ليبيا، مجلة الشهيد، العدد28-29، 2007-2008م، ص ص28-29.

(5) محمد عبد السلام بوغريدة، الحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الثاني 1835-1912م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ الحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2014، ص77.

(6) شويطر نجاة، المؤسسات الدينية التعليمية في طرابلس الغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي 1711-1911م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2015-2016م، ص19.

(7) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص31.

(8) عبد الحكيم غيث، الحياة الثقافية في مدينة مصراته خلال فترة الاحتلال الإيطالي 1911-1943، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم تاريخ، كلية الآداب، جامعة 7 اكتوبر، مصراته-الجماهيرية، 2006م، ص69.

والكُتَّاب بضم الكاف وتشديد التاء موضع تعلم الكِتَاب، والجمع الكتاتيب[1] ، والكتاتيب في الغالب ما تكون حجرة أو أكثر ملحقة بالمسجد أو منفصلة عنه[2] ، أو خيمة في البادية[3] ينشئها الأفراد الموسرون من أهل البادية[4] ، أو غرفة في منزل[5] ، وقد تكون ملحقة بالزوايا[6] ، الكتاب مشتق من الفعل كتب، وتعني التدريس المستمر على القراءة، وخاصةً قراءة القرآن الكريم واللغة العربية، وتعادل المدارس الابتدائية، حيث تعلم الصبيان القراءة والكتابة والحساب[7] .

فالكُتَّاب هو أول درجات السلم التعليمي الديني[8] ، يلحق به الصبيان الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والسادسة به[9] ، ولم يكن هناك حد معين يحفظ فيه الصبي القرآن الكريم، أي لم يكن هناك عدد من السنوات المقررة، لذلك كانت عملية الحفظ هذه تستند إلى مجهود كل صبي ومقدرته الخاصة، ويجمع المعلم (الفقيه) مجموعة من الأطفال والصبية[10] ، ويقوم بتعليم الأولاد، وفي أحياناً قليلة يعلم البنات مع الأولاد[11] ، وقد يقبل الكُتَّاب كبار السن أيضاً[12] ، ويتعلم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على أيدي هؤلاء الفقهاء[13] .

---

(1) عبد الرحمن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة، 1950-1977م، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988م، ص17.، عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص68.

(2) مسعود عبد الله مسعود، ملامح الحياة الفكرية الثقافية في ليبيا في أواخر الحكم العثماني الثاني حتى الاحتلال الإيطالي 1911م، المجلة الجامعة، العدد15، المجلد3، 2013م، ص120.

(3) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص42.

(4) شعبان عوض العبيدي، الكتاتيب في برقة، مجلة أصول الدين، جامعة بنغازي، العدد2، 2017م، ص466.

(5) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص17.

(6) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص81.

(7) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص69.

(8) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص107.

(9) محمد الكوني، مرجع سابق، ص42.

(10) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ص107-110.

(11) شعبان عوض، مرجع سابق، ص466.، أحمد مصباح إسحاق، حياة الكتاتيب وأدبيات التعليم في ليبيا، مجلة أصول الدين، العدد2، 2018م، ص341.

(12) مسعود عبد الله مسعود، مرجع سابق، ص120.

(13) محمد الكوني، مرجع سابق، ص42.

يبدأ الأطفال تعليمهم بحروف اللغة العربية، بحفظها برسمها وحركاتها، وطريقة كتابتها[1] ، ويستعملون أقلام من القصب[2] أو ريش طائر يرجح أنه البط، ويستعمل الصبي محبرة صغيرة بها حبر، ويقوم بكتابة الدرس على لوح[3] ، يعرف بالرشيمة، وعادة ما تكون لوح صغير ينظف بالماء، ثم يطلى بنوع خاص من طين[4] الَّطَفْلَة عند محو الكتابة عن اللوح[5] .

كان أثاث الكتاب عبارة عن حصير مصنوع من الحلف، ومجموعة من الألواح الخشبية[6] . بالإضافة إلى مصاحف وكتب الفقه توضع في رفوف جدران الحجرة[7] ، وكان الصبية ينضمون في هذه الكتاتيب تلقائياً بصورة منتظمة[8] ، ويتنظم التلاميذ داخل الحجرة في شكل دائرة فوق الحصير، ويجلس الشيخ على كرسي مرتفع في صدر الحجرة، مستعيناً بعصاة من جريد النخيل، كما أن الفلقة من العقوبات المتعارف عليها في الكتاتيب[9] ، وكانت الدراسة تستمر فيها كل أيام الأسبوع[10] ، وكان على الأسر التي يتعلم أبناؤها بالكتاب أن يدفعوا مقابل تعلم أبنائهم أجور نقدية أو عينية تشمل التمر أو القمح أو الزيت للفقيه[11] .

اقترنت هذه المؤسسة (الكتاتيب) بالمسجد حتى أصبحت معلماً من معالمه، لا تنفصل عنه إلا نادراً؛ نظراً للصلة الوثيقة التي تربط بينهما[12] ، غير أن علماء الفقه فصلوا إقامتها بجانب بيت الصلاة لا داخله؛ خوفاً من التشويش والعبث من قبل الصبية بحرمة المسجد[13] .

---

(1) مسعود عبد الله مسعود، مرجع سابق، ص120.
(2) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص17.
(3) محمد الكوني، مرجع سابق، ص43.
(4) مسعود عبد الله مسعود، مرجع سابق، ص120.
(5) شعبان عوض العبيدي، مرجع سابق، ص467.
(6) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص108.
(7) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص19.
(8) رأفت غنيم الشيخ، مرجع سابق، ص110.
(9) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص70.
(10) محمد السويسي، مرجع سابق، ص81.
(11) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص92.، رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص107.
(12) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص68.
(13) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص42.

فكانت الكتاتيب تقع بجوار المساجد[1] ، منها: كُتَّاب مسجد الخطاب، وكُتَّاب مسجد بن طابون يقع في زنقة الكانوني، وكُتَّاب سالم المشاط[2] يقع في زنقة سالم المشاط، وكُتَّاب جامع محمود يقع بزنقة الراعي، وكُتَّاب مسجد القصلاني يقع في تقاطع شارع سوق الحرارة، وكُتَّاب جامع مسجد صوان يطل على شارع سيدي الخطاب، وكُتَّاب مسجد الدروج بمنطقة الدروج[3] .

لم يهتم الحكم التركي ـ عندما سيطر على ليبيا (العهد العثماني الأول 1551-1711م)[*] ـ بهذا النوع من التعليم شأنه شأن الأنواع الأخرى من التعليم، وكل ما كان يقوم به في الولاية هو تسجيل هذه الكتاتيب، وحتى عملية التسجيل اقتصرت فقط على المدن الرئيسية كطرابلس وبنغازي، أما الكتاتيب في القرى والمناطق الأخرى البعيدة فلم يلتفت إليها ولا حتى بتسجيل أعدادها[4] .

وُجِدَت الكتاتيب حتى في العهد العثماني الثاني (1835-1911م) في ولاية طرابلس الغرب[5]، وبلغ عددها في مدينة بنغازي (1284هـ/1883م) ثمانية كتاتيب فقط، عدد تلاميذها غير مستقر، وهذا يؤكد أن هذه الكتاتيب كانت تقوم بخدماتها التعليمية بجهود فردية أهلية، يتولى التلاميذ أنفسهم وأهلهم الصرف على عملية تعليمهم، التي لم تكن تتعدى دفع أو تقديم أشياء مادية أو عينية للفقيه[6] .

---

(1) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص108.

(2) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص19.

(3) محمد الكوني، مرجع سابق، ص ص46-47.

(*) لم يحاول ولاة الدولة العثمانية الذين تعاقبوا على حكم ولاية طرابلس الغرب إلى سنة1711م على إحداث تغيير في نظام التعليم، أو أساليبه ومناهجه، بل بقي التعليم دينياً طوال العهد العثماني الأول، وحينما تولى أحمد باشا القرامانلي الولاية على سنة1711م ـ وبهذه الولاية استأثرت الأسرة القرامانلية بالحكم لمدة 100سنة حتى عام1835م، بداية العهد العثماني الثاني (1835-1911م) ـ سار على نفس سياسة الولاة العثمانيين الذين سبقوه فيما يخص التعليم، إلا أنه خطا بالتعليم الديني خطوة كبيرة إلى الأمام، وهي السماح لبعض العلماء من أبناء البلاد بفتح مدارس قرآنية خاصة، وهي بطبيعة نظامها ومناهجها أعلى مستوى من الكتاتيب، وذلك لإتاحة فرصة التخصص في العلوم الدينية للطلبة الذين أتموا حفظ القرآن الكريم، وبعد وفاة أحمد باشا بدأ يقل اهتمام خلفائه بالتعليم، وظهر ذلك بصورة جلية في عهد يوسف باشا (1795-1832م)؛ وذلك لانشغاله بمقاومة الضغوط الخارجية، ومن ناحية أخرى بإخماد الثورات الداخلية (ثورة عبد الجليل سيف النصر). عمر علي بن إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا (1835-1882م) بنغازي-ليبيا، دار الفضيل للنشر والتوزيع، 2014م، ص ص308-309.

(4) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص108.

(5) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص42.

(6) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص108.

فالحكم العثماني ورث داخل الولاية نظاماً تعليمياً (الكتاتيب) كان قائماً منذ زمن طويل ومنتشر في أنحاء البلاد الإسلامية، هذا النظام كان له الدور الكبير في نشر العلم على نطاق واسع[1]، وكان التعليم في الكتاتيب من أنجح المؤسسات التعليمية الدينية، إذ كان العامة لا يهتمون إلا بهذا النوع من التعليم ليتمكن أبناؤهم من حفظ القرآن الكريم والكتابة، حتى يستطيعون من خلالها تأدية شعائرهم الدينية[2] .

قامت الكتاتيب بدور عظيم، فهي محل رعاية القادة والمفكرين، وعناية العلماء والعاملين، فالدور المهم هو قيامهم بمهمة تربوية عظيمة، حيث نجده في كل درب، وفي كل قبيلة، وفي كل حي، وكان يؤمه جل الأطفال لحفظ القرآن الكريم ومبادئ العبادات[3] ، ويعتبر الكتاب منارة علمية فهي - بحق ـ فخر عظيم للعلم والسلاح في وجه المحاولات الاستعمارية التي تهدف إلى الهيمنة ضد العروبة والإسلام، فكان دور الكتاتيب ضد هذه المحاولات إعلاء كلمة التوحيد والتصدي لكل محاولات صليبية ضد الإسلام[4] .

كانت للنشأة الدينية الأولى، والتربية الإسلامية السامية الأثر الفعال في تنمية وصقل استمرارية المجاهد البدوي الليبي البسيط الذي لم يكن متعلماً تعليماً كاملاً، سوى تفهمه لما يأمره به الإسلام[5] .

قامت هذه المؤسسة الدينية في فترة الوجود الإيطالي في الولاية بدورها الديني في تعليم النشء، وتم الصرف عليها من أملاك الوقف، وخاصة بعد أن آثر المستعمر الإيطالي التخلي عنها؛ لأنه عرف مدى مكانتها في قلوب المسلمين، وحرصهم على المحافظة عليها، والذود عنها، مما شجع

---

(1) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص68.

(2) محمد الكوني، مرجع سابق، ص ص46-47.

(3) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص77.، وهبي البوري، مجتمع بنغازي، ص35.

(4) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص88.

(5) مصطفى الهاين، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 1980م، ص24.

المواطنين على بذل العطاء، وإعطاء أموالهم أو جزء منها عندما يشعرون بخطر امتداد يد العدو إليها[1] ، ويقول أحمد الشريف[*] : "ليس في هذه الدنيا أعز لدينا من السلاح والكتاب، بالسلاح نهزم عدونا، وبالكتاب يزداد علمنا، وهي أحرص ما يحرص عليه المسلمون"[2] .

كان للكُتَّاب القرآني في الولاية دوراً معرفياً، ودوراً جهادياً، فالدور التأسيسي للكتاتيب يسير بغايات ومقاصد اجتماعية ومعرفية تمثلت في حفظ النفس والجهاد، وإقامة الدين ونشر الإسلام والحفاظ عليه[3] ، وقد أخرجت الكتاتيب جيلاً قوياً ناشئاً على الأدب والعلم، وقد بلغ عدد الدارسين المسجلين في الكتاتيب في بنغازي في عام 1867م حوالي تسعمائة وثمانية وثمانين تلميذاً[4] .

لم تسلم الكتاتيب من التدخل وفرض السيطرة من قبل المستعمر الإيطالي، حيث اتخذت السلطات الإيطالية بعض الإجراءات التعليمية في أوائل عام1912م، كانت تهدف إلى طلينة الثقافة والأرض، ولكن الفشل الذريع كان من نصيب هذه الإجراءات[5] ، فانصرف الكثير من أبناء الولاية الليبي من المدارس الإيطالية إلى الكتاتيب والمساجد؛ خوفاً من تأثرهم بأخلاق ومبادئ لا يرضى عنها الآباء، والوصول بعد ذلك إلى ضعف الدين الإسلامي في النفوس[6] .

---

(1) محمد السويسي، مرجع سابق، ص78.

(*) أحمد الشريف: هو السيد أحمد بن محمد الشريف، ابن السيد محمد بن علي السنوسي، بن العربي بن محمد بن عبد القادر، ولد(1269هـ/1873م) في بلدة الجغبوب، ابن السيدة خديجة بنت السيد عمران بن بركة الفيتوري، تربي في الجغبوب، تلك البيئة الدينية العلمية الحاضنة لبيت والده وعمه المهدي وجده لأمه عمران بن بركة، بدأ قراءة القرآن الكريم على عمه السيد محمد المهدي حتى حفظ الكثير منه، ثم بأمر عمه أتم حفظ القرآن على شيخه السيد المدني بن مصطفى التلمساني، وتلقى أوليات العلوم في زاوية الجغبوب أولاً، ثم في زاوية التاج. أحمد بن محمد الشريف السنوسي، الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج ومعه الكوكب الزاهر في سما مجلي الظلام العاكر، تحقيق: أحمد محمد جاد الله، وعبد الغني عبد الله محمود، بنغازي-ليبيا، دار الكتاب الوطني، ط1، 2020م، ص ص29-32.

(2) مصطفى الهاين، مرجع سابق، ص17.

(3) أحمد مصباح إسحاق، مرجع سابق، ص341.

(4) المرجع نفسه، ص335.

(5) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص94.

(6) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص14.

ثانياً: المساجد:

في الوقت الذي كانت الكتاتيب والزوايا الصوفية مؤسسات فكرية علمية تضم العديد من العلماء والفقهاء وطلاب العلم، وتدرس فيها مختلف العلوم والمعارف، كانت هنالك مؤسسة أخرى فكرية تربوية تقوم بدور مماثل وهي المسجد، الذي يعتبر مركز ثقافي تعليمي مهم ساهم في نشر مختلف العلوم الدينية والفقهية واللغة العربية[1] وتحفيظ القرآن الكريم والحديث[2] .

ظهر المسجد بظهور الإسلام، وقامت فيه حلقات من الدروس الدينية منذ أن نشأ، واستمرت على مر السنين والقرون في مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع[3] ، كانت الدروس تتم في الغالب في أيام معينة من الأسبوع، وخاصة يوم الجمعة[4] ؛ فالمسجد لم يكن مجرد مكان للعبادة والصلاة[5] وإقامة الشعائر الدينية[6] ، وإنما كان مدرسة بكل ما تحمله هذه الكلمة، ففيه تُلقى الدروس الدينية، وملتقى للمثقفين من الطلاب والأساتذة[7] ، وكنت لا تجد قرية ولا حياً ولا مدينة بدون مسجد[8] ، حتى لفتت أنظار الرحالة الذين يمرون على البلاد، وأشار التجاني عند زيارته للبلاد أن مساجد البلد لا تحصى كثرة"[9] .

كما كان مكاناً يجتمع فيه الناس لمناقشة أمور دينهم ودنياهم، وحل المنازعات بين الأهالي، والمكان الذي يقصده طلبة العلم للتعليم والهداية[10] ، ودار للقضاء، وساحة تتجمع فيها الجيوش[11] ،

---

(1) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص20.
(2) الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص29.
(3) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص14.
(4) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص91.
(5) الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص28.
(6) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص83.
(7) الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص28.
(8) محمد بشير، مرجع سابق، ص82.
(9) الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص28.
(10) رأفت غنيم الشيخ، مرجع سابق، ص88.
(11) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص15.

ومقراً لإعلان الحرب والسلم[1] ، ومكان يختص بتعليم الكبار والصغار؛ ولكن فقهاء المذهب المالكي يقولون: بأن تعليم الصغار في المساجد غير لائق، اعتمدوا في فتواهم على حديث الرسول ﷺ: "جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ"[2] ، وبذلك اتخذ الفقهاء غرفة ملصقة بالمساجد وزوايا لتعليم الصغار[3] .

كان كثير من الناس ينظرون إلى التعليم في المساجد على أنه هو الأساس المتين في تنشئة الأطفال[4] ، فكان الأهالي يرسلون أطفالهم إلى المساجد لقراءة القرآن على يد الفقهاء، فهي أحد الوسائل التي اتجه إليها طلاب العلم في الولاية وخاصة الذين لم يتمكنوا من القيام برحلة علمية خارج البلاد لإشباع رغبتهم العلمية[5] .

ومع رياح التغيير التي أخذت تعصف بالدولة العثمانية والتنظيمات التي جاءت لإرضاء الأقليات الدينية الموجودة في الولايات العثمانية، ومنها ولاية طرابلس الغرب، وذلك عن طريق حرية الممارسة الدينية، إلى جانب نشر اللغة العربية والتركية، وإبراز الهوية العثمانية، ولكن على الرغم من ذلك استمر التعليم الديني الوعاء الذي حافظ للمجتمع في ولاية طرابلس الغرب على لغته ودينه وأدبه وتراثه، فقد كان الهدف من التعليم الديني في كافة المؤسسات الدينية بما فيها المساجد هو تبصير الناس بأمور دينهم ومعاملاتهم في دنياهم، والوقوف ضد كل المحاولات التي من شأنها التأثير على الإسلام والمسلمين[6] .

كان لمثل هذه المؤسسة الدينية التعليمية الفكرية بولاية طرابلس الغرب، سواء كانت في شرقها أم جنوبها أو غربها أو في مراكز الولاية وضواحيها الدور البارز والأساسي في نشر العلوم الدينية، بالإضافة إلى دورها الديني الروحي[7] .

---

(1) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص83.

(2) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل، ط1، 1418هـ، 1998م، ج2، ص67.، (ضعيف جداً): محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الترغيب والترهيب – الألباني، الرياض–المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص106.

(3) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص15.

(4) مسعود عبد الله مسعود، مرجع سابق، ص121.

(5) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص88.

(6) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص ص39–41.

(7) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص20.

سار بعض الولاة العثمانيين متبعين طريقة ولاة المسلمين الأوائل في بناء المساجد التي تهتم بنشر الدين الإسلامي، وأنشأ مراد أغا مسجده المعروف باسمه في ضاحيته تاجوراء، وأنشأ القرمانلي مسجده في مدينة طرابلس، ومن المساجد الموجودة في بنغازي جامع الحرادة به زاوية عظيمة سنوسية، وجامع الدراوي يقع بشارع المهدوي في بنغازي، وجامع عمران الفقيه في غدامس[*] يقع بشارع الجرسان[1] ، ومسجد محمد بك القرمانلي في درنة[2] .

وفي كثير من الأحيان يتم تشييد المساجد بشكل فردي عن طريق بعض الأغنياء والمحسنين من الأهالي والتبرعات، أو يشترك في تأسيسها الأهالي والعثمانيون على السواء بدوافع دينية محضة[3].

أنجبت هذه المساجد علماء أجلاء[4] منهم الشيخ عمر المختار، الفضيل بو عمر، محمد عبدالله البوسيفي الذين شاركوا في التصدي للاستعمار الإيطالي المسيحي[5] .

---

[*] غدامس: يقال لها ردامس، وكانت تسمى قديماً سيداموس، وهي مدينة بربرية قديمة، وواحة من واحات طرابلس الصحراوية، ومركز من أقدم مراكز الحضارة فيها، وتبعد عنها إلى الجنوب الغربي بنحو 495كم، وجنوب نالوت بحوالي 18كم، ومساحتها 160هكتاراً. الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مرجع سابق، ص241-242.
مدينة ليبية، تقع جنوب غرب مدينة طرابلس، تحدها الحدود الجزائرية من المغرب، والحدود التونسية الجزائرية من الشمال، ونظراً لموقعها الجغرافي أصبحت معبراً هاماً للقادم من الصحراء، ومحطة لأهالي مدن السواحل، وهذه الميزة الاستراتيجية جعلها تربط بين موانى الشمال ومناطق جنوب الصحراء، وهذا يعود لكونها محطة عبور وسوق صحراوية هامة، فهي تعتبر من المراكز الحضارية الرئيسية في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا.
سلمى عبد الرازق عيد الشبلاوي، مدينة غدامس ـ النشأة والتطور العمراني دراسة في جغرافية المدن، قسم الجغرافية التطبيقية، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، 2012م، ص ص3-4.

[1] شويطر نجاة، مرجع سابق، ص21.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص ص87-95.، رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص89.

[3] محمد السويسي، مرجع سابق، ص88.

[4] رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص89.

[5] محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص83.

المبحث الثاني

دور الزوايا

الزوايا لُغةً مشتقة من الانزواء والانعزال[1] ، وجمع زاوية وأصلها جاء من مصدر (زوى) وهي الانزواء والتنحي، وقد تعني انضمام الشيء إلى الشيء[2] ، وتعني الناحية أو الركن[3] ، وظهر نظام الزاوية في فترة مبكرة جداً من التاريخ الإسلامي[4] ، وعرفت بمعنى الرباط، وما يميزها ارتباطها بشيخ مقبور فيها[5] ، وكان الغرض لإنشائها هو انعقاد الدروس، وانتشار حركة الزهد والورع والتصوف[*][6].

---

(1) غالية يونس الذرعاني، الزوايا السنوسية في مدينة المرج ودورها الثقافي ضد الغزو الإيطالي، مؤتمر برقة عبر التاريخ، المرج، 2007، ص ص3-4.

(2) جماعة من كبار اللغويين العرب، معجم العرب الأساسي، منشورات المنظمة العربية للنشر والثقافة، الأوراس، 1989م، ص595.، عبد الحكيم غيث، ص79.

(3) علي فهمي خشيم، أحمد الزروق، الزروقية، طرابلس، دار الفكر، ط1، 1975م، ص170.، عبد الحكيم عيث، مرجع سابق، ص79.

(4) غالية يونس الذرعاني، مرجع سابق، ص4.

(5) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص34.

(*) التصوف: طريقة ونهج في السلوك والعبادة، عماده الأول الزهد والتوبة، واستخدم المصطلح لأول مرة في التاريخ الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وقد لقب به كل من جابر بن حيان الكيميائي، وأبو هشام البغدادي، ويقول ابن تيمية عن الصوفية: "الصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم"، وأتباع التصوف ينصف اهتمامهم على النفس، ويعملون لتزكية النفس وتهذيبها، ويقوون الإرادة ويركزون على جهاد النفس طلباً لصفاء النفس. عبد الفتاح كبارة، موسوعة الأديان، مصدر سابق، ص332.

عكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة. وقال القشيري رحمه الله: ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس. والظاهر أنه لقب. ومن قال: اشتقاقه من الصفاء، أو من الصفة، فبعيد من جهة القياس اللغوي، قال: وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه. ابن خلدون (ت 808هـ/1405م)، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، 1981م، ج1، ص281.

(6) غالية يونس الذرعاني، مرجع سابق، ص4.

وهي في الأصل ركن البناء، وكانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب[*] المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، على أن مصطلح زاوية ظل محتفظاً في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولاً من ذلك[1] ، فهي تطلق على بناء أو مجموعة من الأبنية ذات طابع صوفي[2] ، وكانت مؤسسة فكرية تؤدي دور مهم في تعليم العلوم الدينية واللغوية والفقهية، ومركز لنشر الطريقة الصوفية[3] ، بالإضافة إلى ذلك فهي مركز للغرباء، وملاجئ للمجاهدين[4] .

يتكون بناء الزاوية من بيت خاص لرئيسها، وآخر للضيوف (مضيفة)، وحجرات خاصة لنوم الفقراء وعابري سبيل، وبيت خاص لخدم الزاوية، وحجرات خاصة بالأولاد الذين يتعلمون القرآن، وبيت خاص بمعلميهم، ومسجد للصلاة، ومخزن للتموين، أو مخازن، واصطبل، وبستان لزراعة الخضروات الضرورية، إن لم يكن موقع الزاوية زراعياً، أما إذا كان زراعياً فتغرس بها أنواع الشجر والفاكهة، وتتألف سلطة الزاوية من رئيسها المسؤول، وله وكيل يقوم بأعماله في حالة غيابه، ويشرف على مصالح الزاوية من الزراعة وتنمية الحيوانات التابعة لها، وتسيير العمال وتشغيلهم، ويتولى نفقات الزائرين والضيوف، وهناك مجلس لرئاسة الزاوية يضم أعيان القبيلة ووجهائها، ومن بين أعضائها الإخوان التابعين للزاوية[5] ، فكل من ينتسب لهذه الزوايا كانوا يعرفون بالإخوان، وهم من أخذوا الطريقة السنوسية وتمسكوا بوردها[6] .

(*) وأَصْلُ الرَّهْبَانِيَّةِ مِنَ الرَّهْبَةِ ثُمَّ صارت اسْماً لِمَا فَضَلَ عن المِقْدَارِ وأَفْرَطَ فيه، وقال ابن الأَثير: والرَّهْبَانِيَّةُ مَنسُوبَةٌ إلى الرَّهْبَنَةِ بِزِيَادَةِ الأَلِفِ والرَّهْبَنَةُ فَعْلَنَةٌ مِنَ الرَّهْبَةِ أَو فَعْلَلَةٌ عَلَى تَقْدِيرِ أَصْلِيَّةِ النُّونِ، وفي الحديث "لاَ رَهْبَانِيَّةَ فِي الإِسْلاَمِ"، والرِّوَايَةُ: "لاَ زِمَامَ وَلاَ خِزَامَ وَلاَ رَهْبَانِيَّةَ وَلاَ تَبَتُّلَ وَلاَ سِيَاحَةَ في الإِسْلاَمِ"، هِيَ كَالاخْتِصَاءِ واعْتِنَاقِ السَّلاَسِلِ مِنَ الحَدِيدِ ولُبْسِ المُسُوحِ وتَرْكِ اللَّحْمِ ومُواصَلَةِ الصَّومِ ونَحْوِهَا مِمَّا كانتِ الرَّهَابِنَةُ تَتَكَلَّفُهُ، وقَدْ وَضَعَه اللهُ ﷻ عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. قال ابنُ الأَثِيرِ: كَانُوا يَتَرَهَّبُونَ بالتَّخَلِّي من أَشْغَالِ الدُّنْيَا وتَرْكِ مَلاَذِّهَا والزُّهْدِ فِيهَا والعُزْلَةِ عَن أَهْلِهَا وتَعَمُّدِ مَشَاقِّهَا، وفي الحديث: "عَلَيْكُم بِالجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي". محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي مطبعة حكومة الكويت، 1965م، ج1، ص545.

(1) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص47 وما بعدها

(2) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص16.

(3) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص22.

(4) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص16.

(5) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، مصر، ط1، 1936م، ص ص196-198.

(6) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص101.

H. Duveyrier, La Confrerie Musulmane, Sidi Mohammed Ben' Ali.Es-Senousi, Domaine, Geoghapop HIQUE, PARIS, SOGLETE.DE, CEOGBAPHIE, 1889, p. 154.

وتقوم حول الزاوية مبان أخرى، يشيدها أغنياء الأهالي، ويوجد بالزاوية متجر، أو متاجر حسب أهميتها، وتستند إمامة المسجد لمعلم الأطفال في الصلوات الخمس، وإذا كانت الجمعة تقام بالزاوية فيقوم بها الرئيس، وكذلك مكان فض المنازعات، مثل مشكلة البراغيث، وهم العرفة والعبيد من جهة، والعواقير(*) من جهة أخرى على تحديد الأراضي(1) .

وكان لكل زاوية عدد خاص من الخدم يقومون بما تحتاجه الزاوية من رعاية حيواناتها، والقيام بزراعتها، وغرس الأشجار، ولكل زاوية مورد تستمد منه ثرواتها، بطبيعة حالة الأرض وموقعها، فهناك زوايا لا مورد لها غير غرس النخيل وبعض الأشجار، والعناية بالبساتين، وهي زوايا الواحات من الصحراء، وهناك زوايا أخرى تقوم بزراعة القمح والشعير، وتنمية الحيوانات بكثرة من الغنم والإبل(2) ، كمسوس والطيلمون، وجنزور، والمخيلي، والعزيات، ولقد ضرب الرقم القياسي زاوية مسوس في الزراعة وتنمية الحيوانات، فيتراوح محصولها سنوياً من ألفي قنطار إلى أربعة آلاف قنطار من القمح والشعير، ويتجاوز عدد العمال بزاوية مسوس مائة خادم، عدا رعاة الحيوانات، ولكل زاوية قطعة من الأرض تحيط بها من الجهات الأربعة، وغالباً ما تكون مساحتها عشر كيلو مترات مربعة يسمونها (حرم الزاوية)، فهذا الحرم من دخله كان آمناً، ومن التجأ إليه يصان، ولا يصح لأحد أن يلحق به أذى، وإذا وطأ فيه إنسان بقدميه يكون داخل هذا الحرم محتفظاً بجميع الآداب الشرعية والاجتماعية، فلا يصح له مثلاً أن يعلي صوته بأغنية، ولا يمكنه أن يطلق رصاص من سلاح، أو يأتي بشيء من القول والفعل يخل بالأدب(3) .

(*) مشكلة العواقير والبرعيث حول تحديد الأرض الخاصة بكلا القبيلتين، وكان الخلاف شديد، ولو استمر لأسفر عن حرب كبيرة، وإجلاء إحدى الطرفين، وتم حل المشكلة عن طريق تدخل السيد محمد المهدي السنوسي، الذي أرسل مشايخ الزوايا في كل من مسوس والطيلمون والمرج للوصول إلى حل تلك المشكلة. محمد طيب الأشهب، برقة العربية الأمس واليوم، ص205.

(1) محمد طيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص198.

(2) ومع توفر الأمن وعدم وقوع نزاعات قبلية نشطت الزراعة، وأصبحت الأراضي الصالحة للزراعة تزرع بشكل جيد، تذكر الإحصائيات التركية سنة1910م أن برقة وحدها لديها أكثر من 713 ألف رأس من الغنم، و546 ألف من الماعز، و600 آلاف جمل، تصدر كل عام إلى الأسواق في مصر، أما القمح والشعير المصدر فيما بين 1885-1900م بلغ ما مقداره 40ألف جنيه استرليني، وكان يصدر جزء كبير منه إلى بريطانيا. إيفانز برتشارد، السنوسيون في برقة، ترجمة: عمر الديراوي أبو حجلة، طرابلس، مكتبة الفرجاني، (د.ت)، ص ص68-70.

(3) محمد الطيب الأشهب، السنوسي الكبير، القاهرة، 1956م، ص30.، سعود دحدي، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية، 1842-1931م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009-2010م، ص25-26.

ولكل زاوية أملاك خارجية عن هذا الحرم، منها مثلاً مراعي متسعة لحيواناتها، ومزارع القمح والشعير، وآبار (صهاريج) لحفظ مياه الأمطار، وهذه الأملاك انتقلت للزاوية وتحت حوزتها وتصرفها بطرق مختلفة منها ما هو عن طريق الهبة من القبائل، التي وقع بناء الزاوية في أراضيها احتساباً لوجه الله الكريم، ووقفاً على السيد محمد السنوسي؛ ليتم مشاريعه العمرانية العظيمة والنافعة، فالزوايا عبارة عن مراكز حكومية قوية مهابة، لها قيمتها السياسية والإدارية والروحية بين جميع طبقات الشعب، وهي همزة الوصل بين الجميع، وقد جاءت بفوائد عظيمة يندر وجودها في جميع الأزمنة والأمكنة، هذه الرسالة التي جاء بها السيد السنوسي لتأديتها فأداها، وجاهد في سبيلها معززاً بقومه، فانتصر، وقد صدع بالأمر خلفاؤه، فكانوا خير ممثلين له[1] .

وكان من أبرز المدرسين في الزوايا السنوسية، وخاصةً زاوية الجغبوب - في عهد السيد السنوسي - عمران بن بركة الفيتوري، السيد أحمد الريفي، السيد أحمد التواتي، السيد فالح الظاهر، وقد تخرج مئات العلماء الأعلام، وعشرات الآلاف ممن حفظوا القرآن، ومن أبرز معلمي القرآن السيد محمد المدني التلمساني، والسيد العربي الفأسي، ومحمد زويلة الفزاني، إلى جانب العلوم الأخرى، مثل: الفقه والحديث والتفسير والمنطق والتاريخ والنحو والصرف والعروض[2] ، والتوحيد وعلم الفلك، وآداب المناظرة، وآداب البحث، إلى جانب العلوم الصناعية، مثل: التطريز والنقش والتجارة والبناء والزراعة والحدادة والخياطة[3] وتجليد الكتب[4] .

وكان يوجد بها غرفة للصلاة بها محراب لأحد المرابطين أحياناً[5] ، ومكان يتلقى فيه الناس - على مختلف أعمارهم - المعارف والعلوم الدينية، فهي من أماكن التعليم الديني عرفها المسلمون منذ أمدٍ بعيد[6] ، الأصل فيها أنها دور تعليم وتصوف وعبادة وعمل، وأماكن نسخ القرآن الكريم، ومختلف

---

(1) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص200.

(2) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص48.

(3) لوثرب استودارد، حاضرة العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، تعليق: شكيب أرسلان، طرابلس، مكتبة الفكر، 1971م، ج2، ص163.، محمد الطيب الأشهب، برقة العربية بين الأمس واليوم، ص200.

(4) ديكاندول، إيريك آرما فولي، الملك إدريس عاهل ليبيا - حياته وعصره، ترجمة: محمد عبده بن غلبون، 1989م، ص5.

(5) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص101.

(6) مسعود عبد الله مسعود، مرجع سابق، ص121.، شويطر نجاة، مرجع سابق، ص22.

المخطوطات العربية[1] ، ودروس الفقه[2]، والسيرة واللغة[3] ، أي مثابة مراكز ثقافية، إلا أن مواقع الزوايا السنوسية ذات قيمة تجارية وإدارية وحربية، فكانت عند ملتقى طرق وفي أماكن يسهل الدفاع عنها[4] ، فهي تقع في الغالب على طرق التجارة التي تربط وسط أفريقيا بشمالها، وتربط غرب القارة بشرقها، وتنقل بواسطة هذه الطرق السلع في قوافل دائمة الحركة، وانضمت إلى الكتاب والجامع لتصبح جميعاً مؤسسات دينية ثقافية في الولاية، حيث ازدهرت هذه المؤسسات بفضل الأوقاف التي كانت يوقفها أمراء الأتراك والمسلمين في الولاية[5] .

كان شمال أفريقيا يضطرب بألوان من الحركات الدينية، وكانت الزوايا الدينية التي يقوم عليها أصحاب الطرق الصوفية هي أهم مراكز هذه الحركات الدينية، إذ كانت بمثابة مراكز الدعوة إلى الإسلام والتمسك بمبادئه[6] ، وتعتبر الطرق الصوفية التي تنتهجها الزوايا من الأعمال الكبرى في تاريخ المغرب العربي، حيث حافظت على حفظ القرآن الكريم لقرون[7] ، فهي مراكز للتأثير الروحي، حيث يوجد فيها الشيخ يحيط به المريدين الذين يخضعون لخطته ـ ويأتمرون بأوامره، واستقطبت المريدين من كل مكان ينشدون الحقيقة، وسار هؤلاء الرجال على نفس المنوال فبنوا الزوايا[8] .

وتعد الزوايا في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني مركزاً للإشعاع الديني والثقافي، تخرج منها عدداً كبيراً من طلاب العلم الذين اقتصرت دراستهم عليها[9] ، وكان تعليمها يعتبر أعلى مستوى في الدرجة من تعليم الكتاتيب، وخريجوها يقومون بأعمال التبشير والدعوة الإسلامية في قلب أفريقيا ـ بجانب تعليم اللغة العربية ـ بين كثير من الإفريقيين[10] ، وبأعمال الدعوة الإسلامية في الصحاري والجبال، وذلك عن طريق التعليم بالكتاتيب، ويباشرون الوعظ والإرشاد في المساجد وبين رجال القبائل[11] .

---

(1) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص96.
(2) شويطر نجاة، مرجع سابق، ص22.
(3) محمد الكوني، مرجع سابق، ص49.
(4) الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص106.
(5) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص94.
(6) المرجع نفسه، ص94.
(7) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص16.
(8) عبد الحكيم صالح غيث، مرجع سابق، ص79.
(9) أحمد الأنصاري، نفحات النسرين والريحان، ص180.، محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص49.
(10) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص96.
(11) محمد الكوني، مرجع سابق، ص35.

ووجدت العديد منها في ولاية طرابلس الغرب، مثل: الزاوية القادرية تقع بزنقة الفنيدقة، زاوية الشيخ يعقوب تقع بطريق سيدي يعقوب باب البحر، الزاوية الكبيرة تقع بشارع الزاوية الكبير[1] ، وبضواحي مدينة طرابلس وجدت العديد من الزوايا الصوفية، منها: زاوية أحمد الزروق بمدينة مصراته تدرس العلوم الشرعية، إضافة إلى تحفيظ القرآن، وزاوية أحمد الباز[2] ، وزاوية الشيخ عبدالسلام الأسمر في مدينة زليتن، وزاوية إبراهيم المحجوب بمدينة مصراته وزاوية عبد الله الدوكالي في مسلاته، وزاوية الشيخ عبد الله الأصفر في الجبل الغربي، وزاوية النعاس في تاجوراء[3] .

كما وجدت العديد من الزوايا في إقليم برقة، من أهمها: الزوايا البيضاء التي تم تأسيسها عام1842م على يد الشيخ محمد بن علي السنوسي، وزاوية الجغبوب[*] ، ولقد أرسل أهل البادية أبناءهم إلى هذه الزوايا، ولا سيما زاوية الجغبوب، ولقد نقلت هذه الزوايا أهل البادية نقلة كبيرة من حياة

---

(1) محمد الكوني، مرجع سابق، ص50-53.

(2) الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص ص158-167.، شويطر نجاة، مرجع سابق، ص ص24-25.

(3) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص97.

(*) الجغبوب: ... يقولون إن أصل اسم الجغبوب هو ما يطلق على المنخفضات التي تغطيها السبخات والنباتات، والتي تنمو في التربة الملحية، وجمعها الجغابيب، كما أن الاسم يرد في المصادر الأجنبية مضافاً إليه حرب الراء، فتكتب الجرابوب ... . عبد السلام محمد شلوف، معجم المواقع والوقائع الليبية، بنغازي-ليبيا، الفضيل للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص246.

وهي واحة صغيرة تقع إلى الجنوب من طبرق بحوالي 250كم، وتقع على حدود واحة سيوة الغربية، تحيط بها صحراء قاحلة، وجاء إنشاء زاوية بجغبوب بمثابة المعهد العالي الذي يلتحق به السنوسيون لإعدادهم إعداداً عالياً، وتخريج العلماء الأكفاء منهم، والكثيرين من الدعاة. المبروك محمود صالح-وأكرم عثمان عبد الرازق، جهود المعهد الديني بزاوية جغبوب في النهوض باللغة العربية 1855-1926م، بحث (منشور)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طبرق، طرابلس، منشورات المركز الليبي للأبحاث والدراسات، 2019م.

... وكانت واحة غير ذات بال، حتى اختارها السنوسي مقراً لرئاسة الزوايا، وقيادة الحركة، وبث الدعوة السنوسية، وهذا المكان ملتقى القوافل ومقر للمسافرين، وقد سميت زاوية الأستاذ نسبةً إلى الأستاذ محمد بن علي السنوسي ...، وتعتبر زاوية الجغبوب في زمن السيد المهدي مركز إشعاع علمي وثقافي، ومنبع دعوة إسلامية مهذبة وصحيحة، جددت من آثار الإسلام ما درس منها في حقب طويلة في برقة، كانت السادة فيها للجهل والفقر والفوضى. الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص ص103-105.

وكانت مكتبة الجغبوب مرفق مكتمل، ومنارة علمية ترقى إلى مستوى التعليم الجامعي. أحمد حسنين، في صحراء ليبيا، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 2009م، ص84.

قاسية إلى حياة متحضرة[1] ، وسوف يتم تناول دور الزوايا السنوسية في الفصل الرابع بشيء من التفصيل، وبمرور الزمن تطور مصطلح الزوايا إلى معاهد ومدارس دينية، حيث كان برنامج التعليم فيها شامل للعلوم الدينية من الفقه والتفسير والفلك والطب والجغرافيا واللغة العربية وآدابها[2] .

وتركت الزوايا الدينية أثراً ملموساً في الولاية، فكان لها دور كبير في تغذية الدارسين بالقيم الأخلاقية[3] ، لذلك تخوفت الحكومة الإيطالية بشكل واضح من وجود نظام المدارس التابعة للزوايا والمساجد؛ لأن هذه المدارس التي تشرف عليها الزوايا يديرها شيوخ ومعلمون يمثلون بيئة دينية وسياسية، وهذا التعصيب الديني سوف يكون له تأثير كبير في نفوس العناصر الجديدة، وهذا التعليم الديني يعتبر خطراً لا يستهان به، والمقصود من تلك المخاوف أن تعليم مبادئ الدين الإسلامي في قلوب الناشئة يمثل خطورة من حيث دعوة الإسلام إلى الجهاد ضد أعداء الدين (الإيطاليين)[4] .

ففتحت إيطاليا المدارس المجانية في الولاية؛ لنشر الثقافة الإيطالية، وافتتحت المستشفيات؛ لترغيب الناس والتأثير عليهم، وعملت الحكومة الإيطالية منذ عام1878م ـ في عهد (اوغستيني) ـ على إرسال الكثير من القساوسة والرهبان إلى الولاية[5] ، وفتح المدارس التي كانت تهدف لنشر الثقافة الأوروبية داخل الولاية، والدعاية من أجل خلق رأي عام يكون معجباً بالحضارة الأوروبية، وعدم الالتزام بالتراث القومي[6] ، وتم تناول المدارس الأوروبية في الفصل الثاني ـ من هذه الدراسة ـ بشيء من التفصيل، وكذلك الدور الذي قامت به من أجل نشر المسيحية والثقافة الأوروبية بين أبناء الولاية.

---

(1) شعبان عوض العبيدي، مرجع سابق، ص ص466-467.

(2) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص97.

(3) مسعود عبد الله مسعود، مرجع سابق، ص22.

(4) محمد امحمد الطوير، وثيقة تاريخية تكشف عن طبيعة التعليم في طرابلس، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد3، السنة الثالثة، 1988م، ص ص167-170.

(5) مصطفى الهاين، مرجع سابق، ص ص94-95.

(6) محمد امحمد الطوير، مرجع سابق، ص170.

كان الاستعمار الإيطالي يريد من المسلمين في الولاية أن ينحرفوا عن عقيدتهم، ويرضخوا لسياسته؛ ولكن أبناء الولاية كانوا على وعيٍ تام بأساليبه، ولقد أدرك الطليان سر الصمود الذي أبداه الليبيون ضدهم، وهو تمكن العقيدة من نفوسهم، وأن الدين هو السلاح الذي جوبهوا به، لهذا فقد استهدفت حربهم أول ما استهدفت شيوخ الزوايا؛ لأنهم قادة الجهاد، ولقد وجه الإيطاليون قذائفهم ومدافعهم نحو بيوت الله كما فعلوا في طرابلس، والكفرة، والجغبوب[1] التي كان مسجدها يتسع لـ600 مصلي[2] ، يقول شكيب أرسلان: "إن الإيطاليين شديدو الحرص على إبادة رجال الدين، ومحو معالم الإسلام في الولاية"[3] .

كان أكثر شيء تخشاه إيطاليا هو الكتاتيب، وإنشاء الزوايا القرآنية كرد فعل طبيعي على الوجود الاستعماري وسياسته التي تحاول مسح وقطع الجذور الإسلامية والعربية في هذا البلد[4] ؛ فقام الاستعمار الإيطالي بمحاولته لتنصير أبناء الشعب الليبي، وذلك باستخدام أعداد كبيرة من المبشرين، وإنفاق الأموال الكثيرة في سبيل التبشير بالدين المسيحي، ونشر المذهب الكاثوليكي؛ وذلك بإنشاء العديد من الكنائس في مختلف أنحاء الولاية[5] ، وقد تم تناول ذلك بشكل أوسع في الفصل الثاني.

كان الإيطاليون يظنون أن لغتهم ثروة فكرية، تتصل مباشرة بجذور اللاتينية، التي سادت قبل الإسلام في هذه البلاد، وأن مستقبل ومصير الثقافة الإيطالية كان يُنْظَر إليه من خلال جذور عميقة الغور في أحقاب التاريخ[6] ، يقول السياسيون الإيطاليون يجب أن نصل إلى الأسرة من خلال التلاميذ، ويجب أن نتخلل القبائل بالتعليم[7] .

---

(1) مصطفى الهاين، مرجع سابق، ص ص16-17.
(2) أحمد حسنين، مرجع سابق، ص84.
(3) لوثارب ستودارد، مرجع سابق، ج2، ص82.
(4) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص156.
(5) محمد السويسي، مرجع سابق، ص99.
(6) مصطفى المسلاتي، مرجع سابق، ص203.
(7) رأفت غنيم الشيخ، مرجع سابق، ص187.

وكرد طبيعي تعرضت إيطاليا - في محاولة طلينة الليبيين - للمزيد من الرفض من قبل المواطنين المسلمين في الولاية، فقد اكتسب المجتمع مناعة طبيعية من خلال ردة الفعل المضادة للمسخ الثقافي، فانتشرت الزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية وحلقات التدريس الإسلامي في المساجد، وبذلك استقرت في أذهان الناس وعقائدهم أن كل طالب يدرس في المدارس الإيطالية، ويتعلم فيها هو كافر وخارج عن دين الجماعة[1] .

[1] مصطفى المسلاتي، مرجع سابق، ص203.

المبحث الثالث

دور الرباطات

الرباط هو مصدر رابط ومرابطة إذا لازم ثغر العدو[1] ، والرباط في الشرع الثغر الجهادي[2] ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران(200)، وأصل حركة الربط أو الخلوات والزوايا هي الفتوحات الإسلامية الأولى، حيث كانت العسكرة على الحدود من أجل مدافعة العدو في البر أو البحر[3] .

أطلق الرباط في الشمال الأفريقي في بادئ الأمر على القلعة والثكنة العسكرية، ثم أصبح المكان الذي يقيم فيه شيوخ الطرق الصوفية ومُرِيديهم[4] ، والرباط بالنسبة لهم "جهاد النفس، والمقيم في الرباط مرابط يجاهد نفسه، واجتماع أهل الرباطات على الخير، وحسن المعاملة، ورعاية الأوقاف، واتقاء ما يفسد الأعمال، ويصحح الأحوال، كل ذلك يعود بالبركة على البلاد والعباد، ومن الشروط اللازمة توافرها في المرابطين حبس النفس عن المخالطات، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة، والاشتغال بحفظ الأوقاف، وبهذا المعنى فإن الرباط هو بيت للصوفيين ومنزلهم الذي يقيمون فيه، والرباط أيضاً مستشفى للمرضى يعالجهم المرابطون بالمجان، ودار للمسافرين للراحة"[5] .

ونظراً للموقع الجغرافي الذي تمتاز به ولاية طرابلس الغرب انتشرت الأربطة على طول الساحل؛ لتشكل حلقة للصحراء الكبرى، وتعددت الرباطات بين الولاية ومناطق الصحراء، فكانت القوافل التجارية التي تمر لا تنقل البضائع فحسب؛ بل تدخل إلى قلب الصحراء؛ لنشر الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية بلغتها العربية، ولقد وجدت المدن الصحراوية الثقافية التابعة للولاية مثل: غدامس وغات[6] .

---

(1) أحمد بن محمد، المصباح المنير، المطبعة الخيرية، ج1، ص109.، عبد الرحمن التيجاني، مرجع سابق، ص16.

(2) سمير عبد المنعم، عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية (الزوايا والرباطات) منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني، (د.ط)، 2008م، ص270.

(3) أبو سالم عبد الله بن محمد أبو بكر العياشي، ماء الموائد، الرحلة ـ ليبيا ـ طرابلس ـ برقة، سعد زغلول، محمد عبدالهادي شعيرة، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د.ت)، ص48.، عبد الرحمن التيجاني، مرجع سابق، ص16.

(4) عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي حتى العهد العثماني، بنغازي، منشورات الجامعة الليبية، 1976م، ص277.، عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص8.

(5) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ص90-91.

(6) المرجع نفسه، ص22.

أكثر الرباطات كانت بالشام وشمال أفريقيا[1] ، وانتشرت في كل المغرب العربي، فكانت متصلة بين قابس وولاية طرابلس وبلغ عددها حوالي خمسة وعشرين رباطاً، ومن طرابلس إلى سلوق بلغ عددها حولي ثمانية وثلاثين رباطاً[2] ، وكانت سلوق مفترق للطرق ونقطة التقاء مواصلات، والسواحل البرقاوية كانت ذات قصور عديدة ...، والقصور الواقعة بين طرابلس وسرت هي سبعة قصور، من بينها: قصر وادي الرمل، قصر تاورغا، قصور حسان، قصر المنصف يقع في منتصف الطريق بين سرت وطرابلس، وقصر ورداسة أو ورداسا، وكذلك القصور الواقعة بين طرابلس ولبدة، مثل: قصر الكَتَّاب، وقصر بن غسان، وهناك قصور بين سرت (صرت) وسلوق، وقصر بئر الغنم، وقصر العطش[3] ، وكأنها حصوناً متصلة، فإذا ظهر في البحر عدو نور كل حصن للحصن الذي يليه، هذا فيما يخص الليل، أما في النهار فكان يستخدم الدخان بدلاً من التنوير[4] ، ... عقد طويل من الأربطة على طول ساحل الولاية من تونس إلى الإسكندرية ـ لا يبعد الواحد عن الآخر إلا ستة كم، يستخدم الحمام كخطوط للبريد الجوي ونقل الأخبار المستعجلة وتبليغها من أقصى رباط بالمغرب الأقصى إلى الإسكندرية[5] ـ بمثابة مدرسة يتلقى فيها الرجال والنساء صنوف التعليم الديني، ففي الوقت الذي قامت فيه المساجد والمدارس بدورها التعليمي في المدن والقرى، كانت هناك منارات أخرى (الرباطات) تقوم بنفس الدور في الثغور البحرية والبرية[6] .

---

(1) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص16.

(2) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص77.، سمير عبد المنعم، مرجع سابق، ص273.

(3) أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، دار الثقافة الدينية، (د.ت)، ج1، ص ص90-101.، محمد عبد الهادي شعيرة، الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية (ليبيا في التاريخ)، المؤتمر التاريخي، الجامعة الليبية، كلية الآداب، 1968م، ص244.

(4) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص ص75-78.

(5) محمد الكوني، مرجع سابق، ص28.

(6) الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص33.، عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص76.

والرباط عبارة عن ثكنة تتكون من: صحف، وعشرات الغرف الانفرادية، تنتهي بجامع كبير وصومعة مستديرة[1] للأذان[2] ، ويقترن بناء الحصن عادةً ببناء برج أشبه ما يكون بصوامع أهل المغرب المربعة، ويستخدم هذا البرج لإيقاد النيران في أعلاه، وللمراقبة والاستطلاع، بحيث لا يستطيع العدو التسلل إلى السواحل الإسلامية دون أن يلحظه رقيب[3] ، وعادةً يكون من طابقين محصن في وسطه صحن، وعلى هذا الصحن تشرف حجرات الدور الثاني، ويحوي الرباط (القصر)[*] عادةً مسجداً، ولابد بذلك أن يكون بعض جدران الحصن الأربعة على جهة القبلة، وأن يتخذوا من رسم بعض الأضلاع في اتجاه القبلة دليلاً على أن الحصن إسلامي[4] ، وكان به دار لنسخ الكتب والمصاحف ومجاميع الحديث وكتب الفقه[5] ، يقوم المرابطون النساخون بتوزيعها على طلاب العلم[6]، وتوجد به مكتبة جدارية مفرغة في طاقات من الحائط، بها النسخ الأمهات المولودة بها، حيث يضع المؤلفون بخطوط أيديهم في الأربطة النسخ (النسخة الأم) التي يرجع إلى نصها الصحيح[7] ، بالإضافة إلى كونه مكاناً للعبادة، ونوع من الجهاد[8] ، به ساحة فسيحة معدة للخيول - خيول المجاهدين – استعداداً لرد على العدو ومبادرته بالقتال[9] ، تنفيذاً لقوله ﷻ: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ الأنفال(60).

---

(1) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص90.

(2) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص76.

(3) محمد عبد الهادي شعيرة، مرجع سابق، ص237.

(*) يطلق الإدريسي اسم القصر على الرباطات، ويعتبر الأبنية الساحلية قصوراً، أما الأبنية الداخلية فإنها تسمى بالحصون، والقصر عبارة عن حصن متوسط المساحة، وقد يكون حصناً كبيراً، وقد يبنى إلى جانبه حصناً آخر، وتنشأ مدينة صغيرة، وقد تترك المدينة بلا أسوار، وقد تكون لها تحصيناتها الخاصة. أبو عبد الله محمد الإدريسي، مصدر سابق، ص98-101.

(4) أبو عبد الله محمد الإدريسي، مصدر سابق، ص101.

(5) الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص33.، عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص76.

(6) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص90.

(7) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص76.

(8) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص16.

(9) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص76.

أسست ولاية طرابلس الغرب الأربطة البحرية على طول الساحل حمايةً للثغور من هجمات العدو، وأسست الأربطة الصحراوية حمايةً للثغور البرية، وأصبحت أربطة الصحراء طريق العلم والحج، ووسيلة إدخال أهل السودان(*) الأفارقة في الإسلام[1] ، فالحركات العلمية التي ارتبطت بالرباطات الصحراوية في شمال أفريقيا بدأت بطرابلس الغرب، ثم اتجهت غرباً حتى اخترقت الصحراء إلى غانا، ثم اتجهت شرقاً إلى أن ربطت بين غانا ومكة المكرمة[2] ، هذا هو الدور الكبير الذي قامت به الرباطات من الناحية الدينية[3] .

وبمرور الزمن أصبحت الرباطات تطلق على البيوت التي يأوي إليها المتقشفون والصوفية اعتكافاً على العبادة[4] ، ومكاناً لبعض العلماء الذين كانوا يفرون بعلمهم من أخطاء وتسلط بعض الحكام، ويقوم هؤلاء العلماء نشر تعاليمهم لكل مَنْ يمر بهذه الأربطة، وخاصةً في طريقه إلى الحج[5]، كما كان المرابطون الذين يحرسون الثغور يقومون بدراسة القرآن والحديث أيام السلم والهدنة[6] .

(*) أهل السودان: السودان الكبير: يُعرف وسط إفريقيا السودان الكبير، أي السودان الغربي والأوسط والشرقي، وهو المنطقة الفسيحة الممتدة من المحيط الأطلنطي في الغرب حتى السودان ووادي النيل في الشرق، وبين المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية في الشمال إلى نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب. عايدة العزب موسى، تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، الموسوعة الإفريقية، تاريخ إفريقيا، المجلد الثاني، ط1، 2007م، ص105.

وأقاليم السودان من الشرق إلى الغرب عشر ممالك: مملكة سنار، كردفان، دارفور، واداي، الباجرمي، برنو، تمبكتو، ومالي. عايدة العزب موسى، مرجع سابق، ص105.

والسودان الأوسط: يشمل كانم وبرنو وسلطنة الهوسا، ومنطقة شمال نيجيريا. وتتكون سلطنة كانم وبرنو من حوض بحيرة تشاد، وهي تمتد من نهر النيجر غرباً إلى دارفور شرقاً، وكانت مركز التقاء طرق القوافل التجارية المارة إلى جميع أنحاء القارة. عايد العزب موسى، مرجع سابق، ص ص107-108.، محمد مرسي الحريري، جغرافية القارة الإفريقية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994م، ص43.

(1) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص93.

(2) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص78.

(3) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص93.

(4) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص16.

(5) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص78.

(6) عبد الرحمن أحمد التيجاني، مرجع سابق، ص16.

وبذلك أصبحت الأربطة قلعة دينية وتعليمية هامة، ضمت العديد من الشيوخ والعلماء والزهاد ورجال الصوفية والتلاميذ المُريدين، الذين أصبح لهم شأن كبير فيما بعد، وأدوا أدواراً مهمة، سواء كانت علمية أو جهادية، وكذلك أصبحت الأربطة ـ ولا سيما الصحراوية منها ـ المراكز المهمة التي ساعدت في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في القارة الإفريقية بين الوثنيين والنصارى[1] ، فهي مكان من نذروا أرواحهم للجهاد في سبيل الله، فالرباط جهاد النفس، والمقيم في الرباط مرابط ومجاهد بنفسه[2] .

من هنا ظهر الدور الكبير للعامل الديني في الوقوف ضد المحاولات التنصيرية التي قامت بها المدارس الأجنبية في ولاية طرابلس الغرب، وظهر تأثيره واضحاً في تربية النشء تربية إسلامية خالصة من خلال المؤسسات الإسلامية من كتاتيب وزوايا ومساجد ورباطات، وبرزت شخصيات جهادية أمثال: أحمد الشريف الذي تربى تربية إسلامية في بيت علم ودين على يدي أساتذة أجلاء أمثال: الشيخ محمد المدني التلمساني، والشيخ عبد القادر الريفي، ويأتي أحمد الشريف في مقدمة قادة الجهاد، وأولهم سبقاً في ميادينه، فرغم تكالب الأعداء عليه، وتعدد الجبهات ضده، إلا أن صموده وشدة وقوة عزيمته وتأثير الدين في تكوينه الفكري كان له أكبر الأثر في تمسكه بأوامره وتطبيقها قولاً وعملاً، كما كان السبب في رفع معنويات المجاهدين، واستمرار الجهاد، ويعرف بأنه أول من دعا للجهاد ضد فرنسا، وكذلك بعد غزو إيطاليا لولاية طرابلس، ولقد تربى في مدرسة أحمد الشريف الجهادية ـ المستلهمة والمستنيرة إلى العقيدة الراسخة ـ الكثير من قادة الجهاد، كان أبرزهم: الشيخ عمر المختار[3] ، من أبرز حماة العقيدة، ويمثل مدرسة الجهاد، نشاء وتعلم في الزوايا السنوسية التي كانت تعد الأفراد إعداداً علمياً ومهنياً، وتركز على النواحي الدينية، وكان ذلك بزاوية الجغبوب التي كان تأثيرها بعيد المدى في إعداد وصقل الكثير من المجاهدين، ويذكر جورج ريموند "أن علماء الدين كانوا يتولون مهمة إذكاء روح الجهاد في نفوس الناس في البادية، وفي الأواسط الواسعة الثقافة بالمدن"[4] .

---

(1) عبد الحكيم غيث، مرجع سابق، ص79.
(2) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص99.
(3) مصطفى الهاين، مرجع سابق، ص ص24-25.
(4) جورج ريموند، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، (د.ط)، (د.ت)، ص45.

المبحث الرابع

ردود فعل المدارس العثمانية

من محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب

إذا كان ضعف الدولة العثمانية سبباً في طمع الغرب في بلاد المسلمين في أفريقيا وآسيا، إلا أن العثمانيين كانوا الدرع الحامي للإسلام[1] في تلك الفترة.

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر العثمانية 1830م، وتطلعها لتونس، برزت أهمية ولاية طرابلس الغرب للعثمانيين، كولاية حدودية يجب ربطها بالأستانة؛ لتقف سداً ضد التعديات الأوروبية على أملاك الدولة العثمانية، واتخذت الدولة تحوطات كان من بينها العمل على نشر التعليم الحديث في ولايتها، فقام الوالي أحمد أمين باشا (1842-1847م) بدعوة أهل طرابلس الغرب للإقبال على تعليم أبنائهم، وكان الهدف من ذلك ربط المواطنين سياسياً وثقافياً بالدولة العثمانية، فربط التعليم الديني المواطن بالدولة العثمانية روحياً، حيث عملت الدولة العثمانية في فترة حكمها في طرابلس الغرب على تشجيع التعليم الحديث، الذي كان ينال فيه الطالب قدراً من التعليم الديني بالإضافة إلى اللغة التركية[*][2] .

والمعروف أن التعليم الحديث لم يعرف طريقه إلى ولاية طرابلس الغرب ولا إلى كثير من الولايات العثمانية إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، فقد وجدت مدارس ابتدائية، ومدارس إعدادية، ورشدية، كان إنشاء هذه المدارس بجهود شعبية خيرية من تبرعات الأهالي الراغبين في تعليم

---

[1] أحمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص64.

[*] بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م، وتطلعها لتونس ركزت الدولة العثمانية على ولاية طرابلس والغرب، وقامت بربطها بالأستانة؛ لتقف سداً ضد التعديات الأوروبية، فقامت بنشر التعليم الحديث الذي يهدف إلى ربط أبناء الولاية بتعلم اللغة التركية، فهي شرط أساسي لتولية الوظائف، خاصةً العليا منها، وركزت على تعلم العلوم الاجتماعية، خاصةً التاريخ والجغرافيا، التي تمجد قوة الدولة وماضيها، وتربط المواطنين بالولاء لها. محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص ص63-64.

[2] محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص ص63-69.

أبنائهم، وكانت المدارس الابتدائية تتكون من ثلاثة صفوف، مدة الدراسة بها ثلاث سنوات، يدرس فيها التلاميذ اللغة العربية والتركية، والدين الإسلامي، والتاريخ التركي، الجغرافيا والرياضيات، وقد اقتصرت هذه المدارس في البداية على مدن طرابلس وبنغازي[1] .

يظهر ذلك واضحاً من خلال الفرمانات السلطانية الصادرة إلى الوالي محمد راغب باشا (1847-1849م) عام1849م يأمر فيها: بتعليم البنات القرآن الكريم، وتعلم القراءة والكتابة والمسائل الدينية التي تعين على قضاء الواجبات الحياتية[2] .

في عهد الوالي أحمد عزت باشا (1857-1880م) افتتحت المدرسة الرشدية عام1868م[3]، واحدة في طرابلس، وأخرى في بنغازي، وكان يلتحق الطلاب بها بعد إتمام المرحلة الابتدائية، وكانت عسكرية في بدايتها، وتابعة للقيادة العسكرية في مركز الولاية، كان معلموها من ضباط حامية الولاية، وطلبتها يقيمون بالقسم الداخلي، ويمنحون الكتب والإقامة مجاناً، ثم أنشئ قسم الطلبة الخارجين، والدراسة بها مقسمة إلى أربعة سنوات دراسية، والمواد الدراسية التي تدرس بها هي: (نحو عربي، قواعد فارسية، إملاء عثمانية، نحو عثماني، حساب، جغرافيا، عقائد دينية، وأدب)[4] .

وتعد المرحلة الإعدادية امتداداً لمرحلة التعليم الرشدي، ففي عام1867م أنشئت مدرسة إعدادية بمدينة طرابلس، أتاحت للطلبة الخريجين من المدارس الرشدية الذين يرغبون في الاستزادة من التعليم تلك الفرصة، وتشمل مواد المناهج الدراسية في هذه المرحلة (لغة عربية، لغة تركية، قرآن كريم، حساب، جغرافيا)، وكانت مدارس مدنية، ثم افتتحت في طرابلس عام1887م المدارس الإعدادية العسكرية[5] .

---

(1) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ص132-133 وما بعدها.

(2) تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب، 1988م، ص343.، الكوني، مرجع سابق، ص82.

(3) محمد السويسي، مرجع سابق، ص91.

(4) محمد الكوني، مرجع سابق، ص72.

(5) المرجع نفسه، ص ص76-79.

وفي عام 1871م قدَّم سكان طرابلس إلى مجلس الولاية طلب لتأسيس إصلاحية لتعليم الأطفال اليتامى والفقراء وتدريبهم على مختلف الصناعات أسوة بالولايات العثمانية الأخرى، فقد كان في المدينة عدد من الأطفال في حالة من الإهمال والتشرد، ولكي لا يحرم هؤلاء الأطفال من اكتساب العلم والمعرفة، أصبح من الواجب تأسيس إصلاحية تضمهم[1] ، بدأت هذه المدرسة في استقبال طلابها في عام1874م في عهد الوالي رضا باشا (1872-1874م)، وكان التعليم فيها لأبناء الفقراء والمعوزين، وكانت مناهج الدراسة تتكون من شعبتين: نظري وعلمي، وكان الطالب يدرس القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة العربية والعثمانية، بالإضافة إلى أعمال الصناعة[2] .

وتأسست مدرسة أبناء العشائر عام1892م، كانت تهدف إلى استيعاب أبناء رؤساء القبائل والعشائر بكل أنحاء الولايات العثمانية، وكانت هذه المدرسة عسكرية داخلية، ومدة الدراسة بها خمس سنوات، يدرس الطلاب بها جميع المواد، منها: (العلوم الدينية، قراءة تركية، تعليم عسكري، نحو وصرف وإملاء، حساب، جغرافيا، لغة فرنسية، رسم، محادثة تركية، هندسة)[3] .

في عام1895م ظهرت فكرة تأسيس مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية بمدينة طرابلس كمشروع خيري، وتبنى المشروع وأبرزه إلى حيز الوجود الوالي نامق باشا، وتم افتتاحها في عام1899م في عهد الوالي محمد حافظ باشا[4] ، وعين الوالي ضابط تركي برتبة "يوزباش"، كما عرفت المدرسة باسم المدرسة الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، وكانت إيرادات ومصاريف هذه المدرسة تأتي من الأوقاف التي أوقفها أهل الخير من الليبيين[5] ، ومن أموال التبرعات الشعبية، وكان من أهدافها رعاية اليتامى، والاهتمام بالنشء، وتدريبهم على اكتساب الخبرة والمهارة في مختلف الصناعات والحرف

---

(1) تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص343.، محمد الكوني، مرجع سابق، ص82.

(2) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص ص83-88.

(3) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ص162-163.، محمد الكوني، مرجع سابق، ص93 ما بعدها.

(4) محمد الكوني، مرجع سابق، ص91.

(5) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص152.

والفنون[1] ، والتجارة وأعمال المعادن والطباعة، وكانت هذه المدرسة هي المعهد التعليمي الوحيد الذي يعلم بنين وبنات على هذه الحرف، وفي عام1903م أضيف لهذه المدرسة قسم للبنات لتدريبهن على مختلف المهن النسائية، وأدت مدرسة الفنون والصنائع دوراً تعليماً تربوياً عظيماً[2] .

أصبحت ولاية طرابلس الغرب أهم محاور سياسة السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1908م)، لا سيما عقب الاحتلال الفرنسي لتونس في مايو 1881م، وما أعقبها من زحف الجيش الفرنسي نحو الجنوب التونسي، وانصب حرص السلطان على أن يُقنِّع البعد السياسي بالجوانب الدينية الروحية للسكان المحليين من المسلمين في الولاية وفي محيطها الصحراوي والإفريقي، والعمل على ذلك بمعدلات حثيثة ومستمرة؛ لتقوية الروابط الروحية مع السكان؛ لأجل مقاومة الأطماع الاستعمارية[3] .

تولى أمر الولاية عام1894م الوالي أحمد راسم باشا، وشهدت البلاد نوعاً من الاستقرار مهد السبيل أمام خلفائه، بدأ من نامق باشا، ومروراً بحافظ محمد، والمشير إبراهيم باشا، وأدهم أحمد نسيم بك، ليتوجهوا إلى إقامة إصلاحات عامة في البلاد، وعلى رأس هذه الإصلاحات فتح المدارس والمعاهد المتخصصة في طول البلاد وعرضها، وقد استقطبت هذه المدارس الطلاب لما تقدمه من دراسة عصرية، ولكن هذا لا يعني أن المدارس الدينية التقليدية قد أخذت في التلاشي، بل إن الكتاتيب والزوايا والمساجد استمرت في أداء وظيفتها المنوطة بها، فأنشئت المدارس؛ لتنافس المدارس الأجنبية التي أخذت في الانتشار في الولاية، والتي كانت تؤسسها الحكومات والبعثات الأجنبية التي نشأت في العهد العثماني الثاني، وتمثلت في مدارس الجاليات الإيطالية والفرنسية ومدارس الإرساليات التبشيرية، والتي كان بعضها يدار من قبل الفاتيكان رأساً[4] .

---

(1) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص91.

(2) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ص133، 154.

(3) فاتح رجب قدارة، ليبيا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1908م بين محاولات التحديث ومقاومة الأطماع الاستعمارية (دراسة وثائقية)، المجلة الجامعية، العدد21، مج5، 2019م، ص35.

(4) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص90-92.

ووجدت المدارس الزراعية في طرابلس، بضاحية سيدي المصري، وهي تدرس المواد الزراعية، وكان معلموها يأتون من تركيا، تعينهم نظارة المعارف العمومية باستانبول، بالإضافة إلى دار المعلمين بكل من طرابلس وبنغازي، والتي تأسست عام1901م، وكان منهج الدراسة بدار المعلمين يشتمل على: (العقائد الدينية، الرياضيات، اللغة العربية، اللغة التركية، الجغرافيا، التاريخ)، وكان المعلم بدار المعلمين تركي الأصل[1] ، وكان التعليم فيه باللغة التركية، وينسب إليه من كان حافظاً القرآن الكريم وملماً بالمسائل اللغوية والدينية[2] .

وفي عام1904م افتتحت في طرابلس مدرسة إعدادية للبنات، استمرت حتى عام1910م، اقتصرت على ثلاث سنوات، ويشمل منهج الدراسة (القرآن الكريم، العلوم الدينية، الهندسة، حساب، التاريخ والجغرافيا، اللغة العربية، اللغة الفرنسية، اللغة الفارسية، القواعد التركية، القراءة التركية) بجانب الرسم، والنقش، والتطريز، والخياطة، والعزف على البيانو[3] .

لم يكن عدد هذه المدارس كثيراً في البداية، إذ اقتصر على مدن طرابلس وبنغازي، ولكن بعد أن تمّ انقلاب الدستور 1908م أخذت الحكومة العثمانية تقدم إصلاحات سريعة، ووضعت تنظيمات متأثرة بنظم التعليم المتبعة في فرنسا، ووضعت تنظيمات خاصة بمراحل التعليم المختلفة، وتنظيم قبول التلاميذ، وتحديد مواصفات المعلمين[4] .

ظهرت هذه المدارس كرد فعل واضح ضد محاولات التنصير الأوروبي داخل الولاية، وللرد على المدارس الأوروبية، وعلى البعثات الطبية الخيرية التي كانت تجوب الولاية، وتجمع الفقراء واليتامى لوضعهم في الملاجئ الخاصة بالمسيحية وتقوم بتنصيرهم، فحاولت إدارة الولاية تعميم هذا

---

(1) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ص157-158.

(2) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص91.

(3) محمد الكوني، مرجع سابق، ص ص76-79.

(4) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص132.

النوع من المدارس في جميع أنحاء البلاد، وشهدت تلك الفترة بالإضافة إلى المدارس الحكومية إنشاء مجموعة من المدارس العصرية الخاصة من قبل المواطنين المحليين، وأخرى من غرباء، مثل: مكتبة محمود شوكة(*) ، ومدرسة العرفان[1] التي أنشئت في طرابلس عام1901م، والتي سبق ذكرها، وهي مدرسة خاصة بمرحلة التعليم الإعدادي، وأكثر الطلبة الملتحقين بها كانوا من أبناء الموظفين وضباط الجيش، ضمن شعبيتين واحدة للذكور وأخرى للإناث[2] ، وبالتالي يتضح أن قيام مثل هذه المدارس ـ كمدرسة العرفان ـ محاولةً التفوق على المدارس الأجنبية، وجذب أبناء المسلمين، وإبعادهم عن النفوذ الأجنبي الذي كانت تمثله المدارس التنصيرية، خاصةً بعد أن وجد بعض المهتمين الذين كانوا يتجهون إلى التعليم التنصيري[3] .

مما سبق يتضح أن دور المؤسسات الإسلامية كان بارزاً ومهماً في الرد على محاولات التنصير الأوروبي داخل الولاية، فقد ركزت المؤسسات الإسلامية على تربية النشء منذ البداية على تعاليم الإسلام وحفظ القرآن الكريم واللغة العربية من خلال دروسهم في الكتاتيب والزوايا والمساجد والرباطات، وبتحفظ (المدارس العثمانية بما يشوب أهدافها من شك)، التي حافظت على اللغة العربية والتراث، والوقوف في وجه كل المحاولات الأوروبية لتنصير أبناء الولاية بجذبهم إلى المدارس، يقول الساسة الإيطاليون: يجب أن نصل إلى الأسرة من خلال التلاميذ، ويجب أن نتخلل القبائل بالتعليم.

وسوف نوضح في الفصل الرابع الموقف الرسمي للحكومة العثمانية، والموقف المحلي المتمثل في الحركة السنوسية على هذه المحاولات.

(*) محمود شوكة: ولد في بغداد عام1859م، وأتم تحصيله الابتدائي في بغداد، والتحق بالكلية الحربية في استانبول، تولى قيادة جيش الثورة، ودخل استانبول، وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، وفي سنة1917م عينة رئيساً للوزراء، ووزيراً للدفاع، قتل عام1913م. محمد الكوني، مرجع سابق، ص80.

(1) محمد بشير السويسي، مرجع سابق، ص92.

(2) فرانشيسكو كورو، مرجع سابق، ص100.، محمد الكوني، مرجع سابق، ص81.

(3) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص ص81-82.

الفصل الرابع

الموقف الرسمي والشعبي
من محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب

المبحث الأول: موقف السلطات العثمانية من محاولات التنصير في ولاية طرابلس الغرب.

المبحث الثاني: ردود فعل الحركة السنوسية من محاولات التنصير الأوروبي على ولاية طرابلس الغرب.

المبحث الثالث: النهوض بأمر الدعوة والجهاد.

المبحث الأول

موقف السلطات العثمانية من محاولات التنصير في ولاية طرابلس الغرب

غدت الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر ميداناً مهماً من ميادين نشاط الإرساليات التبشيرية في مختلف ممتلكاتها، حيث بدأ النشاط التنصيري الكاثوليكي الفرنسي والإيطالي في ولاية طرابلس الغرب[1] من خلال بعثة الإرساليات الكاثوليكية في كل من طرابلس وبنغازي تحت إشراف المرسوم الفرنشيسكاني الذي يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي والتي زاد نشاطها في عام1810م[2] .

موقف السلطات الحاكمة في إسطنبول:

احتلت فرنسا الجزائر عام1830م، وفد عليها خلال الفترة 1830-1891م عدد من الجمعيات الكاثوليكية، وقليل من البروتستانتية، ومنها جمعية الآباء البيض[*] ، التي أسسها المطران لافيجيري Lavigerie عام1867م، وعندما حلت المجاعة بالشعب الجزائري جاءت هذه الجمعية ليقدم أفرادها رغيف الخبز بيد، وصليب المسيح باليد الأخرى[3] .

---

(1) ناهد حسين علي الأسدي، الإرساليات التبشيرية الأمريكية في العراق وموقف الدولة العثمانية المحلية السياسية والدولية، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، (د.ت)، ص30.

(2) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 91.

(*) جمعية إرسالية تبشيرية كاثوليكية، أسسها في الجزائر عام 1868م المطران شال ألمان لافيجيري، غايتها نشر المسيحية في القارة الإفريقية، واستطاع مؤسسها بعد جهد متواصل أن يجمع عشرة من المتطوعين للتبشير، وأطلق عليهم لقب مرسلي الجزائر، ومن بعدها الآباء البيض، ورجّح أن التسمية (الآباء البيض) ناجمة عن الثوب الأبيض الذي اتخذوه زياً لهم، انسجاماً مع الزي التقليدي، الذي كان يرتديه سكان شمال إفريقيا. أسعد السكاف، الموسوعة الأديان الميسرة ، مصدر سابق، ص9.، علي محمد، مرجع سابق، ص20.

(3) علي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1891م دراسة تاريخية، (د.ط)، (د.ت)، ص ص15-19.

كان هذا بسبب انهيار الدولة العثمانية التي سميت حينذاك بالرجل المريض[*] ، وتفكك الأقطار الإسلامية التابعة لها، ووصول الحملات الاستعمارية التبشيرية، وتشجيعها لبناء مؤسساتها في تلك الأقطار، فأصبحت مسرحاً للنشاط التبشيري، ولم تستطع الدولة العثمانية السيطرة على هذه الحركات الهدامة، واكتفت بالتحذير، وإرسال البرقيات، ومتابعة الأجانب والمبشرين المسيحيين، سواء كانوا كاثوليك أو بروتستانت[1] ، المعتمدين على سياسة التعليم التبشيري الذي تديره الجمعيات التبشيرية التي كانت تستهدف التنصير في تلك المناطق[2] .

فالدولة العثمانية أدركت خطورة التعليم التنصيري الملي، وكان عليها أن تتدارك هذا الأمر وتتلافاه قبل استفحاله، ولا تترك ميداناً لمثل هذه المدارس التبشيرية التي تفشت في البلاد، وجذبت أبناءها رغم أنها لم تكن في موقف يسمح لها بالتصدي لهذا؛ بل كانت تقاوم مقاومة ضعيفة بمحاولة السيطرة عليها بمنع التصاريح بافتتاح مثل هذه المدارس ومراقبتها[3] .

وبدأت الحكومة العثمانية تتخذ سياسة متشددة مع هذه الإرساليات التبشيرية، إذ اصطدم نشاط هذه الإرساليات مع توجه الحكومة العثمانية الهادف إلى القيام بإصلاحات في الدولة العثمانية وولاياتها ولاسيما في مجال التعليم، إذ صدرت قوانين عثمانية عام 1869م لتحديث

(*) كثرة التمردات والثورات في البلقان (سكان الجبل الأسود والصرب) بتحريض بلاد الهرسك بالخروج على الدولة العثمانية، وتحريض النمسا ورغبتها في ضم البوسنة والهرسك، كذلك اتفاق كل من النمسا مع روسيا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا على طلب الإصلاحات من الدولة العثمانية، فسارعت روسيا تحت ذريعة الإخاء العرقي والمذهبي لمساندة شعوب البلقان، وحشدت سلاحها وقوتها لإنزال هزائم بالدولة العثمانية، حتى نجحت في اقتطاع بعض ولاياتها الأوروبية، حتى حققت الاستقلال (اليونان، رومانيا، صربيا، بلغاريا)، وبذلك وجد المسيحيون في الدول الغربية أفضل حليف لهم ضد الدولة العثمانية. علي محمد الصلابي، السلطان عبدالحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت)، ص21-26.، ميمونة حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص167.

(1) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص196.

(2) علي محمد الطاهر، مرجع سابق، ص3.

(3) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص ص122-123.

التعليم، ووضع أسس ونظم لتأسيس المدارس الخاصة بما في ذلك مدارس الطوائف والمدارس الأجنبية، وأكدت على تقديم ترخيص من أجل تأسيس هذه المدارس، فضلاً عن ضرورة حصول المعلمين في هذه المدارس على شهادات معترف بها رسمياً، وإخضاع كتبها ومناهجها لمراقبة الإدارة المحلية للمعارف وإشرافها، وهذه التشريعات العثمانية جاءت نتيجة تزايد شكوك الدولة العثمانية في نشاط المدارس التبشيرية[1]، وأرسلت الخلافة في الأستانة رسائل وبرقيات التنبيه والتحذير إلى ولاية طرابلس الغرب ورسائل بالشفرة كلها تؤكد وجوب متابعة الإرساليات الأوروبية في الولاية وتشير إلى خطر تغلغلها في الواحات الصحراوية[2] .

وأصدرت السلطات العثمانية في عام1875م فرماناً أكدت فيه على أن يكون ترخيص إنشاء المدارس صادراً من السلطات العثمانية وليس من إدارة المعارف المحلية، وكان الموقف المتشدد من المدارس التبشيرية (التنصيرية) الأجنبية قد ظهر جلياً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) الذي كان يرى أن هناك علاقة بين هذه البعثات وما يحدث من تحريض داخل المجتمعات ضد السلطات العثمانية وهذه البعثات وسيلة بيد الدول الأجنبية للتدخل في شؤون البلاد[3] .

وقامت السلطات العثمانية بحملة الهدف منها إبعاد التلاميذ العرب عن (المدارس الحكومية الإيطالية، ومدارس البعثة التي كانت تجذب الشباب الطرابلسي إلى المعاهد الخاصة بها، وتقوم بالتعليم بديلاً عن المدارس الإسلامية التقليدية)، كان الهدف من هذه الحملة عرقلة ما يسمى التغلغل السلمي الثقافي الذي قام بإنشاء الأقسام العربية في المدارس الإيطالية، فكشفت السلطات العثمانية عن جهودها ومساعيها لإعطاء همة وقوة جديدة للمدارس العثمانية المترهلة، كما سعت إلى زيادة عدد الطلاب العرب بهدف إبعادهم عن المدارس الإيطالية[4] .

---

(1) ناهد حسين الأسدي، مرجع سابق، ص27.

(2) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص ص185-186.

(3) Eleen Ryan, op. cit., p. 27- 28.

(4) Eleen Ryan, ibid, p. 22.

وجود الطلاب المسلمين مع الطلاب الطليان وبعض الليبيين في معاهد البعثة الإرسالية خلال القرن التاسع عشر الميلادي يفسر أن نظام التعليم كان يتكون من المدارس الإسلامية التقليدية، حيث إن التعليم العام في الولاية جرى بعد حوالي عشرين سنة من بداية الاصلاحات العثمانية الأولى في قطاع التعليم العام، فقد بدأت في حكومة السلطان محمود الثاني (1830-1839م) منطلقة بشكل بطيء؛ ولكنها أعطت نتائج ذات قيمة ابتداءً من الستينيات من القرن التاسع عشر.

أنشئت المدارس العامة الابتدائية الأولى في 1858م، وتُعهِدَ بإنشاء مدارس ذات مستويات عالية، إضافة إلى المدارس الإسلامية التقليدية، وملجأ للأطفال، ومدرسة ابتدائية في طرابلس وأخرى في بنغازي، وفي المناطق النائية من طرابلس[1] .

وأما بالنسبة لما يتعلق بكل من طرابلس وبرقة فيمكن التحدث عن نظام التعليم في نهاية في عام1878م، فحكومة الباب العالي فرضت نظام التعليم الإجباري لكل السكان في كلتا المقاطعتين، هذه الاصلاحات انطلقت في آخر فترة الهيمنة العثمانية على البلاد، وسجلت تطوراً لاحقاً في عام1908م بعد صعود الشباب التركي في اسطنبول.

والعمل المهم الذي قامت به السلطات العثمانية ـ بعد أن لاحظت تكاثر المدارس الإيطالية في الولاية، وزيادة التحاق أبناء الضباط الأتراك والمواطنين بها ـ أن أصدرت قراراً عام1885م يقضي: بفتح مدارس ابتدائية في كل من طرابلس، وبنغازي، والخمس، ودرنة، ومدارس ثانوية في كل من طرابلس، وبنغازي، تخرج فيها العديد من الشباب الذين التحقوا بخدمة الإدارة العثمانية فيما بعد، وهؤلاء الموظفون يطلق عليهم في بنغازي اسم الأفندية، ومن بينهم: يوسف اللواحي، صالح عموري، إبراهيم الشويهدي، وسالم بن عامر، محمد الساقزلي[2] .

إذن السلطات العثمانية كانت متيقظة لعمل الإرساليات، فكان موقفها واضحاً منها، من خلال اهتمامها بالتعليم وفتح المدارس للرد عليها. وطلبت السلطات العثمانية من ممثلي هذه الإرساليات التشديد على أعمال رجال الإرساليات التبشيرية ونشاطاتها[3] .

---

(1) Eleen Ryan, op. cit., pp. 20-22.

(2) وهبي البوري، مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين، ص15.

(3) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص80.

تعددت الرحلات الاستكشافية وتغلغلت داخل الولاية، مما جعل السلطات العثمانية تتوجس خيفة، وكانت برقيات الشفرة التي ترد من الباب العالي تحذر وتنبه الولاة داخل ولاية طرابلس الغرب، وبالمقابل كانت التقارير التي ترسل من ولاية طرابلس الغرب إلى الأستانة تحمل في طياتها الكثير من المعلومات عن الهدف من زرع المدارس التبشيرية ونشر المسيحية بشتى الوسائل المختلفة بما فيها الخدمات الطبية[1] ، بمعنى أنه كانت هناك أهداف مشتركة بين البعثات التبشيرية والرحالة الأوروبيين، وذلك بالتركيز على السكان والوضع المعيشي بما في ذلك تفشي الأوبئة ـ وقد سبق التطرق إلى الأوضاع الصحية التي تفشت في ولاية طرابلس الغرب في الفصل الثاني من هذه الدراسة ـ والمجاعات التي تعرضت لها كل من طرابلس وبرقة بشكل دوري[2] ، أو بصفة اكتشاف مجاهل الصحراء[3] ، فقد تعاقب عدد من الرحالة الأجانب على ولاية طرابلس الغرب، ففي عام1845م قام الرحالة هنريك بارث برحلاته من الجزائر وتونس وطرابلس ووصل إلى خليج سرت وبرقة[4] ، وفي نفس العام وصل الرحالة جيمس ريتشاردسن الرحالة الانجليزي إلى طرابلس، ومنها أراد الوصول إلى غدامس بمساعدة الوالي محمد أمين باشا (1842-1847)[5] .

وفي عام 1852م زار الرحالة جيمس هاملتون Mamlton James برقة، وكتب مذكرة في كتابه: "جولات في شمال أفريقيا"[6] .

كما زار الرحالة فريديك غيرهارد رولفس Gerahard Rolifs إقليم برقة بين عامي 1867-1868م، ودعا الشعب الألماني للهجرة إلى برقة تمهيداً لاستعمارها؛ ولكن الحكومة الألمانية رفضت حتى لا تخسر علاقتها مع الدولة العثمانية، وقدمت اقتراحاً بهجرة اليهود الألمان إلى برقة الذين رأت أنهم قادرون على تحقيق المصالح الألمانية[7] .

---

(1) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص191.

(2) محمد مصطفى بازامة، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، ص116.

(3) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص191.

(4) اتيلو موري، مرجع سابق، ص ص33-34.

(5) جيمس ريتشاردسن، مرجع سابق، ص41.

(6) جيمس هاملتون، مرجع سابق، ص69.

(7) فريدريك غيرهارد رولفس، عبر أفريقيا رحلة من البحر المتوسط إلى بحيرة تشاد وخليج غينا 1831-1896م، ترجمة وتعليق: عماد الدين غانم، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، 1969م، ج1، ص57.

ودخلت بعثة بريطانية بقيادة ضابطين إلى البيضاء ودرنة وسوسة وبنغازي، وعكس هذه البعثة اهتمام بريطانيا مبكراً بإقليم برقة قبل احتلال بريطانيا لمصر بفترة طويلة[1] ، قام بعض هؤلاء الرحالة بالتحايل أثناء عبورهم أراضي الولاية أو أثناء وجودهم فيها باستخدام أساليب التنكر بزي شيخ للدخول إلى الولاية، وصرف أنظار المسؤولين العثمانيين عن أنشطتهم الهدامة[2] .

وفي برقية من الباب العالي إلى الولاية جاء فيها: "بلغنا أن بعض الرهبان جاءوا من مصر في زي المشايخ، وأنهم تغلغلوا بين الأهالي والعربان يبثون الدعايات الضارة، يُطْلَب منكم أمر تبليغ الموظفين المسؤولين في المركز وفي الدواخل بأن لا يتركوا مجالاً لمثل هذه الأعمال المستغنى عن بيان محاذيرها"[3] .

فقد تظاهر بعض الرحالة بالإسلام، واتخذ بعضهم أسماء إسلامية، مثل: مصطفى وعبدالكريم، كما فعل الرحالة هنري دفيري الذي كان يعرف باسم (سي سعد)[4] ، وأهم مظاهر تفنن الرحالة في التمويه أنهم جاءوا بصفة تقديم مساعدات إنسانية طبية، أو رسم الخرائط وإرسالها إلى الجمعيات الجغرافية في أوروبا مما يقوي الظن بعلاقته بالدوائر السياسية التي تكالبت على غزو المنطقة، أو تحقيق كامل لحالة السكان، وزرع المدارس التبشيرية ونشر المسيحية تحت اسم السياحة، كما أن انتحال صفة التجارة كان مظهراً من المظاهر التي أشتهر بها الرحالة الإيطاليون، كما ركزت إيطاليا قبل الاحتلال على نشاط الرهبان الذين ينتحلون صفات شتّى للتستر على هدفهم ومهمتهم الأساسية، وهي التخطيط البعيد المدى، والبحث عن مراكز التبشير، وأن سلسلة الرحلات الاستكشافية الإيطالية التي تغلغلت في ولاية طرابلس قبل الاحتلال كان هدفها الأول هو بناء المؤسسات التبشيرية، وأن تبدو لأول وهلة أنها هيئات علمية، فقد بذلت إيطاليا جهوداً جبارة لنشر

---

(1) اتيلو موري، مرجع سابق، ص78.

(2) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص180.

(3) وثيقة رقم160: رسالة من البابا العالي إلى الولاية عام1911م. أحمد الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا الحديث، ص285.

(4) ايتلو موري، مرجع سابق، ص87.

المسيحية قبل الاحتلال بسنوات، وشجعت الرهبان المسيحيين الأقباط من مصر بأن يعبروا حدود الولاية والاستقرار في الواحات وإرساء دعائم التبشير فيها، غير أن السلطات العثمانية في طرابلس كانت تتابع باهتمام حركات الرحالة أثناء عبورهم الولاية إلى الصحراء، والبرقيات التي ترسلها الأستانة تؤكد ضرورة أخذ الحيطة من هؤلاء الرحالة ونشاطهم داخل الولاية، وفي مقابل ذلك ترسل حكومة الولاية بطرابلس برقيات سرية ومستعجلة إلى دار الخلافة تتتبع سير هؤلاء الرحالة في كل من طرابلس، وغدامس، والخمس، وفزان وبرقة[1] .

شعرت الدولة العثمانية بأهمية المذكرات التي نشرها الرحالة عن طرابلس، وإقليم برقة، وانتابها قلق شديد إزاء أنشطة الرحالة، وأبدت عداءها وشكها تجاههم، ولم تسمح مع مطلع التسعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي إلا نادراً وتحت ضغوط قوية بذرائع الرحالة للبحث العلمي، ولعدد محدود بالتوغل في الولاية ودواخلها، فقد أرسلت الدول الأوروبية ـ وعلى رأسها إيطالية عام1896م ـ العملاء المخبرين ممن لا تعارض الدولة تجوالهم في البلاد، حيث كلفوا بجمع المعلومات ودراسة بعض الجوانب المعيشية، كما أرسل المقيم العام الفرنسي في تونس الرحالة محمد بن عثمان الحشائشي إلى إقليم برقة عن طريق مالطا، وتوغل في الداخل حتى واحة الجغبوب؛ لإعداد تقرير عن أحوال البلاد عامة، وسجل مشاهداته في كتاب "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب" ـ نشر في عام 1903م ـ تحدث فيه عن سوء الإدارة العثمانية، وقدم معلومات حول الكفرة، والحركة السنوسية على درجة كبيرة من الأهمية[2] .

وترى الباحثة أن السلطات العثمانية اتخذت موقفاً مهماً من نشاط هؤلاء الرحالة المستكشفين، والبعثات العلمية، والمدارس الأوروبية في الولاية، وكان ذلك في شكل فرمانات مستمرة تهدف للحد من هذا النشاط.

---

[1] مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص ص191-194.

[2] امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص174.

ففي عام 1898م "... جرى التبليغ ببرقيتكم السامية باسم المنطوق السامي لحضرة الخليفة... لما بلغ بأنه هيأة مؤلفه من الإنكليز والإيطاليين جاءوا إلى طرابلس، وفتحوا مدارس، وسجلوا فيها ثلاثة أو أربعة أشخاص، وأنهم يشوقون غيرهم من الناس للالتحاق بها، كما أسسوا صيدلية تعطي الأدوية مجاناً، ويظهر أنهم يقصدون بذلك فتح السبيل لجلب القلوب، والسعي لبلوغ مآربهم الخبيثة، وأفاد الأمر السامي بأن لا تبعدي الحكومة المحلية بأي وجه من الوجوه أي تسامح تجاه هذا، وأن تكون دائماً متيقظة[1] .

جاء جواب الولاية بأنه: تبذل بعناية ودقة بالغين لإحباط نوايا الأجانب بكل الصور، ولما كانت أوامر واردات الحضرة الملكية الانتباه خصوصاً من تصرفات الإيطاليين والإنكليز ... بذل أقصى الاهتمام لمنع إثمار مجهوداتهم وآمالهم تجاه الولاية ... وأنه لم يحدث قدوم أية جماعة من هؤلاء، ولم يفتحوا من جديد أي مدرسة غير التي فتحت من قبل معلمي المدارس الفرنسية ممن يدعون بالإخوان المريميين، الذين جاءوا هنا قبل اثنتي عشرة سنة، كما يوجد مدرسة للأطفال من أعمار الأربع والخمس سنوات، اثنتان تدرسان الذكور الفنون المتنوعة والتجارة، ومدرسة أخرى خاصة بالبنات فتحت قبل اثنتي عشرة سنة من قبل الراهبات الإيطاليات، والراهبات الباقيات هنا منذ زمن يوسف باشا، اللاتي اتخذن من المنزل الذي أعطاهن إياه عثمان باشا قبل أربعين سنة من الأملاك الأميرية دون مقابل، واتخذن مستشفى يداوين فيه المرضى من ذوي اليسار، لقاء أجر يومي ويعطين الأدوية لمرضى الفقراء مجاناً ويسجلن أسماءهم، كما أن المبشرين البروتستانت الموجودين هنا منذ ثمانية أو عشرة أعوام يعطون الأدوية مجاناً للمراجعين، ويقرؤون عليهم بعض المواعظ من الإنجيل، سعياً لنشر البروتستانتية، والراهبات من هؤلاء يطرحن البيوت قياماً بمثل هذه المحاولات، غير أنه من المآثر الجليلة للحضرة السلطانية هو بناء مستشفى الغرباء الكبير في طرابلس، وانشئت من طرف البلدية صيدلية جيدة زودت بكل أنواع الأدوية ومداواة مرضى الفقراء تحت الرقابة المستمرة للخبرة الصحية التي جرى تشكيلها، والمؤلفة من الأطباء المهرة، وبذلك أصبحت جهود وتأسيس المبشرين والراهبات لا جدوى لها كلياً[2] .

---

[1] وثيقة رقم93: رسالة من الولاية إلى الديوان الملكي بتاريخ 26 جماد الآخر 1316هـ/ 16أكتوبر 1898م، أحمد صدقي الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا، ص153.

[2] وثيقة رقم93. أحمد صدقي الدجاني، الوثائق العثمانية لتاريخ ليبيا، ص154.

كما جاءت برقية إلى ولاية طرابلس الغرب جاء فيها: هل يوجد داخل ولايتكم الجليلة من ارتدّ من الأهالي المسلمين نتيجة التلقينات الواقعة من المبشرين، وكم يوجد من الأطفال المسلمين في المدارس المؤسسة من قبل المبشرين ونفيدكم بمنظور أمر واردة سلطانية لحضرة الخليفة المعظم أن تحققوا هذه الأمور بصورة سريعة ... وجاء جواب الولاية إلى رئاسة كتاب الديوان الملكي ... يوجد في مركز الولاية ثلاث مبشرين بروتستانت إلا أنهم ليست لهم إلا أربعة أو خمسة أطفال مسلمين ملتحقين بالمدرسة الابتدائية للإخوان المريميين الفرنسيين، ولكن بسبب الصلابة الدينية للأهالي لم يحصل من تلقينات المبشرين أي تأثير على العقيدة الدينية، وإننا لم نقصر في مراقبة أحوالهم[1] .

وترى الباحثة أن هذا يدل على الدور الفعال الذي قامت به المؤسسات الإسلامية من كتاتيب وزوايا ومساجد في تعليم النشء القرآن الكريم، وتربيته تربية دينية تقوم على الحفاظ على الدين الإسلامي وتعاليمه.

وبناء على ذلك بعثت الحكومة العثمانية لقناصل الدول الأجنبية في طرابلس تطلب منهم أن يبعثوا لها كشوفات بعدد المدارس والمؤسسات الدينية التابعة لبلادهم وأماكنها، فبعثت القنصلية الإيطالية بتاريخ 14 فبراير 1911م كشفاً جاء فيه وجود كنيسة مؤسسة بأمر سلطاني متصل بها دير صغير مخصص لإقامة عشر راهبات، وتوجد مدرسة خارجية (نهارية) تدرس مجاناً الذكور موجودها مائتا تلميذ، وهي بالقرب من الكنيسة، كما يوجد في زقاق الحمام دير مخصص لإقامة ست عشرة راهبة يدرن المؤسسات الآتية: مدرسة خارجية للبنات مجانية موجودها ثلاثمائة، ومستشفى وصيدلية صغيرة توزع العلاج مجاناً للفقراء، وفي المنشية كنيسة مقامة بإرادة سنية أي بأمر سلطاني متصل بها دير لإقامة راهبتين، ومدرسة خارجية مجانية مع الميتم الذي تقيم فيه خمس من الراهبات اللاتي يدرن صيدلية الفقراء، وقبل ظهور وباء الكوليرا كان موجود بالمدرسة المذكورة ستين طفلاً وهي الآن مغلقة، وفي الخمس كنيسة بموجب أمر ملكي ودير لإقامة راهبتين

---

[1] وثيقة رقم99: برقية من رئيس كتاب الديوان الملكي إلى ولاية طرابلس بتاريخ 2 يونيو 1900م. أحمد الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا، ص ص164-165.

وبيت مخصص لإقامة خمس راهبات، ومدرسة خارجية للبنات موجودها مائة وأربعون، وصيدلية لتوزيع الدواء مجاناً على الفقراء، والمؤسسات الدينية الخاصة بالكاثوليك في بنغازي، كل هذا كان خاصاً بالقنصلية الإيطالية[1] .

وهذه الصورة المترجمة للدفتر المرسل من القنصلية الانكليزية للرد على الخطاب الذي بعثته الحكومة العثمانية لقناصل الدول الأوروبية، والكشوفات الخاصة بالمدارس، والمؤسسات الخاصة بالإنجليز في ولاية طرابلس الغرب، وأُخِذَ منها: "وجود الصيدلية المخصصة للفقراء، وهي تحت إدارة جماعة المبشرين المسماة (نورد أفريقيا)، ومستشفى ذي ثلاثة سراير تابع لدير راهبات (سان جوزيف) الواقع تحت الحماية الفرنسية، ومدرسة مجانية للأولاد والبنات، وقد داوم على المدرسة المذكورة الأعداد التالية من الطلاب: في سنة 1907م 332 تلميذ وتلميذة، وفي عام 1908م داوم 359 تلميذ وتلميذة، وتصرف المدرسة في اليوم طعام الغداء لثلاثين طفلاً، وأربع يتيمات يجري تموينهن من قبل الدير، ويربي الدير المذكور قرابة ثلاثة وأربعين يتيماً، وأن جماعة (نورد أفريقيا) الشمالية البروتستانتية مؤلفة من المستر ايدر، ومستر مسزبولتون، والمستر هارالد والدن"[2] .

وظهرت فكرة الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي اعتلى العرش 1876- 1908م، فقد اهتم السلطان بفكرة الجامعة الإسلامية، وتحدث عن ضرورة تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل مسلمي العالم، وعبر السلطان عن ثقته في وحدة العالم الإسلامي بقوله: "يجب تقوية روابطنا ببقية المسلمين في كل مكان"، كانت فكرة الجامعة الإسلامية في نظر السلطان عبد الحميد الثاني يمكن أن تقف في مواجهة أعداء الإسلام وإيقافهم، عندما يجدون سداً إسلامياً قوياً يقف أمامهم، ومحاولة إيقاف الدول الاستعمارية الأوروبية عند حدها، عندما تجد أن المسلمين قد تكتلوا في صفٍ واحد، ويمكن أن يكونوا قوة سياسية عالمية يحسب لها حسابها في مواجهة الغزو الثقافي والفكري الأوروبي النصراني، وتستعيد دولة الخلافة قوتها[3] .

---

[1] وثيقة رقم163: مرسلة من قنصلية إيطاليا العامة إلى الدفتردار بتاريخ 14فبراير 1911م. أحمد الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا، ص290.

[2] وثيقة رقم163: مطابقة للدفتر المرسل من قنصلية إنجلترا. أحمد الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا، ص291.

[3] علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية، ص ص30-31.

أشار إلى ذلك المؤرخ البريطاني (آرنولدتويني) في قوله: "إن السلطان عبد الحميد كان يهدف من سياسته الإسلامية تجميع مسلمي العالم تحت راية واحدة، وهذا لا يعني إلا هجمة مضادة يقوم بها المسلمون ضد هجمة العالم الغربي التي استهدفت عالم المسلمين"[1] .

استخدم السلطان عبد الحميد كل الإمكانات المتاحة لنشر العلوم الإسلامية ومراكز الدراسات الإسلامية في الداخل والخارج، والقيام بحملات تبرع لإحياء المساجد وتجديدها وترميمها وتبيض القباب، واستمالة زعماء القبائل العربية، وإنشاء مدرسة في عاصمة الخلافة لتعليم أولاد رؤساء العشائر، واستمالة شيوخ الطرق الصوفية، والاستفادة من الصحافة الإسلامية للدعاية للجامعة الإسلامية، وقد التفت مجموعة من العلماء ودعاة الإسلام إلى دعوة الجامعة الإسلامية من أمثال: جمال الدين الأفغاني(*) ، ومصطفى كامل من مصر، والحركة السنوسية في ولاية طرابلس الغرب[2] .

كان من أهداف الجامعة الإسلامية مواجهة أعداء الإسلام والمثقفين بالثقافة الغربية، والذين توغلوا في المراكز السياسية الحساسة في أجهزة الدولة الإسلامية عموماً، والدولة العثمانية خصوصاً[3] ، يقول السلطان عبد الحميد الثاني: "الإسلام والمسيحية نظرتان مختلفتان لا يمكن الجمع بينهما في حضارة واحدة"، ويرى بأن الإنكليز أفسدوا عقول المصريين؛ لأن البعض أخذ يقدم القومية على الدين، وأنه يمكن مزج حضارة مصر بالحضارة الأوروبية[4] .

---

(1) محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، دمشق، دار القلم، 1996م، ص169. علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية، ص33.

(*) جمال الدين الأفغاني (1254هـ/1838م): هو جمال الدين الأفغاني بن صفدر بن علي بن محمد بن محمد الحسين، حكيم واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية، كان يعرف اللغات الأفغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنسية الإنجليزية الروسية، ولد في قرية أسد أبا من أعمال همذان، سافر إلى الهند وتلقى العلوم العقلية والنقلية، ورحل إلى الحجاز ثم عاد وأقام في كابل، والتحق بسلك رجال الحكومة، ثم رحل إلى القسطنطينية، فنصب عضواً في مجلس المعارف، ثم قصد مصر، فنفخ فيه روح نهضة إصلاح في الدين والسياسة، فنفته الحكومة المصرية إلى باريس، وأنشأ فيها مع رفيقه محمد عبده المصري جريدة العروة الوثقى، ثم دعي إلى القسطنطينية وتوفي فيها، ومن آثاره تاريخ الأفغان. عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني كحالة، معجم المؤلفين، بيروت–لبنان، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص154.

(2) علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الإسلامية، ص ص32–33.

(3) محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، ص168.

(4) علي الصلابي، السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية، ص30.

موقف الولاة العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب:

بالإضافة إلى موقف السلطات الحاكمة في إسطنبول، كان الولاة العثمانيون في ولاية طرابلس الغرب يرسلون من حين لآخر برقيات مستعجلة وسرية بالشفرة، تُعلم فيها دار الخلافة بأخذ الحيطة والحذر، وتؤكد على تتبع ومراقبة الأجانب الذين يقدمون إلى البلاد، وتراقب سير الرحالة في الولاية، وترسل برقياتها وشفراتها من متصرفي وقائمامي الدواخل إلى الوالي بطرابلس، ومنه إلى الباب العالي بالأستانة وكلها تؤكد أن أفواجاً من الأجانب يقدمون إلى البلاد، ويتجولون في أرجائها[1] .

طرح الكاردينال (لافاجيري) فكرة التغلغل الصحراوي من الشمال إلى الجنوب عن طريق المبشرين في 1867م، حيث تأسست جمعية المبشرين (الآباء البيض)، والتي كان الغرض منها نشر المسيحية، فكان صاحب فكرة تجربة طريق غدامس غات للنفوذ إلى السودان عوضاً عن طريق عين صالح[2] .

وتشير هذه الوثيقة - ومن بينها تقرير كتبه أحمد راسم باشا للأستانة - وقدمت إلى نظارة الخارجية إلى: "مقتل ثلاثة من المبشرين الفرنسيين، وأن فرنسا إلى جانب إيطاليا تبعث بمبشريها جهة الجنوب في غدامس وفزان، وكان هؤلاء المبشرون الثلاثة قد أمضوا في الصحراء خمس سنوات بمدينة غدامس ... وبالنظر للأخبار المرسلة من قائمقامية غدامس الكائنة في لواء الجبل الغربي ... جاء إلى غدامس من قبيلة الشعابنة إحدى قبائل الجزائر ... وذاع بأن المبشرين ذاهبون إلى غات، عقب ذلك جاء المبشرون الثلاثة (ريتشارد، ببولي، موردة) إلى مركز الحكومة، وقالوا: بأنهم يريدون السفر للسياحة، وبأن رفاقهم الثلاثة باقون في غدامس، وطلبوا استرداد الرسالة المعطاة لهم من الوالي الأسبق "المتوفى صبري باشا"، وأخذوا سنداً باللغة الفرنسية والعربية بأن

---

(1) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص ص191-196.

(2) عبد الرحمن التشايجي، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة: علي اعزازي، مراجعة: محمد الأسطى، الجماهيرية، منشورات مركز جهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، 1982، ص96.

الحكومة بعد مغادرتهم لغدامس غير مسؤولة عما يعترض سبيلهم، وطلب المبشرون إعطاءهم رسالة بأنهم طوال المدة التي قضوها في غدامس قاموا بالكشف على المرض، وإعطاء العلاج لكسب محبة السكان، ونجحوا في مهمتهم، وخصص القائم مقام لمرافقتهم عدداً كافياً من الخيالة حتى نهاية الحدود، وأخذ الجزائريون الثلاثة سالفي الذكر (وهم المبشرون)، وأفراد من الخيالة وهم من القبائل المسماة بالطوارق، ثم عاد الجزائريون بعده إلى غدامس، وقالوا إنهم بعد أن تركوا غدامس بيومٍ واحد انضم إلى الجمالة التوارق الذين معهم سبعة أشخاص من التوارق أيضاً، واتفقوا جملتهم فقتلوا المبشرين الثلاثة ونهبوا جميع أمتعتهم، بلغنا أنهم لما سردوا ذلك بعث الحاكم مأمورين للكشف عن القتلى، ومعاينتهم، وأن هذا الحال دعا للاشتباه في أنهم قتلوا من طرف الجزائريين الثلاثة، الذين أتوهم رأساً من الجزائر لاستغلوهم وأخرجوهم من غدامس، كما أن الجمالة التوارق بما أنهم من قبيلة التوارق الذين في أواخر شهر يونيو من السنة الماضية سمموا وقتلوا جميع أفراد بعثة الكشف الفرنسية السيارة المرسلة تحت قيادة القائد المدعو كنابز.

إن سابقة هؤلاء الناس العدوانية ضد الفرنسيين قد تؤيد إلى حدٍ ما صدق ما يدعيه الجزائريون، إلا أنه من أجل الوصول إلى الحقيقة فقد كتبنا لمتصرفية الجبل بوجوب أخذ الجزائريين المذكورين تحت التحقيق، وإخبارنا بما يجدُّ في الأمر، كما أننا بعثنا إلى قنصل جمهورية فرنسا الموجود هنا المعلومات والإيضاحات اللازمة"[1] .

وفي رسالة من الولاية إلى متصرف الخُمس، والتي عُلم من مفادها "بأن النصارى الذين في الخُمس استأجروا منزل الإيطالي المدعو (بترو) للعبادة، كما أنهم استأجروا القسم التحتاني من

---

[1] وثيقة: تقرير إلى نظارة الداخلية بتاريخ 8صفر، 1288هـ-1882م. نقلاً عن: مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص ص189-190.
إلا أن الطوارق قتلوا المبشرين قرب مكان يسمى (ماركس) على طريق غات، بعد أن ابتعدوا خمس ساعات عن غدامس، كان ذلك عام1882م، وعاد إلى طرابلس المبشرون الثلاثة المتخلفون في غدامس بحماية الجنود الأتراك قسراً، وبذلك فشلت المحاولات الفرنسية في النفوذ إلى الصحراء والسودان عن طريق غدامس وغات وعن طريق المبشرين. عبد الرحمن التشايجي، مرجع سابق، ص98.

المنزل لأجل اليهود الذين اتخذوه مدرسة، وأن المانع في هذا الصدد يشمل الكنائس التي تؤسس وتفتح مجدداً دون ترخيص، كما أن المعاملة التي ستتخذ بشأن مثل هذه المدارس الخاصة مدرجة في المادة(129) من قانون المعارف العامة: يجب إبلاغ ذلك للمعلم وبشهادة يجب إرسالها للمصادقة عليها، وإرسال جدول الدروس التي ستدرس والكتب"[1] .

اهتم الوالي أحمد راسم بالتعليم العصري الذي بدأ منذ عام1858م؛ لمواجهة التغلغل الثقافي الأجنبي الذي ازدادت قوته في مساندة الاحتلال الأجنبي، وحاول أحمد راسم بما توفر له من إمكانات محدودة تطوير مرافق التعليم لمواجهة المدارس الأجنبية الإيطالية والفرنسية التي كانت تسعى إلى اجتذاب العناصر المحلية[2] ، إلا أن هذه المحاولات من قبل الوالي أحمد راسم لم تأت بنتائج إيجابية في مجال التعليم بسبب الإهمال والفوضى في إدارة الولاية، وعدم الاهتمام بأمور التعليم، ويؤكد هذا فرانشيسكو كورو، إذ يقول: "ظلت الولاية خالية من المدارس العامة والتعلم النظامي حتى عام 1895م، ولم تكن ثمة مدارس أو معاهد نظامية، والنوع الوحيد من التعليم الذي يقدم إلى الأطفال هو القراءة والكتابة وفقاً للطريقة التقليدية العتيقة، حيث كان التعليم كله حول القرآن"[3] ، من هنا أكاد أجزم أن أكثر تعليم كان شائعاً في الولاية هو التعليم الخاص بالمؤسسات الإسلامية، والتي كان لها دور بارز في مواجهة التغلغل المسيحي والوقوف أمام التنصير.

وأمام تصاعد المجابهة للمخططات الإيطالية ـ بالسعي إلى كسب ود الأهالي، وقطع الطريق على التدخل الإيطالي ـ شهد عهد الوالي حافظ باشا العمل على التنظيم الإداري، وتطوير التعليم؛ إذ أسس داراً للمعلمين ومدرسة للبنات، ومدرسة ابتدائية أخرى في الدواخل، وفي نفس هذه

---

[1] وثيقة رقم76: رسالة من الولاية إلى متصرفية الخمس، بتاريخ 29رجب 1311هـ/6فبراير 1894م. أحمد الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا، ص122.

[2] إسماعيل مولود القروي، مرجع سابق، ص105.

[3] فرانشيسكو كورو، مرجع سابق، ص117. اسماعيل القروي، مرجع سابق، ص105.

الفترة أخذت المدارس الأجنبية تزداد في الانتشار، والتي كانت تؤسسها الحكومات والبعثات الأجنبية، ولم تقتصر هذه المدارس على طرابلس فقط، بل انتشرت في المدن الرئيسة في الولاية، مثل بنغازي ودرنة[1] .

كما أنشئت المدارس في عهد نامق باشا بهدف مجابهة النشاط التبشيري الاستعماري الذي تتزعمه إيطاليا عن طريق مدارسها، والتي بدأت تستقطب رجال الحكومة الذين يفضلون إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس، ولا سيما الضباط الأتراك، ولذلك أصدر الوالي نامق باشا أمراً بعدم إرسال أولادهم إلى المدارس الأجنبية، ويقول: "قد علمنا أن الضباط الأتراك يرسلون أبناءهم إلى المدارس الفرنسية، وحيث إن الحكومة افتتحت مدرسة للبنات تسير على منهج سليم لم يبق عذر ولا مبرر لإرسال بنات الضباط إلى المدارس الأجنبية، ويمنع هذا رسمياً"[2] ، و"أقيم اجتماع في مجلس بنغازي مع حضرة ناشد بك من أجل إنشاء مكتبة فنون ... لإزالة قضية الجهل"[3] ، و"تعليم كافة أبناء المسلمين الكائنين بمدينة طرابلس الغرب، ووجود مفتي مالكي يعلم الأطفال كلام الله، وما يخصهم من أمور الدين، كالتوحيد وفرائض الصلاة والسنن؛ لأن أكثر أولاد المسلمين مهملين من تعليم ما ذكر ... وعليك أيها الشيخ عبد السلام افندي تنبيه كل الأهالي بأن كل من يكون عنده ولد أو بنت يجعلونهم في مكتبة للذكور، والبنات في مكتبة البنات؛ لأن تعليمهم في أمور الدين فرض واجب على والديهم ..."[4] .

كما أصدر الوالي كمال باشا (1893-1908م) قراراً عام1898م يمنع بموجبه أبناء ضباط الجيش العثماني من الانتساب إلى المدارس الإيطالية، وضرورة تحويل أبنائهم إلى المدارس الحكومية العثمانية[5] .

---

(1) إسماعيل القروي، مرجع سابق، ص108.

(2) المرجع نفسه، ص108.

(3) وثيقة رقم69: التماس متصرف وأعضاء مجلس بنغازي إلى محمد راغب باشا بإنشاء مكتبة فنون لتعليم الطلاب بعض الحرف اليدوية 1847م. عمر بن إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي، ص618.

(4) وثيقة رقم70: قرار محمد راغب بتكوين لجنة للإشراف على التعليم الديني سنة1847م. عمر بن إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي، ص ص619-620.

(5) رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص173.

كما وصلت برقية من وزير الداخلية إلى الولاية تخبر وزارة الضبطية ما يفيد أن بعض مبشري البروتستانت من الأجانب يتجولون باستمرار في دواخل الولايات العثمانية، والمصلحة تقتضي إرسال منشورات عامة؛ لوضع تحركاتهم تحت الرقابة، فقد عمل بالرسالة المؤرخة سنة1898م "بمراقبة جميع أحوال وتحركات السواح والأجانب من تحت الرقابة، وتخبر بأمكنة وجودهم وبكيفية تنقلاتهم ... ومنع توزيع المنشورات المنع القطعي، وممنوع تجول المبشرين داخل الولاية، كما أفادت اللجنة بزيادة الاهتمام لتنفيذ الأمر السلطاني بشأن معاملة الزوار والسواح والأجانب ومنع تجول الذين يتبين أن مهمتهم توزيع المناشير كالدعاة لنشر المسيحية"[1] .

كان موقف الولاة العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب شديداً ضد المحاولات الأوروبية بجميع أشكالها، فقد رفض رجب باشا (1904-1908م) طلب بنك[*] روما بالحصول على الإذن الإمبراطوري، وأمر بمصادرة اليافطة التي أعدها البنك في روما لدى وصولها إلى جمرك طرابلس، وأخذ رجب باشا هذا الموقف الحازم من البنك لعلمه بأهدافه، ألا وهي الغزو الإيطالي، وقدم قنصل إيطاليا إلى رجب باشا مذكرة يؤكد فيها أن بنك روما مؤسسة خاصة، لا علاقة لها بالدولة، وله فروع؛ ولكن في بلاد أخرى، وسيعمل بقدر المستطاع على تقوية العلاقات مع هذه الولاية بما فيه خير سكانها، فزاد دفاع القنصل عن البنك من شدة شكوك ومعارضة رجب باشا[2] .

وفي عام1908م شرع أعضاء مجلس النواب الإيطالي في التعبير عن استيائهم الشديد من معاملة الولاة العثمانيين للإيطاليين، وفي عام1909م استدعت الحكومة التركية الوالي رجب باشا وعينت بدلاً منه "حسين حامي باشا"، الذي كان يميل إلى استرضاء الحكومة الإيطالية، فقد سمح

---

(1) وثيقة رقم127: برقية من وزير الداخلية إلى الولاية بتاريخ 1908م. أحمد صدقي الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا، ص213.

(*) بنك روما تأسس عام1880م، برأس مال قدره ستة ملايين ليرة إيطالية، وساهم في تأسيسه مجموعة من نبلاء روما المرتبطين بالكنيسة الكاثوليكية، ومنهم إمبراطور النمسا، الأمر الذي يطبع البنك بطابع كاثوليكي صرف. وهبي البوري، التمهيد الإيطالي لليبيا - بنك روما، مرجع سابق، ص96.

(2) المرجع نفسه، ص98.

الوالي الجديد لبعثة إيطالية بإجراء بحوث ميدانية أثرية، ولكن العلاقات الودية بين تركيا وإيطاليا كانت قصيرة الأجل؛ لأن الخلافات بدأت من جديد بعد وصول الوالي إبراهيم أدهم باشا إلى طرابلس في أكتوبر 1910م بصفته والياً جديداً، واتهم الوالي الجديد بأنه كان قاسياً في معاملة إيطاليا، حيث عارض كل المشاريع الإيطالية في البلاد، بل ذهب إلى أكثر من ذلك فرفض حتى الاستمرار في العلاقات العادية مع القنصل الإيطالي في طرابلس، ولذلك فرضت تركيا قيوداً صارمة على انتقال ملكية الأرض إلى الإيطاليين في ولاية طرابلس الغرب، وفي سنة1910م منع مصرف روما من شراء الأراضي في الولاية، حيث اعُتبر ذلك غير قانوني أو شرعي[1] .

وفي عام1911م نبه محمود ناجي بك مبعوث طرابلس في مجلس المبعوثين العثماني عن اتساع التعليم التنصيري الإيطالي في الولاية، فقد أصبح له 12 مدرسة، وأصبح التلاميذ أكثر ميلاً لإيطاليا، وعبَّر عن أسفه لتراخي نظارة المعارف، وعدم اهتمامها بمدارس الولاية العثمانية، والتعليم فيها، حتى انصرف الكثير من التلاميذ إلى المدارس التنصيرية[2] .

يبدو من خلال هذه المحاولات المتعددة، التي كانت تمهد لإرساء قواعد أساسية للتبشير - سواء أكانت في المدن الكبرى التي تقع على ساحل الولاية الشمالي، أم الوسطى، أو في الواحات الجنوبية - محاولة نشر التنصير داخل الولاية، أو اتخاذها قاعدة انطلاق إلى أواسط أفريقيا للتنصير[3] .

---

(1) وليم. س. اسكيو، مرجع سابق، ص42.

(2) محمد الكوني بالحاج، مرجع سابق، ص22.

(3) مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص191.

المبحث الثاني

موقف الحركة السنوسية من محاولات التنصير الأوروبي في ولاية طرابلس الغرب

التعريف بالحركة السنوسية:

تدهورت أحوال العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أن الطرق الصوفية التي ظهرت في تلك الفترة قد يسرت للإسلام خدمات عظيمة في وقت ضعفت فيه السلطة المركزية بمركز الخلافة، وتفتت وحدة المسلمين، وبدأت أوطانهم تخضع للاستعمار، فاستطاع رجال الطرق الصوفية أن يحفظوا في الميدان الديني الوحدة التي نفذت في الميدان السياسي، وقاموا بمجهودات لم تستطيع الحكومات القيام بها، وقد تمثلت في السنوسية والجهود التي قامت بها في ولاية طرابلس الغرب[1] .

اقترن ظهور الحركة السنوسية بفترة ضعف الحكومة العثمانية، وبظهور الهرطقة[*] الدينية، وجمود الأوضاع الفكرية والثقافية والحضارية في ظل حالة العزلة التي فرضتها الدولة العثمانية، وتردي الأوضاع المعيشية والاقتصادية[2] .

كانت هذه الحالة مدعاة لظهور دعوات فكرية، ومدارس فقهية في القرن التاسع عشر الميلادي، دعت إلى التجديد في المجتمع الإسلامي بعيداً عن إجراءات التحديث الحكومية ذات الطابع العلماني، والتي أدخلت في الجيش والإدارة بضغوط الدول الغربية[3] .

---

[1] محمد عفين، مرجع سابق، ص93.

[*] الهرطقة: ويطلق عليها أيضاً الزندقة، هي تغيير في عقيدة أو منظومة معتقدات مستقرة، وخاصة الدين، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها، بما يجعلها بعد التغيير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه الهرطقة، وتنطبق "الهرطقة" في سياقات مختلف العقائد، الديني منها وغيره، وفي السياق الإسلامي تستخدم الزندقة و"بدعة تكفير" للدلالة على المعنى ذاته فيما يتعلق بعقيدة الإسلام وفرقه. شبكة المعلومات الدولية على الرابط: https://ar.wikipedia.org›wiki›

[2] نيكولا ايلنتش، مرجع سابق، ص336.، امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص201.

[3] علي عبد اللطيف، مرجع سابق، ص122.

ظهرت الحركة السنوسية كرد فعل عن هذه الأحوال السائدة في تلك الفترة من تأخر العالم الإسلامي، وأطماع الصليبيين النصارى فيه، وجاءت للرد على التحديات الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، تهدف إلى تطهير العقيدة من البدع ومقاومة النفوذ الأجنبي[1] .

إذن الحركة السنوسية حركة دينية إصلاحية[2] ، إحيائية إسلامية[3] ، والطريقة السنوسية أسسها السيد محمد بن علي السنوسي الذي ولد في مستغانم بالجزائر سنة 1792م، وتلقي علومه الأولية فيها ثم ارتحل إلى فاس عام1813م؛ لاستكمال علومه، ثم إلى مكة عام1829م، وأسس فيما بعد زاوية أبي قبيس عام1837م، ثم وصل إلى الجبل الأخضر وأسس زاوية البيضاء سنة1842م[4] .

كانت دعوة السيد السنوسي أساسها الإسلام الصحيح لا الإسلام الذي دخلته البدع، والدعوة للعودة للإسلام إلى ما كان عليه في عهد الرسول ﷺ[5] ، وتنقيته مما علق به من الشوائب خلال القرون التي سبقته، وهذه الحركة سنية تسير[6] على المذهب المالكي، وهو السائد في شمال إفريقيا، فالسنوسية طريقة سنية محضة ليست طائفة مذهبية بل (أخوة)[7] ، أرادت بالمسلمين أن يكونوا عباداً عاملين منتجين، ويظهر ذلك واضحاً في الزوايا التي تحولت إلى مدارس ومساجد ومزارع[8] .

---

(1) شجاع عدي الحجاوي، الحركة السنوسية في طرابلس الغرب، بحث في منتدى الحوار. www.mahewar.org

(2) مجيد خدوري، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، بيروت، دار الثقافة، 1966م، ص18.

(3) أحمد الدجاني، السنوسية نموها وتطورها، ص68.

(4) محمد عثمان الحشائشي، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد الطوارق، تحقيق: محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية، 1984م، ص ص140، 144-145.، ايفانز برتشارد، مرجع سابق، ص11.

(5) مفتاح السيد الشريف، السنوسية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2008م، ص53.، علي محمد الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا، الأردن، دار البيارق، 1991م، ج1، ص90.، الأخضر شويطر، زوايا الحركة السنوسية ودورها في طريق الحج، مؤتمر طرق الحج في إفريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الخرطوم-السودان، 2016م ، ص221.، لوثرب ستودارد، مرجع سابق، ج1، ص140.، مصطفى بعيو، دراسات في التاريخ اللوبي، ص36. علي محمد الصلابي، الإمام محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس، دار الروضة للطباعة والتوزيع، ط1، 2017م، ص27.

(6) مجيد خدوري، مرجع سابق، ص19.

(7) ايفانز برتشارد، مرجع سابق، ص3.

(8) نقولا زيادة، برقة الدولة العربية الثامنة، الأهلية للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص46.

كانت السنوسية في مرحلتها الأولى طريقة تبشيرية، وهدفها جلب الأعراب وساكني الصحراء والسودان عن طريق الإقناع الهادئ إلى فهم معنى الإسلام[1] ، وجمع الناس على مبادئه وأخلاقه، واستهدفت كل الناس بالدعوة سواء كانوا مشركين أو نصارى أو يهود، كما بينت الأخطار التي تواجهها الأمة الإسلامية من أعدائها، وأيقن ابن السنوسي أنه لا يمكن أن تقوم وحدة المسلمين ما لم تجمعهم عقيدة واحدة، وأن العقيدة تجمع شتات المسلمين[2] .

وأثناء زيارة السيد محمد بن علي السنوسي الأولى للديار المصرية انتقش في ذهنه أن الدولة العثمانية في طريقها إلى الاضمحلال، ويظهر ذلك واضحاً في عجزها عن دفع شر الغزو الفرنسي عن الجزائر، وانتصار محمد علي باشا في مصر، وتقصيرها في دفع الأذى عن أحد الأقطار الإسلامية[3] ، ويظهر أنه رأى في ولاية طرابلس أكثر استعداداً من غيرها لقبول دعوته، فبدأ بتأسيس طريقته في طرابلس، ولا سيما في برقة التي أصبح أهلها في الحواضر والبادية يتبعون السنوسية[4] ، وانتشرت السنوسية في إقليم برقة، حيث وجدت مجالاً خصباً لانتشارها، ولا سيما أن الناس كانوا في حالة من الفراغ الفكري والعقائدي[5] .

انتشرت في ولاية طرابلس الغرب بين عامي 1843-1858م الزوايا السنوسية التي وضعت اللبنة الأولى في برامج التعليم للكبار والصغار في البادية، فالبادية الليبية أرض خصبة على استعداد لتقبل أي مؤثرات خارجية، لذلك عمد السنوسيون إلى تعميق مبادئ الإسلام في نفوس أبنائهم[6] ، ولذا تعتبر الزوايا مركز الحياة الروحية للسنوسية، بالإضافة إلى الجانب السياسي والاقتصادي[7] .

---

(1) ايفانز برتشارد، مرجع سابق، ص6.

(2) علي محمد الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا، ص ص90-91، 118.

(3) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص39.، الأخضر شويطر، مرجع سابق، ص224.

(4) لوثرب ستودارد، مرجع سابق، مج1، ص ص140-141.

(5) أحمد صدقي الدجاني، أحاديث عن تاريخ ليبيا، ص ص68-69.، امساعد الدروقي، ص202.

(6) الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص ص38-40.

(7) نقولا زيادة، مرجع سابق، ص56.

كان أسباب ذيوع الطريقة السنوسية دعوة الإصلاح الديني والاجتماعي الجديد ببساطة، ثم إنشاء الزوايا باعتبارها مركز نشر الدعوة الإسلامية بين الأهالي، وأهل البلاد المجاورة، وبين رجال القوافل الذين يمرون بهذه الزوايا في غدوهم ورواحهم، وأصبحت الزوايا مركز نشاط اجتماعي وديني يهتم بشؤون الدين والدنيا معاً، وملاجئ في الصحراء للمسافرين[1] ، وكانت الزوايا تتمثل مدرسة قرآنية لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية، وقد مر ذكر وظائف الزوايا بشيء من التفصيل في الفصل الثالث.

وجدت الزوايا في مناطق مرتفعة حصينة، ومنها في تقاطع طرق التجارة والقوافل عبر ولاية طرابلس، وجنوباً عبر فزان وغدامس وغات، ومنها إلى بحيرة تشاد[2] ، فقد كانت هناك شروط أثناء بناء الزوايا ومكانها، وذلك بتخصيص قطعة للمكان الذي تنشأ عليه الزوايا، وإرسال أحد الشيوخ للإشراف عليها، بحيث يجعل من الزاوية وأراضيها وسكانها جالية حية منتجة، ومن شروط الزاوية أن تكون ذات موقع تجاري وحربي[3] .

وضعت السنوسية أسس مشروع ينتهي بإقامة دولة، وذلك بالعمل الجماعي، وتأسيس أخويات إسلامية في الزوايا التي انتشرت سريعاً، وعلى مساحات مترامية من شمال إفريقيا دون أن يفقدها هذا الاتساع الارتباط فيما بينها، وتوطيد أواصر القربى الإسلامية[4] ، وابتدأت الزوايا من برقة، ومنها امتدت إلى الأقاليم الأخرى؛ ليرتبط شأنها فيما بعد بالحركة الوطنية التي كانت نواة للعمل على تحرير البلاد[5] .

---

(1) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص86-87.، رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص38.، محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، (د.ط)، (د.ت)، ص35.، إسماعيل القروي، مرجع سابق، ص118.

(2) علي الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا، ص ص127، 130.

(3) محمد الطيب الأشهب، عمر المختار، ص35.، رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص101.

(4) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص203.

(5) أحمد الدجاني، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، بيروت، دار لبنان، ط1، 1976م، ص168.، مفتاح الشريف، ص88 وما بعدها.

كانت السنوسية ترتكز على شبكة من الزوايا المنتشرة في الواحات الواقعة بين السودان ومنطقة طرابلس[1] ، وامتدت الزوايا السنوسية إلى مصر في كل من: سيوة، والواحات الداخلية للفيوم، ومن بنغازي إلى الإسكندرية، بالإضافة إلى زاويا الحجاز، أشهرها زاوية أبي قبيس السنوسية، أسست في عام1837م، والزاوية البيضاء التي أسست 1842م في الجبل الأخضر[2] ، وهي زاوية الشيخ محمد بن علي السنوسي في البيضاء[3] ، وزاوية الفائدية[*] .

وانتشرت الزوايا السنوسية في طول البلاد وعرضها طوال الفترة التي عاشها السيد محمد بن علي السنوسي، حيث بلغ عدد الزوايا 31 زاوية، معظمها في الواحات، وأصحبت رئاستها للزاوية البيضاء الأم[4] ، وفي عام1856م أصبحت الجغبوب مركزاً للطريقة السنوسية، ومهد الجامعة الإسلامية، ولها التأثير في إفريقيا بعد الأزهر، وكان سبب اختيارها؛ لأنها بعيدة عن الأتراك والفرنسيين، وهي على بعد متساوٍ من بقية الزوايا في برقة، وطرابلس، والصحراء الغربية من مصر وإقليم السودان[5] ، وهي ملتقى القوافل، وسميت بزاوية الأستاذ نسبة إلى الأستاذ محمد بن علي السنوسي، كما كانت الزاوية مزودة بمكتبة شاملة، ويقوم بالتدريس فيها علماء متخصصون في الفقه واللغة والعلوم العقلية[6] .

ويقال إن سبب تحول السنوسي الكبير من الزاوية البيضاء إلى الجغبوب هو شعوره بدنو استيلاء الأجانب على تلك الديار، فاختار الانتقال إلى الجغبوب، وقيل إنه تكهن بوقوع الحرب مع

---

(1) مجيد خدوري، مرجع سابق، ص18.

(2) لوثرب ستودارد، مرجع سابق، ج1، ص141.، علي الصلابي، الحركة السنوسية في ليبيا، ص ص65، 88 وما بعدها.، الأخضر شويطر، مرجع سابق، ص224.

(3) سمير عبد المنعم، مرجع سابق، ص202.

(*) زاوية الفائدية جنوب البيضاء بنحو 25كم، أسسها الشيخ إسماعيل بن علي البدري، وأقيمت هذه الزاوية في نفس الوقت الذي أقيمت فيها الزاوية البيضاء. سمير عبد المنعم، مرجع سابق، ص210.

(4) علي الصلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، بيروت، دار المعارف، (د.ط)، (د.ت)، ص156.، رأفت الشيخ، مرجع سابق، ص ص102-103.

(5) ايفانز برتشارد، مرجع سابق، ص ص11-12.

(6) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية الأمس واليوم، القاهرة، مطبعة الهوارية، ط1، 1945م، ص46.

النابولتان – الطليان، وقال إن هؤلاء لابد في يوم من الأيام أن يغزوا طرابلس وبرقة، فشرع يهيئ اتباع طريقته للمقاومة، ويعلم فضائل الجهاد، مما ظهر أثره في حرب إيطاليا 1911م ظهوراً أدهش الشرق والغرب، وأثبت أن الطريقة السنوسية هي عبارة عن دولة تعمل بالكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح[1] .

واستخلف السيد محمد بن علي السنوسي ولده المهدي، الذي أكمل عمل والده وبنى الزوايا وذاع ذكره في الأقطار، وحسبت له دول الاستعمار حساباً كبيراً[2] ، واستطاع المهدي أن يجعل من الجغبوب مركزاً لنشر الإسلام بين الأفارقة الوثنيين في واداي والأقاليم المجاورة حيث جعل من هؤلاء الوثنيين[*] دعاة لنشر الإسلام في بلادهم[3] ، ثم تحول المهدي السنوسي من الجغبوب إلى الكفرة، وهي واحة كبيرة تسكنها قبيلة زوية في وسط الصحراء، ثم انتقل من الكفرة إلى التاج[**] ، وبني بها زاوية، وأخرى في واحه واجنقة، ثم زاوية قرو، وزاوية عين كلك، التي وقعت فيها الحرب بين السنوسية والفرنسيين، وأصبح الإنجليز يحسبون حسابه من جهة السودان وفرنسا من جهة واداي ومستعمراتها في أواسط أفريقيا[4] .

أصبحت الزوايا السنوسية هي حجر الزاوية في المجتمع الجديد، ومكان العبادة والتعليم[5] ، كما زودت البلاد بإدارة دينية سياسية[6] ، وبحسب تقديرات دوفيريه كان حتى عام 1884م يوجد

---

(1) لوثرب ستودارد، مرجع سابق، ج1، ص143.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص142.

(*) كان السيد محمد بن علي السنوسي يقوم بإعتاق العبيد الذين تم خطفهم من القوافل بين الحدود المصرية الطرابلسية، وقام بتعليمهم وإطلاق صراحهم وإرسالهم ثانيةً إلى واداي، كما لو أنهم أشخاص أحرار ومبشرين.
H. Duveyrier, op. cit., p. 20.
بعكس ما قامت به البعثة الفرنشسكانية في بنغازي، فقد كانت تشتري أرقاء من سوق قمينس بنقود اللجنة الدولية الخاصة بتحرير الرقيق، وتلقنهم المسيحية، وتسخرهم لخدمة الرهبان والراهبات. محمد مصطفى بازامة، تاريخ برقة في العهد العثماني الثاني، ص ص413-414.

(3) أحمد الدجاني، الحركة السنوسية نموها وتطورها، ص69.، محمد عفين، مرجع سابق، ص63.

(**) التاج: هي أكبر زوايا السنوسية، أسسها السيد المهدي السنوسي في الكفرة سنة1313هـ/1895م، وهي مبنية على رأس جبل يقال له القارة. الطاهر أحمد الزاوي، مرجع سابق، ص161. هي قرية صغيرة، فوق الحافة الشمالية المرتفعة لوادي الكفرة، وأصبحت المركز الإداري لكل واحات الكفرة، وهي أشبه بقلعة تشرف على الوادي كله. عبد السلام محمد شلوف، مرجع سابق، ص161.

(4) لوثرب ستودارد، مرجع سابق، 143/1.، محمد عبد السلام غريدة، مرجع سابق، ص72.

(5) محمد الطيب الأشهب، برقة العربية الأمس واليوم، ص38.، H. Duveyrier op. cit., p. 20

(6) مجيد خدوري، مرجع سابق، ص18.

في ولاية طرابلس حوالي 66 زاوية، منها 38 في برقة، و28 في طرابلس، وأشار إيفانز إلى وجود 45 زاوية تابعة لبرقة خلال حياة السنوسي الكبير، و22 زاوية خلال حياة السيد المهدي[1] ، ومن زوايا برقة: (عين مارة، العزيات، درنة، قفنطة، وزاوية العرقوب، وزاوية مسوس، المرج، المخيلي، دريانة، القصور، عمر المختار، الطيلمون، شحات، ترت، الفائدية، توكرة، وطلميثة)، ومن زوايا طرابلس: (مرزق، واو الكبير في فزان، هون، الجفرة، مزدة، الرجبان، طرابلس)[2] .

أصبحت التاج (1313هـ/1895م) مركزاً للحياة الدينية والدعوة للإسلام، واشتدت الجهود التبشيرية للطريقة السنوسية في إقليم فزان وفي ديار كاوار، وبرنو، وإيندي ودارفور وكانم، وأنشأ زاوية في بير علالي (Bir-Alali) على الطريق إلى تشاد، وانضمت جماعة من قبائل أولاد سليمان، وزوية والمجابرة والتبو والطوارق لمعارضة تقدم الفرنسيين في إفريقيا[3] .

وقفت الزوايا السنوسية منذ عهد زعيمها الأول محمد السنوسي وخلفائه حصناً منيعاً في وجه الحركات التبشيرية التي ما انفك يقوم بها رجال الدين المسيحيين في الولاية أو بين القبائل الإفريقية تحت غطاءات شتى، أهمها: التداوي والتطبيب، فقامت الزوايا بدورها التعليمي، وحركت النفوس، وشحذت الهمم، وبثت الوعي، وغلقت جميع الأبواب أمام هذا الزحف، وخاصة الزحف الفرنسي في الشمال الإفريقي، وكان انتشار الدعوة السنوسية مصدر قلق وخوف لدى الفرنسيين فحاربوا دعوتهم في كل بلاد سيطروا عليها[4] .

كانت الزوايا منظمة تبشيرية انضم إليها الكثير من الجزائريين، والتونسيين والمغاربة الذين استحوذت عليهم تعاليم السنوسي، وأطاعوا أمره، حيث وجههم كمبشرين إلى أراضٍ جديدة[5] ،

---

(1) مفتاح الشريف، مرجع سابق، ص110.

(2) محمد الطيب الأشهب، السنوسي الكبير، ص ص33، 38.، محمد عبد السلام غريدة، مرجع سابق، ص ص73-74.، الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص34.، محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص62، فراشيسكو روفير، مرجع سابق، ص108.

(3) ايفانز برتشارد، مرجع سابق، ص ص17-18.

(4) الأخضر شويطر، مرجع سابق، ص23.

(5) ايفانز برتشارد، مرجع سابق، ص ص14-15.

وانتشرت السنوسية انتشاراً كبيراً، واعتنق كثيرون من الوثنيين الدين الإسلامي، واستطاع أصحاب الدعوة أن يؤسسوا الكثير من المدارس، وفتحوا أبوابها للذكور والإناث على حدٍ سواء؛ لتعليمهم قواعد الدين الصحيح، وكذلك وجدت زاوية تِوات التي أسسها أحمد التواتي، وهو من كبار السنوسيين في تلك المناطق، والذي يعدّه الفرنسيون ألد أعدائهم في تلك الجهات، خاصةً من حدود مراكش الجنوبية إلى نهر النيجر[1] ، كذلك أصبحت نواحي بحيرة تشاد مراكز للإسلام في أواسط أفريقيا، وأهم القبائل التي تأثرت بتعليم السنوسية[2] في هذه المنطقة قبائل البانلي (البدايات) الوثنية عام1872م، وأنشأ السنوسيون عدة زوايا في بلادهم[3] .

وحرص السيد المهدي على نشر الإسلام في مملكة النيدي (إيندي)، وأخذ أهلها يرسلون أولادهم إلى الجغبوب لكي يتلقوا العلم، وانخرطوا في الحركة، وأصبحوا من دعاتها في إفريقيا[4] ، ونشطت جهود السنوسية في كل من برنو وكانم، ووجدت الإرساليات التبشيرية المسيحية نفسها أمام قوة إسلامية زاحفة عطلت أغلب مشاريعهم التبشيرية، ومن هنا بدأت الشكاوي تصدر عن الإرساليات إلى الدول التي تتبعها، والجميع يشكون السنوسية وجهودها، مما جعل حكومات تلك الإرساليات تحاول الضغط على السلطان عبد الحميد من أجل استدعاء السيد المهدي السنوسي إلى الأستانة واحتجازه[5] ، وخاصةً فرنسا التي كانت ترى في الحركة السنوسية وشيخها السيد المهدي خطراً عليها، حيث كانت ترى في السنوسية دعوة الإسلام الصحيح، التي تتخذ من الشمال والوسط الإفريقي قاعدة لها، فتوقفت أعمال المبشرين المسيحيين أمام تفوق دعاة السنوسية في هذه الأماكن، مما كان له دور في تأجيج العداء الأوروبي عامةً، والفرنسي خاصةً ضد السيد المهدي ودعوته[6].

---

(1) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص169.

(2) محمد عفين، مرجع سابق، ص22.

(3) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص111.

(4) عبد السميع بريدان، مرجع سابق، ص95.

(5) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص112.، أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نموها وتطورها، ص ص203-206.، لوثرب ستودارد، مرجع سابق، ج2، ص162.

(6) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص95.، لوثرب ستودارد، مرجع سابق، ج2، ص398.

علم الفرنسيون أن الإسلام الذي ينشره السيد المهدي في شمال ووسط إفريقيا هو عدوهم الأول[1] ، ويصف الرحالة الفرنسي دفيريه "أن السنوسية وحركتهم يشكلون خطراً عظيماً يهدد الديانة المسيحية في القارة الإفريقية، وينسب إليهم تحريض أهالي المستعمرات الفرنسية في الجزائر على القيام بالثورة ضد الفرنسيين"[2] ، ويذكر هنري ديك كاستري "إن أكبر الطوائف وأشدها تمسكاً بمبدئها هي السنوسية، وهي التي يُخْشى منها أكثر من غيرها، ولها شيخ يُنْظَر إليه كجامع وحدة الإسلام"[3] ، وامتد سلطان السيد المهدي في شمال إفريقيا بأسرها، ومنطقة قبائل الصحراء، وبسبب الامتداد الروحي أصبحت القارة الإفريقية مرصعة بالزوايا السنوسية[4] .

كان يوجد بكل زاوية من هذه الزوايا حوالي الأربعمائة من الجمال على أهبة الاستعداد للانتقال بأهل الزوايا من الولاية أو المناطق الصحراوية، يقول لوي رين الكاتب الفرنسي: "إن السنوسية بهذه الزوايا كانوا دائماً على استعداد للدفاع"[5] ، ويذكر الرحالة هنري دوفريه إن المساحة الشاسعة الممتدة من الجغبوب حتى غات، ومن غدامس حتى واحة الكفرة تشبَّع أهلها بالطريقة السنوسية[6] ، كانت السنوسية من خلال هذه الزوايا بعيدة عن العنف والقوة في نشر دعوتها، وذلك عن طريق الإرشاد والاقناع، ولم تثر القلاقل في البلدان المسيحية أو التي تخضع لحكومة مسيحية، فقد كانت السنوسية تهدف من دعوتها نشر تعاليم الدين الصحيح، وإخراجهم من دار الحرب إلى دار السلام، أي من دار الكفر إلى دار الإسلام[7] .

---

(1) لوثرب ستودارد، مرجع سابق، ج2، ص376.

(2) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص113.

(3) عبد السميع ابريدان، السيد محمد المهدي السنوسي ودوره في تطوير الحركة السنوسية 1844-1902م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بنغازي، 2015م، ص94.

(4) محمد عفين، مرجع سابق، ص ص84، 86.

(5) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص107.

(6) H. Duveyrier, op. cit., P19.

عثمان عبد الجبار، السنوسية ودورها الديني والسياسي في السودان الأواسط في القرن التاسع عشر الميلادي، 1837-1913م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم تاريخ الحضارة الإسلامية، كلية الآدب، جامعة أم درمان، 1992م، ص137.، ليون وليم برفينيكر، طرابلس الممنوعة رسم الحدود (غدامس، الطوارق، الجنوب التونسي)، ط1، 2008م، ص119.

(7) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص94.

سعى الاستعمار الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي للسيطرة على الشعوب العربية والإفريقية، وخلق نوع من الاقتران الثقافي الذي يحاول فيه فصل الشعوب عن جذورها، وتشويه هويتها، ومحاولة ربطها بالثقافة الغربية؛ لضمان استمرار الوجود الأوروبي، والسيطرة على المؤسسة التعليمية والثقافية لتخريج أجيال ترتبط بالحضارة الأوروبية، وكانت فرنسا أنشط من غيرها بمؤسساتها الثقافية، وظهرت الحركة السنوسية كرد فعل قوي ضد المحاولات الأوروبية، وأصرت على مقاومة الاستعمار، فأنشأت المدارس الإسلامية والزوايا، إلى جانب المدارس التي أنشأتها حركات التنصير، واستمرت في إرسال البعثات من إفريقيا إلى الجامعات والمعاهد الإسلامية، لنشر الثقافة والتعاليم السنوسية، من مرحلة الطفولة إلى مرحلة التخرج في معهد الجغبوب[1] .

بعد ذيوع الحركة السنوسية ونجاحها في ولاية طرابلس، وفي قلب الصحراء وفي أواسط أفريقيا، وبفضل إحكام التنظيمات بين الزوايا سواء كانت في الجغبوب أو زاوية التاج بالكفرة أو واحة قرو في برنو، وجدت الإرساليات التبشيرية المسيحية في السنوسية خصوماً عنيدين ـ خاصةً ما بين عامي (1899–1902م) ـ عطلوا عليهم أعمالهم، بل وأفسدوا هذه الأعمال في بعض الجهات، كما أن هذا النجاح قضَّ مضاجع الدول الغربية، خاصة إنجلترا التي احتلت مصر سنة 1882م، وأصبحت تحسب حساباً للدعوة السنوسية من ناحية السودان المصرية، وكذلك فرنسا التي احتلت الجزائر 1830م وتونس 1882م[2] .

وفي نفس الوقت لم تُظْهِر السنوسية أي عداء ضد الدولة العثمانية؛ بل كانوا ينظرون إليها على أنها دولة الخلافة التي لا يجب الخروج عنها، وأن الرابط القوي الذي يربط الطرفين هو الرابط

---

(1) محمد عفين، مرجع سابق، ص97.، عبد الله أحمد الطوير، جهاد الحركة السنوسية، بنغازي، دار الكتب، 2013م، ج1، ص ص18، 21–22.

(2) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص112–113.، فضل شعيب موسى، الزوايا السنوسية وأثرها على المجتمع في إقليم برقة 1843–1912، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمد بن علي السنوسي، 2019م، ص128.

الديني[1] ، لذلك قامت الدولة العثمانية بإعفاء الزوايا السنوسية من الضرائب تقديراً لها على جهودها وتعاونها مع المسؤولين العثمانيين[2] ، فأصدر السلطان العثماني عبد المجيد (1860م) فرماناً يدعم المدارس والزوايا السنوسية في مختلف أنحاء برقة، مشيراً إلى رضائه عما يقوم به السنوسيون في مجال التربية الإسلامية، وأمر السلطان في فرمان حاكم برقة بمساعدة وتزويد المدارس والتكايا باحتياجاتها[3] ، ولم يلبث في عام1869م أن أكد السلطان عبد العزيز على الامتيازات السابقة، مشدداً على عدم التدخل في شؤون الزوايا السنوسية[4] .

ومن مظاهر نجاح الحركة السنوسية كسب ثقة الولاة العثمانيين في ولاية طرابلس الغرب، ففي الرسالة التي أرسلها والي طرابلس "حالت باشا" إلى متصرف الجبل "قاسم باشا" عام 1870م أكد فيها إعفاء الزوايا السنوسية من الضرائب، حيث إن السيد المهدي السنوسي قد افتتح زاوية جديدة هناك، وهي زاوية الرجبان، ويذكر الوالي حالت باشا بالفرمانات على الجهود السنوسية في نشر العلم والإصلاح، ويوصي المتصرف بعدم التعدي على جنابه الرفيع وعلى تلاميذه وسائر الفقراء السنوسية بسوء ولا مكروه من سائر الوجوه، أملاً أن يستمر على ما كان عليه من الإرشاد والتعليم[5] .

---

[1] ايفانز برتشارد، مرجع سابق، ص159.، فضل شعيب، مرجع سابق، ص128.

[2] عبد الرحمن التشايجي، مرجع سابق، ص61.

[3] وثيقة رقم62: فرمان من السلطان عبد المجيد بخصوص السنوسية وزواياها وبيان امتيازاتها بتاريخ 15ربيع الآخر 1277هـ/1860م.، عمر بن إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا، ص587.

[4] وثيقة رقم63: فرمان السلطان عبد العزيز بتأكيد امتيازات السنوسية السابقة والأمر بعدم التدخل في شؤون زواياها بتاريخ 25 جماد الأول 1286هـ/1869م. عمر بن إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا، ص591.
وثيقة رقم65: قرار عاصم باشا والي طرابلس إلى المسؤولين بالجبل الغربي يأمرهم باحترام الشيخ العيساوي أحد شيوخ الزوايا وعدم مطالبته بأي نوع من الضرائب وعدم التدخل في شؤون الزوايا، بتاريخ 25 ربيع الأول 1292هـ/1875م، عمر بن إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا، ص596.
وثيقة رقم64: فرمان من السلطان عبد الحميد بتأكيد امتيازات السنوسية السابقة وسريان هذه الامتيازات على الزوايا التي أسست في طرابلس 26 ذي الحجة 1300هـ/1882م. عمر بن إسماعيل، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا، ص ص594-595.

[5] أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية نموها وتطورها، ص205.

وفي عام 1875م أصدر والي طرابلس (عاصم باشا) أمره بإعفاء الزوايا السنوسية من أي نوع من الضرائب، وأدى التوافق السنوسي العثماني إلى تخصيص الحكومة العثمانية أموال ضريبة العشور للإنفاق على الزوايا[1] .

شهدت الصحراء الكبرى عدة رحلات أُطلق عليها رحلات وبعثات علمية، قام بها رجال أوروبيون من جنسيات مختلفة، وكان من هؤلاء الرحالة من يدعي اعتناق الإسلام حتى يفوز بود وثقة مشائخ المناطق الصحراوية، وخاصةً في (غدامس وغات)، إلا أن الحركة السنوسية أدركت خطر هذه الرحلات، ونظرت بكثير من الشك والريبة لزيارات هؤلاء الرحالة الأوروبيين للمناطق الساحلية والداخلية، وعملت على مراقبة تحركاتهم المشبوهة لا سيما في مناطق برقة[2] ، واستطاع السنوسي وخلفائه من خلال مبادئه وتعاليمه المستمدة من الكتاب والسنة أن يحقق مكسباً مهماً للإسلام والمسلمين، فساهمت الحركة في برقة في تنبيه الناس إلى الخطر الأوروبي، وفضح نواياه الحقيقية، والتبصرة بأن الهدف من كل تحركاتهم هو القضاء على الإسلام والمسلمين، وأن ما يقوم به المستكشفون والرحالة والحملات التبشيرية ما هو إلا وجه آخر من وجوه الهيمنة والسعي للقضاء على أي عمل من شأنه توعية المسلمين[3] .

من هؤلاء الرجال الذين زاروا الولاية (جيمس ريتشاردسن) الذي تحدث عن رحلته عام1845م، عندما تعرض للخطر من قبل أحد أفراد قبيلة الطوارق، وبسبب هذه الأخطار تخلي جيمس ريتشاردسن عن متابعة رحلته إلى السودان[4] ، وتحدث عن إقامته في غدامس، فذكر: "إن

---

(1) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص210.

(2) أحمد رجب فرج، آراء الرحالة الأوروبيين في الحركة السنوسية، 1852-1930م، بحث منشور، طبرق، كلية الآداب، ص ص5-6.

(3) فضل شعيب، مرجع سابق، ص128.

(4) جيمس ريتشاردسن، مرجع سابق، ص ص26، 47.، ميلاد الزليتني، الصعوبات التي واجهت الرحالة العرب والأجانب عند عبورهم الأراضي الليبية (1798-1923م)، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراتة، العدد الثالث، 2015م، ص469.

السكان يتحدثون معي عن بعض الأمور الدينية، وعن رأيي في الدين وفي الرسول، وكان جوابي بأنه نبي العرب، وأن عيسى نبي جمع المسيحيين، ثم أعادوا الكرة بالسؤال إذا كان لدي أية ذخيرة؟ وكان ردي بأني ولي إنجليزي لا أحمل سلاحاً إلا الدواء"[1] ، هذا كان أسلوب المنصرين في كل مكان يقيمون فيه، وهو العلاج وتوزيع الدواء بين الفقراء المحتاجين لكسب ثقتهم.

ويتحدث جيمس عن مقابلته لشاب من غدامس يجيد كتابة الخط العربي: "طلبت منه الحضور إلى منزلي لأطلعه على كتاب الإنجيل باللغة العربية، إلا أنه ذعر للمفاجأة، ورد يقول: يحفظنا الله، فلا يمكن أن أدخل منزل كافر"، وذكر: "إن غدامس كانت خالية من اليهود؛ لأن الغدامسيين يمنعون إقامتهم في مدينتهم، لشدة تعصبهم، وعدم قبولهم، وهي تفوق تعصبهم بقبول المسيحيين والكفار، الذين يعتبرون تدنيسهم للمدينة أخف حدةً من اليهود"، وأضاف: "إن جميع المسلمين يملكون الانطباع بتطلع المسيحيين للاستيلاء والسيطرة على أراضيهم، وبأن وجودي في غدامس يعتبر من قبل البعض تهديداً للإطاحة بقوة الإسلام في المدينة، ويعتقدون أني دنست مدينتهم أثناء مروري بالأزقة المظلمة التي تحولت في أوقات معينة كأماكن للصلاة"[2] .

ويُعد الرحالة جيمس هاملتون من أوائل الرحالة الأوروبيين الذين وجهوا انتقاداً للحركة السنوسية أثناء زيارته لبرقة عام 1852م، حيث اشتكى من وجود من مجموعة أطلق عليهم اسم الدراويش، وقال: "إنهم ينتمون إلى طريقة أسسها ناسك يدعى الشيخ السنوسي، وشيخهم رجل متعصب من الدرجة الأولى، فهو لا يريد أن يدنس عينة بالنظر إلى المسيحين، وأشاع بين خدمي عند وصولي برقة أن العمل معي يعتبر إهانة"، وانتقد جيمس القبائل في برقة التي لم تهدأ نزعاتها العدوانية ضد كل من يدخل الولاية، وذلك نتيجة لقربها من مالطا والخوف من القوة الإنجليزية[3] .

---

[1] ميلاد الزليتني، مرجع سابق، ص93.

[2] جيمس ريتشاردسن، مرجع سابق، ص ص100، 117، 190، 193.

[3] جيمس هاملتون، مصدر سابق، ص96.

ويذكر جيمس ويلارد إن تعصب المسلمين يجعل من الصعب التغلغل من موانى طرابلس وتونس والجزائر إلى الدواخل (إفريقيا جنوب الصحراء)[1] .

غير أنه كان من أشد الرحالة تطرفاً الرحالة هنري دوفيري، الذي زار فزان 1861م، ووصف السنوسية بالتعصب، وبأن لها أفكارها المتطرفة[2] ، وألصق تهمة اغتيال بعض الرحالة إلى السنوسية، ومن بينهم إدورد وفوجل في واداي عام 1856م، وفون بورمان في 1873م في كانم، وذكر أيضاً إن السنوسية كانوا يمنعون المسيحية قاطبةً من زيارة جهات برمتها في طرابلس، وكانوا يطلبون من فقراء السنوسية أن يعملوا كجواسيس لها[3] ، وبأن السنوسية تقوم بدعم القوى الجزائرية بقيادة الشيخ محمد عبد الله ضد الفرنسيين، وكان هناك ارتباط في الطرق الإسلامية بين البلدين، ويؤكد لم تكن الدعوة السنوسية دعوة منغلقة على نفسها، بل هي دعوة منظمة شملت العالم الإسلامي بأسره، ولم تنته الدعوة بوفاة مؤسسها 1859م، فقد خلفه ابنه، وواصل عمله، ويحذر هنري من هذه الحركة واتباعها، بقوله: "دعونا لا ننسى حقيقة كل عضو من جماعة الأخوة السنوسية، فهو ليس مقاتلاً، بل مبشراً بدون ترخيص وإشارة من زعيمهم، ويؤكد هنري على ضرورة توخي الحذر من الزوايا السنوسية التي تعد مراكز للتدريس، وأن الجغبوب وحدها ترسانة من الأسلحة، وتضم 3000 مقاتلاً"[4] .

كما يذكر الرحالة الألماني جوستان نختجال ـ الذي زار العديد من المدن والمناطق الصحراوية كطرابلس، وبن وليد وسبها ومرزق عام 1869م ـ امتعاضه الشديد من تمكن السنوسية في فزان فيقول: "أثناء وجودي في مرزق عاصمة فزان قد حذرنا من العناد، والتهور؛ لأن هؤلاء

---

(1) جيمس ويلارد، الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1967م، ص198.

(2) أحمد رجب، مرجع سابق، ص10.

(3) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص114.

(4) أحمد رجب، مرجع سابق، ص ص10-11.

المتعصبين (ويعني السنوسية) قد طوقوا قدراً عظيماً من إفريقيا، وأدخلوها مذهبهم، واختاروا فزان لتكون نقطة انطلاق إلى السودان، وأن السنوسية جماعة تبشيرية إسلامية، ولكنهم لم يمارسون تعصبهم، كما تفعل الجماعات الأرثوذكسية، بل يعملون على نشر العقيدة الإسلامية، وبذلك سيطرت السنوسية على الحياة الدينية للفزانيين[1] .

زار الرحالة جيرالد رولفس الولاية برفقة كسيلاغ فون ليوبولد Csillagh Von Leopold الذي بلغ أوجلة 1878م، ولاحظ عداءً واضحاً من قبل السنوسيين الذين كانوا يسيطرون عليها، وقد تعرض لمحاولة اغتيال خرج منها سالماً وأجبر على العودة إلى بنغازي للحصول على عون السلطات العثمانية[2] .

وكُلِّف الرحالة فريدريك غيرهارد رولفس برحلة إلى سواحل شمال إفريقيا وبلاد السودان؛ لرصد تجارة الرقيق، ولم يقتصر دوره على ذلك، بل كان يدعو القوى الأوروبية، سواء إنجليزية أو ألمانية لتأسيس وكالة دائمة لها في فزان وغدامس، بحيث تعمل في ظلها إحدى المؤسسات التبشيرية التي تعمل على شراء العبيد الأرقاء، وتقوم بتعليمهم وتربيتهم بحيث يمكن تأسيس مجموعة سكانية مسيحيه فيها، وتحدث غيرهارد عن وجود علاقة وطيدة بينه وبين الأب بريفكت، وهو بطرياركِ[*] يقوم على رأس الكنيسة الكاثوليكية في طرابلس[3] ، وتحدث رولفس عن مخططه من أجل القيام برحلة من طرابلس عبر غدامس حتى يصل إلى هضبة الهقار ويتوغل إلى النيجر، بقوله: "لقد قمت برحلتي الأولى والثانية على أساس أنني مسلم، ولبست الزي الإسلامي التقليدي

---

(1) جوستاف نختجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة: عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007م، ص ص175-177.

(2) اتيلو موري، مرجع سابق، ص89.، امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص172.

(*) بطرياركِ تعني: كراسي المسيحية الخمسة الكبرى، وهي روما، القسطنطينية، الإسكندرية، أورشليم، إنطاكية، والآن تطلق على كبير الأساقفة بالكنيسة. بولس وهبة، موسوعة الأديان الميسرة، مصدر سابق، ص138.

(3) فريدريك غيرهارد رولفس، مصدر سابق، ص ص69، 87، 149.

أثناء وجودي في غدامس، حتى أحافظ على سلامتي من السكان في كل من طرابلس وغدامس"، وأضاف أن أهالي مزدة: "يتبعون الطريقة السنوسية التي تأسست مجدداً، والتي عرفت بتشددها وكرهها للنصارى"، وذكر كيف استفادت السنوسية من ذكاء ومكانة المرأة لدى التبو في نشر الإسلام، فقال: "تعلمن القراءة والكتابة، ويذهبن إلى المدرسة أكثر من الصبيان"[1] .

ويذكر ليون برنيفكر: "تلقينا الكثير من الشتائم ونحن نتجول في شوارع غدامس، وبعض الناس يكنون لنا العداء بشكل واضح، وبشكل عام الناس غير مكترثين بوجودنا، وينظرون إلينا بعين اللامبالاة، فقد كان من الصعب دخول غدامس، لدرجة أنه لم يدخلها أي أجنبي بشكل علني منذ أربعين عاماً، وذلك بسبب أحداث القتل التي جرت ضد الرحالة الأجانب، وخاصةً أن السلطات العثمانية لم تكلف عناء البحث عن القتلة"[2] .

مهد مقتل فلاتر ورفاقه إلى سلسلة من الاغتيالات قام بها الطوارق ضد الأوروبيين في الصحراء، وكان منهم الرهبان الثلاثة "ريتشارد موراء، وبوبوا"[3] ، وكان الغدامسيون يحرضون الطوارق على الفرنسين، وكان هناك تلاحم بين قائمقام غدامس وغات وسكان البلدين والهقار، ويظهر ذلك واضحاً من خلال رسائل الهوغاري (ايتغيل) إلى قائمقام غدامس (إختونت) في 1881م جاء فيها: أوصيتونا بحماية الطرق من العدو، ونعلمكم بوجود حوالي 1500 جندي مسيحي مسلح عابرين بلادنا نحو السودان، ولقد جاءوا إلى الهوغار، ولكن المواطنين قاموا بحرب جهاد ضدهم وقتلوهم، ويجب توصيل خبر هذه البطولة إلى اسطنبول لكي يعلموا أن الطوارق قاموا بجهاد نموذجي ضد المسيحيين، وهم من قتلوا (المشرفلاتيري) بقصد الجهاد[4] .

---

(1) فريدريك غيرهارد رولفس، مصدر سابق، ص ص138، 166، 370.

(2) ليون برفيكبير، مرجع سابق، ص170.

(3) يحيى بو عزيزة، مرجع سابق، ص366.

(4) عبد الرحمن التشايجي، مرجع سابق، ص ص94-95.، مصطفى نصر المسلاتي، مرجع سابق، ص ص90-91.

وأشار الرحالة كراوزة إلى نفوذ الحركة السنوسية، وكراهية اتباعها للرحالة الأوروبيين في مدينة غات بقوله: "إنهم متعصبون، وهم يسببون مصاعب لكل رحالة نصراني، فينبغي اتقاء شرهم"[1] .

كما يقدم مدير الاستخبارات البريطانية في الجيش المصري المقدم كاونت Count 1902م ملاحظة عن السنوسية "بأنها تنظيم ديني قوي، يسيطر على مساحات واسعة من المنطقة، ويمتلك إمكانيات بشرية ومادية كبيرة، المئات من الزوايا السنوسية المنتشرة على طول الطرق الهامة، وهي تحت إمرة زعيم السنوسية المهدي"[2] .

يظهر من خلال آراء هؤلاء الرحالة الموقف الواضح للحركة السنوسية من كل ما هو نصراني داخل الولاية، أو أثناء عبور النصارى بها؛ لمعرفتها الخطر الذي يشكله هؤلاء على الولاية وسكانها، أو سكان جنوب الصحراء، وكانوا يهدفون من آرائهم هذه إظهار الخطر الذي قالوا إنه يهدد النفوذ الأوروبي في الولاية، وفي أواسط أفريقيا، وأن منشئوه السنوسية، وأنها أكبر وأنشط الوسائل التي تستطيع عن طريقها دعاة الجماعة الإسلامية وأنصارها تحقيق أهدافها في هذه المناطق، وقالوا إن السنوسية تحرِّم على اتباعها الاتصال بالثقافة الغربية، وتغلق بلادها ضد الحضارة الأوروبية، وتعتبر قبول هذه الحضارة، والأخذ عنها بدعة من الواجب عليهم محاربتها[3] .

كل هذه الادعاءات أتى بها أعداء السنوسية، حتى يؤلّبوا ضدهم الرأي العام الغربي، وحتى يجدوا مسوغاً لأعمال الإرساليات التبشيرية في الولاية، وأثناء عبورهم من الولاية إلى وسط الصحراء، وجنوبها، وللرد على هذه الأقاويل يقول السيد المهدي السنوسي: "لا تحقر أحداً لا مسلماً ولا نصرانياً، ولا يهودياً، ولا كافراً لعله يكون في نفسه عند الله أفضل منك، إذ أنت لا تدري ماذا

---

(1) أحمد رجب، مرجع سابق، ص6.

(2) فليح حسن علي-ياسين شهاب شكري، الحركة السنوسية في إفريقيا في ضوء تقرير سري بريطاني صادر عام1908م، مجلة جامعة الكوفة، كلية الآداب، العدد الثاني، 2016م، ص198.

(3) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص114.

تكون خاتمته"، ولم يكن الشيخ متعصباً أو بادئاً بالحرب ضد الدول الأوروبية وجيرانها، ولم يشأ أن يصبح آلة في أيديهم، وكان يهدف إلى الدفاع عن الأقوام الذين انتشرت بينهم الزوايا السنوسية ودخلوا الإسلام ضد اعتداءات هذه الدول[1] .

بذل رجال الطرق الصوفية في الولاية جهودهم في التصدي للرحالة الأوروبيين بسبب ارتباطهم بحركة التبشير المسيحي، وبالنوايا الاستعمارية لبلدانهم، وأصبحوا محط نقمة السكان المحليين المحصنين دينياً أينما ذهبوا، ولم تنطل حيلهم بإظهارهم الإسلام أو حملهم فرمان عثماني يتضمن شرعية أعمالهم في الدواخل، فقتل بعضهم، ومات آخرون في الصحراء[2] .

وبسبب نظرة الشك والريبة من قبل سكان الولاية لكل من يأتي إلى الولاية من الأوروبيين قدَّم أهالي مصراته عريضة جاء فيها: "عبيدكم الضعفاء أهالي مصراته المستظلون تحت جناح الدولة العلية ... يعربون عن قلقهم من النشاط الذي يقوم به أحد الإيطاليين المقيم بمصراته منذ زمن طويل، ويدعي إدوارد يجيد اللغة العربية، ويرتدي الملابس الليبية، والذي أبدى بأنه ورد عليه تلغراف من قنصل دولته يتضمن أنه سيصير قنصلاً بمصراته، ومن أجل ذلك صار يجلب ضعفاء المسلمين، ويطلب منهم أن يكونوا تحت حمايته ... أنه من حصل منه ذلك يكون معززاً ومهاباً دون غيره ... وهذا شيء يضر بالمسلمين ... ونطلب من سعادتكم الكف عن هذا الأمر لحضرة من له الأمر"[3] ، ولا شك أن في هذا دلالة على وعي السكان بكل المحاولات الأوروبية التي كان يقوم بها الأوروبيون داخل الولاية لجذب سكانها والسيطرة عليهم.

---

(1) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص ص115-117.

(2) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص ص176-177.، فليح حسن علي، مرجع سابق، ص190.

(3) وثيقة رقم62: عريضة من بعض آهالي مصراته إلى الوالي، بتاريخ 29 شعبان 1308هـ/1892م. أحمد صدقي الدجاني، وثائق تاريخ ليبيا الحديث، ص102.

المبحث الثالث

النهوض بأمر الدعوة والجهاد

لم يتصد لجهود الأوروبيين لنشر المسيحية في شمال أفريقيا إلا القليل، فقد كانت الدولة العثمانية منشغلة بتدبير أمور ولاياتها في الشمال الإفريقي التي ضاعت الواحدة تلو الأخرى، ولم يبق إلا طرابلس وبرقة في شمال إفريقيا، وتحاول جاهدة النهوض لمقاومة الهجمة الأوروبية عليها[1] .

كانت الحركة السنوسية في مقدمة القوى المحلية التي اضطلعت بمقاومة التدخل ومخططات الهيمنة الأجنبية، مما جعل الأجانب يبادلون الحركة ورجالها عداءً بعداء[2] ، تمركزت الحركة السنوسية في برقة، مما جعل من الاستحالة على الوكالة اليهودية تنفيذ مخططاتها هناك، وكذلك تطلعت فرنسا إلى برقة انطلاقاً من قواعدها في حوض بحيرة تشاد[3] .

يستحق موقف السنوسية من فرنسا أن نتوقف عنده، إذ من المعروف أن الشك المتبادل بينهما كان قديماً، فالمراكز القنصلية الفرنسية في ولاية طرابلس الغرب تتربص بأي خبر وتندد بمؤامرات الطريقة السنوسية، ويقولون إن السنوسيين يستغلون بكل حرية اللاجئين الجزائريين وكل من له مشاكل مع السلطات الفرنسية، فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي سيطرت السنوسية على طريق برقة واداي شرق تشاد، وقاموا ببناء إمبراطورية جديدة يُحسب حسابها في القارة الإفريقية، وسببت مصاعب لفرنسا في تشاد[4] .

وضع مسؤولو السنوسية مراقبة تحركات الفرنسيين أولوية ملحة على جداول أعمالهم، وحماية مواقعهم من تقدم الفرنسيين، فقد لاحظ السنوسيون وراقبوا منذ وقت طويل الحراك الفرنسي في الجزائر، وفي الصحراء، فقد حاولت فرنسا بين عامي 1867-1882م عن طريق المبشرين الدخول إلى كل من السودان، والنيجر ووسط إفريقيا، وكان يتزعم هذه الفئة من المبشرين (لافاجيري

---

(1) عبد السميع بريدان، مرجع سابق، ص92.

(2) ايفانز برتشارد، مرجع سابق، ص ص174-178.

(3) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص215.

(4) جان لوي تريو، السنوسية في مواجهة فرنسا حرب فرنسية ليبية منسية تشاد 1900-1902م، ترجمة: محمد جهيمة، دار الفرجاني، ط1، 2013م، ص ص15، 73.

Lavegerei) الذي نادى بفكرة التغلغل الفرنسي من طريق الشمال إلى الجنوب على يد المبشرين الفرنسيين الذين حاولوا تحقيق هذا الهدف عن طريق استقطاب سكان كل من مدينتي غدامس وغات، الذين كانوا يزاولون التجارة عبر الصحراء الإفريقية إلى الأقاليم السودانية في جنوب الصحراء، ولكن جهودهم في تلك الفترة باءت بالفشل، حيث قُتل هؤلاء المبشرين على يد الطوارق، كما حاولت فرنسا العمل على ترسيخ أقدامها سلمياً في المناطق الداخلية التابعة للجزائر وطرابلس الغرب، باستمالة القبائل المتواجدة في هذه الأقاليم التي تسيطر على طريق القوافل[1] .

انتقل السيد المهدي السنوسي عام 1895م من الجغبوب إلى الكفرة، ثم في عام 1899م انتقل من الكفرة إلى قرو وجنوب تبستي[2] ، وبدأ يهيئ لمواجهة الخطر الفرنسي المرتقب[3] ، فقد شعر المهدي بخطر الفرنسيين بعد سيطرتهم على الجزء الشمالي لبحيرة تشاد، وظهورهم في باجرمي جنوب واداي[4] .

وفي رسالة بتاريخ 25 ربيع الثاني 1315هـ- 23 يوليو 1900م من السيد المهدي يشرح فيها للساعدي البراني موقفه: "لا تغتروا من الجيران، أعني جيران السوء، لا تصدقوهم إن أظهروا نياتهم في السلام، فلتأخذوا حذركم منهم، ومن هجومهم بغتة، فلهم في الخيانة سوابق ...، ولا تتركوا السؤال عن عدد البيض منهم والسود، ويكون ذلك منكم بلطف من غير أن يُعرف ذلك منكم"[5] .

كان تحول السنوسية الفعلي إلى العمل العسكري نتيجة ظروف وجود الاستعمار، فقد وصل السنوسيون والفرنسيون إلى بحيرة تشاد في وقتٍ واحد، وكانت زاوية بير علالي قد أنشئت للتوّ عام1899م[6] ، وقبل أن تبدأ المواجهة المسلحة قام الفرنسيون بحرب دعائية لكسب الرأي العام الأوروبي، فأشاعوا عن السنوسية أنهم يعادون النصرانية كدين[7] .

---

(1) عطية مخزوم، التغلغل الفرنسي في شمال إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد2، 1995م، ص ص95-96.

(2) مفتاح السيد الشريف، مرجع سابق، ص279.، علي محمد الصلابي، سيرة الزعيم محمد المهدي السنوسي، دار الروضة للطباعة والتوزيع، ط1، 2017م، ص ص61-62.

(3) محمد الطيب الأشهب، المهدي السنوسي، طرابلس، مطبعة بيلنوماجي، ط1، (د.ت)، ص82.، عبد الله الطوير، مرجع سابق، ص ص44-45.

(4) فليح حسن علي، مرجع سابق، ص198.

(5) جان لوي تريو، مرجع سابق، ص73.

(6) مفتاح الشريف، مرجع سابق، ص ص18-19.

(7) محمد الطيب الأشهب، المهدي السنوسي، ص82.

قامت السلطات العثمانية بجهودها للنهوض ومقاومة الهجمة الأوروبية، والوقوف أمام المبشرين الأوروبيين، فأرسلوا الصادق مؤيد العظم لتنبيه السيد المهدي، وإسناد مهمة التصدي للجهود التبشيرية المسيحية إليه؛ لكونه أفضل من يقوم بهذه المهمة، وبالفعل كانت الحركة السنوسية وشيوخها في مقدمة من تصدى، ولا شك أن هذا كان اعتراف ـ من العثمانيين أنفسهم ـ بعجزهم عن التصدي للمبشرين المسيحيين في شمال ووسط إفريقيا[1] .

وكان الشيخ السيد المهدي السنوسي أول من واجه الفرنسيين، رغم الفرق بينهم في العدة الحربية، وكان السيد أحمد الشريف السنوسي من أكثر المتحمسين لقتالهم، ولا سيما بعد تقدمهم صوب (كانم) في حملة مزودة بالأسلحة عام1902م، ووضعوا حامية في بئر علالي، وكان أبرز مجاهدي السنوسية: الساعدي البراني[2] ، وعمر المختار، وعبد الله الطوير، ومحمد السني، وقبائل أولاد سليمان[3] ، فاستطاعوا ردها أكثر من مرة، ولكن على الرغم من الشجاعة التي أبداها المجاهدون وقائدهم سقطت بئر علالي سنة 1902م في أيدي الفرنسيين، الذين هدموا زاويتها وبنوا مكانها قلعة حصينة[4] ، وكان هذا أول نزاع مسلح تخوضه السنوسية، وهي ممتشقة السلاح ضد قوة أوروبية، الفارق بينهم أن الإسلام في قلوب المجاهدين وتعليمهم الديني أبى عليهم أن يأتيهم غازي ثم لا يواجهونه[5] .

واصل السيد أحمد الشريف جهاده في (قرو) بعد وفاة عمه المهدي السنوسي، وأصبح يشحذ الهمم لمواصلة القتال ضد الفرنسيين، وفي عام 1903م بدأ يحرك سلطنة واداي، وخاصة

---

(1) عبد السميع بريدان، مرجع سابق، ص92 (بتصرف).

(2) محمد الطيب الأشهب، المهدي السنوسي، ص52.

(3) مفتاح السيد الشريف، مرجع سابق، ص280.

(4) جان لوي تريو، مرجع سابق، ص ص75-76.، مفتاح الشريف، مرجع سابق، ص282.، عبد السميع ابريدان، مرجع سابق، ص140.، محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص151.، عبد الله الطوير، مرجع سابق، ص41.

(5) مفتاح الشريف، مرجع سابق، ص282.

في عهد (داوود مرة)، فأقنعه بالجهاد ضد الفرنسيين، وبأنه واجب ديني، وفي عام 1904م ثار (داوود) على الفرنسيين ومد له أحمد الشريف يد المساعدة في الحرب ضدهم، وأرسل قوة من الكفرة كان ضمن قوادها عمر المختار الذي استدعى من زاوية القصور في الجبل الأخضر، وبعد عشرين شهراً من القتال، وهزم فيها الفرنسيين واستتب الأمن، رجع عمر المختار إلى زاويته في الجبل الأخضر، غير أنه في عام 1906م تمكن الفرنسيين من احتلال واداي[1] ، استمرت المواجهة بين السنوسيين والفرنسيين أحد عشرة سنة (1901-1911م)[2] ، في حرب عرفت بحرب الأنصار[3].

بدأت المحاولات الإيطالية للاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب بمنع كل نشاط تجاري إلا النشاط الإيطالي، وعارضت كل نشاط تبشيري إلا نشاط البعثات الإيطالية التي حاولت تغيير دين مواطني طرابلس[4] ، ويذكر الحاكم العام للبعثة الفرنشيسكانية (بونا فيتورا روسيتي) في ولاية طرابلس الغرب أن المبشرين الفرنشيسكان كانوا يشجعون الإيطاليين على الهجرة للاستيطان؛ وزيادة الوجود الكاثوليكي في طرابلس، وكذلك شجب واستنكر قادة البعثة نفوذ السنوسية في تشجيعهم للثقافة الاقصائية، التي هددت بمنع التوسع المشترك (الإيطالي والبعثة الكاثوليكية)، وامتداده، وذكر (روسيتي) معارضة الموظفين العثمانيين لتقديم الدعم والعون لأعضاء البعثة الكاثوليكية، وهذه المعارضة التي يمكن أن يطلق عليها: (التعصب العربي التركي)، تفاقمت بوجود النفوذ السنوسي الذي مثّل حاجزاً ضد الوجود الإيطالي، وأعلن "روسيتي" منظوره بأنه: موقف شعبي معارض بين النظام الصوفي وتوسع الوجود الأوروبي[5] .

---

(1) محمد الأشهب، محمد المهدي، ص82.، عبد الله أحمد الطوير، مرجع سابق، ص ص113، 118.

(2) أحمد الشريف، مصدر سابق، ص ص41-45.، جان لوي تريو، مرجع سابق، ص75.

(3) عبد السميع بريدان، مرجع سابق، ص140.

(4) فرانشيسكو ماكولا، الغزاة، تعريب: عبد الحميد شقلوف، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 1979م، ص45.

(5) Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 94-95.

أما "كايتاني"[*] أحد أعضاء البرلمان الإيطالي فقد ألقى كلمة محذراً فيها من مغبة الإقدام على عمل عسكري في برقة؛ لأنهم سيواجهون مقاومة صلبة تقودها الحركة السنوسية صاحبة النفوذ في دواخل برقة[1] ، فمما لا شيك فيه أن السنوسيين تركوا في الأقطار التي قامت بها دعوتهم أثراً واضحاً[2] ، فقد سادت الدعوة السنوسية بسلطانها الروحي في كل من برقة وطرابلس والأقاليم البعيدة في قلب الصحراء وقلب القارة السمراء، مستندة إلى العمل بما أنزل الله، واتباع الرسول ﷺ، وقامت بشحذ الهمم، وكسب العيش، وتعليم الدفاع عن النفس، مما جعل هذه الحركة معضلة كبرى في وجه الحملات التبشيرية النصرانية، ونظر الكل إليها على أنها خصم عنيد[3] .

وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كانت صاحبة الأمر في طرابلس الغرب، إلا أنها اعتمدت الاعتماد كله على جهود السنوسية في مكافحة الاستعمار الأجنبي الذي بدأ يتغلل في شمال ووسط إفريقيا، حتى أنه في عام1911م حملت السنوسية راية الجهاد المقدس ضد العدو الغاصب الإيطالي نيفاً وثلاثين عاماً[4] ، فالحركة السنوسية ورجالها من أهالي الأقاليم الثلاثة: طرابلس، وفزان، وبرقة كانوا ضد تهاون الدولة العثمانية إزاء المخططات الأجنبية؛ بمنح الرعوية لمن يطلبها من رعايا الدولة العثمانية، والسماح بمنح الامتيازات، مثل: فتح فرع مصرف روما في مدن إقليمي طرابلس وبرقة، وكما وقف السنوسيون بحزم أمام نشاط الإرساليات التبشيرية، فقد قاموا بدفع الأهالي إلى التعليم كوسيلة لمقاومة التغلغل الأجنبي[5] ، وزودت رجال القبائل بالحماس الديني والشعور بالوحدة، وكان هجوم إيطاليا على الولاية هو التحدي الذي أثار رجال القبائل؛

---

[*] كايتاني: مستشرق إيطالي اعتنى بدراسة التاريخ الإسلامي. Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 105.، فضل شعيب، مرجع سابق، ص146.

[1] فضل شعيب، مرجع سابق، ص146.

[2] محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص14.

[3] فضل شعيب، مرجع سابق، ص87.

[4] محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص19.

[5] امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص ص215-216.

فالتفوا حول السيد أحمد الشريف، وشنوا حرباً شعواء، إذ اعتبروا الأمر اعتداء على ديار الإسلام، وكما زودت الليبيين بالحافز الذي دفعهم لصد العدوان الإيطالي[1] ، واجتمع أعيان برقة من مشايخ الزوايا، وقرروا الوقوف مع الدولة العثمانية؛ حتى لا ينشق الصف في مواجهة أي اعتداء، واتحاد كل القوى والزوايا السنوسية[2] .

نتيجة لذلك فإنه عندما وقع الغزو الإيطالي على الولاية 1911/9/29م، انتقل السيد أحمد الشريف من محاربة الفرنسيين في الجنوب إلى حرب الطليان في الشمال، واندفع أبناء البلاد ولبوا نداءه[3] ، فخرجت بنغازي وطبرق ودرنة متصديه مع الحامية التركية بقيادة أنور باشا لهذا الهجوم، وساندهم الأهالي وشيوخ الزوايا، وكانت الأوامر ترد من السيد أحمد الشريف إلى الأدوار المرابطة في وجه الطليان أثناء وجوده في زاوية التاج (مركز السادة السنوسيين)[4] ، فكان ذلك دليل قاطع ـ أتى به السيد أحمد ـ على أن فئة من المسلمين في قطر لا يتجاوز عدد أهله عدة مئات من الألوف يمكنها بقوة الإرادة وامتلاء القلوب بالإيمان ووقف النفوس على عزائم الإسلام أن تثبت إزاء دولة مجهزة بفيالق البر وأساطيل البحر[5] ، وكأن لسان الحال يقول: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ البقرة(249).

من هنا يمكن التقرير بأن الرابطة الدينية بين الليبيين والإمبراطورية العثمانية هي التي دفعت بالليبيين للقتال إلى جانب القوات العثمانية أثناء الحرب الإيطالية 1911م، مفضلين أن يظلوا رعايا تحت حاكم مسلم، على أن يصبحوا مواطنين أوروبيين تحت حكم مسيحي، وأنهم لم يقاتلوا دفاعاً عن السيادة العثمانية في الولاية، بل عن الإسلام ضد المسيحيين والمسيحية، وقد أدرك الإيطاليون خطورة المقاومة التي كانوا مقبلين عليها، ولا سيما من شيوخ القبائل، والسنوسيين الذين وجهوا الضربات ضد الإيطاليين[6] .

---

(1) مجيد خدوري، مرجع سابق، ص19.
(2) فضل شعيب، مرجع سابق، ص195.
(3) نقولا زيادة، مرجع سابق، ص56.
(4) لوثرب ستودارد، مرجع سابق، ج2، ص145.، عبيد الله أحمد الطوير، مرجع سابق، ص29.
(5) لوثرب ستودارد، مرجع سابق، ج2، ص398.
(6) مجيد خدوري، مرجع سابق، ص ص20-22.

اضطر أحمد الشريف إلى الانسحاب التكتيكي لصد الهجوم الإيطالي 1911م، غير أن تركيا سرعان ما خذلته رغم العلاقات السنوسية العثمانية، وقامت في (8 ذي القعدة 1330هـ/ 18أكتوبر 1912) بتوقيع معاهدة أوشي لوزان التي تم بموجبها تسليم ليبيا إلى إيطاليا، فاعترافاً منها بالأمر الواقع وضعت طرابلس الغرب وبرقة تحت السيادة الإيطالية المطلقة، معلنة بذلك تخليها عن الأراضي الليبية[1] .

إجمال ما سبق: فإن البعثات التبشيرية لم تؤدَّ الهدف المنشود لنشر المسيحية والثقافة الغربية[2] ، ويرجع ذلك إلى وعي الأهالي في ولاية طرابلس الغرب لأهمية الدين والتعليم الذي تلقوه في المؤسسات الإسلامية والزوايا السنوسية، والذي قام بالدور الفاعل في المحافظة على الدين، والدفاع عن الوطن، كما مثل وعي الدولة العثمانية بمحاولات التوغل باسم الدين والحضارة ومن ورائها الوسط الإسلامي ورجال الطرق الصوفية ولا سيما السنوسية، أحد العراقيل التي أضعفت دور البعثات التبشيرية، وعندما فطنت الدول الغربية إلى أهمية الدور الذي تلعبه بعثات التبشير في تحقيق أهدافها، وضرورة دعمها، كانت الطرق الصوفية قد نجحت في تحصين الأهالي إلى حد بعيد[3] .. ويظهر ذلك واضحاً في الإيمان بالروح القيادية لزعماء الزوايا، وعميق الولاء المطلق لهم، وقد اتضح ذلك خلال مرحلة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، وتأثير الحركة السنوسية على الحياة في ولاية طرابلس الغرب[4] ، وكان اعتماد الحركة السنوسية على إذكاء الشعور الديني، والتركيز على العقيدة الإسلامية الصحيحة، وغرس مبادئ الأخلاق في النفوس، كما أن ارتكازها على شبكة من الزوايا في ولاية طرابلس الغرب والصحراء ووسط إفريقيا وفرت لها الإدارة السياسية المرتبطة بالزعامة الدينية[5] ، والخطر الذي يمثلونه للقوى الأوروبية في الشمال الإفريقي[6] .

---

(1) شارل فيرو، مرجع سابق، ص531.، Francesca Di Pasquale, op. cit., p. 105.

(2) محمد مصطفى بازامة، بنغازي في العهد العثماني الثاني، ص116.

(3) امساعد الدروقي، مرجع سابق، ص8.

(4) الصالحين الخفيفي، مرجع سابق، ص38.

(5) مجيد خدوري، مرجع سابق، ص166.

(6) عبد السميع ابريدان، مرجع سابق، ص82.

الخاتمة

فالحمد لله ﷻ الذي منَّ عليَّ بإنجازه، وأعانني على تجاوز صعابه، تفضلاً وتكرماً منهﷻ، وإنه لمن حمد الله تعالى وشكره والإشادة بفضله أن أشير في ختام الدراسة إلى أهم ما توصلت إليه من نتائج جديرة بالذكر والبيان، مع التوصية ببعض القضايا التي تقتضيها الحاجة.

أولاً: النتائج:

- سعى الاستعمار الأوروبي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي للسيطرة على الشعوب العربية والإفريقية، وخلق نوع من الاقتران الثقافي الذي يحاول من خلاله فصل الشعوب عن جذورها، وتشويه هويتها، وربطها بالثقافة الغربية؛ لضمان استمرار الوجود الأوروبي.
- يعتقد البعض أن الحروب الصليبية استمرت لقرنين من الزمن 1096-1291م، وأنها انتهت بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، إلا أنها مازالت مستمرة، تتلون وتتشكل ـ حتى يومنا هذا ـ بحرب معلنة حيناً، وبشكل خفي كثير من الأحيان، هادفة للهجوم على ديار المسلمين، وتغيير معتقداتهم.
- نستطيع أن نقرر أن حركة التنصير هي أحد إفرازات الحروب الصليبية، تأسست لتحقيق أهدافها، وفي ظلها، وبجهودها نبتت، من ورائها قوى الاستشراق الضخمة التي تمدها بالمادة الواسعة للتشكيك وإثارة الشبهات في الدين الإسلامي.
- لم تكن ولاية طرابلس الغرب بمنأى عن محاولات التنصير الأوروبي التي اجتاحت الولايات العثمانية كافة خلال القرن التاسع عشر الميلادي.
- ارتبط انتشار الإرساليات التبشيرية النصرانية، وازدياد أعمال المنصرين بالوجود الأجنبي من خلال الامتيازات التي تحصلوا عليها في ظل تسامح الدولة العثمانية ـ الذي تحول فيما بعد إلى ضعف ـ وحرية ممارسة المسيحيين شعائرهم بكل حرية داخل الولاية، وكذلك الاتفاقيات والمعاهدات التي مُنِحَت للأقليات الدينية بإنشاء الكنائس والمرافق الصحية.

- شملت خطط الكنيسة من أجل تنصير سكان الولاية: الدخول عليهم عبر ظروفهم الاجتماعية الناتجة عن الاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، كالفقر والمجاعات والأمراض والأوبئة التي انتشرت فيها على فترات مختلفة، فتدخلت المنظمات الطبية بحجة تقديم يد العون والمساعدات تحت مسميات إنسانية بشكل تختفي وراءه محاولاتها التنصيرية، كل ذلك من أجل تخريج أجيال ترتبط بالحضارة الأوروبية، وتحطيم النشء الإسلامي، أو على الأقل زعزعة اطمئنان المسلم بماضيه وبمثله العليا، فمما لا شك فيه أن هناك مسلمون لا يتنصرون فعلاً، ولكنهم يتأثرون بالنصارى، فيصبحون قاب قوسين أو أدنى من النصرانية.
- لجأت البعثات التبشيرية ـ بمساعدة القناصل ـ إلى استغلال الرقيق، محاولة بهذا البرهنة على نجاح عناصرها في التبشير في بلاد المسلمين وبين المسلمين، واجترأت على غير المسترقين من يتامى الأطفال والمشردين في الولاية عن طريق دعوى الإنسانية وإيوائهم مع تلقينهم مبادئ المسيحية وتعميدهم كمسيحيين.
- استخدم التنصير طريقاً الغزو الفكري بديلاً عن العمل العسكري، فاتخذ طريق المدارس والتعليم محاولة لسلب الشخصية الإسلامية من المسلمين، وذلك بالسيطرة على المؤسسات التعليمية والثقافية؛ لتخريج أجيال ترتبط بالحضارة الأوروبية، كما أن هذه المحاولات التنصيرية هدفت إلى التركيز على الأجيال الجديدة؛ ليكون الولاء للفكر الغربي في المستقبل.
- استغل القناصل والقنصليات الأوروبية فترات الاضطراب والفوضى والصراع على السلطة، وعدم الاستقرار داخل الولاية للتدخل في شؤونها الداخلية والخارجية والمساهمة في إضعافها، وتسهيل أعمال الرحالة والمنصرين؛ لتحقيق الهدف نفسه.

- رغم كل النشاطات والإغراءات التي كانت تقدمها الإرساليات التبشيرية، لم تتمكن من تنصير أبناء الولاية، فظلوا محافظين على دينهم وهويتهم العربية الإسلامية، دون تعصب أو معاداة لأصحاب الديانات الأخرى، ساعدهم على ذلك المؤسسات الدينية، من كتاتيب ومساجد وزوايا ورباطات، شكلت منارات علمية، انطلق منها شعاع الثقافة الإسلامية، فكان له التأثير الواضح على سكان الولاية، حيث وقفت هذه المؤسسات سداً منيعاً ضد كل محاولات التنصير.
- أثمرت جهود الحركة السنوسية إحياء الدين في نفوس السكان، وشحذ الهمم، وكسب العيش، وتعلم الدفاع عن النفس والوطن، فكانت هذه الحركة معضلة كبرى في وجه الحملات التبشيرية.
- أدرك الطليان أن سر صمود أبناء ولاية طرابلس الغرب ضدهم هو تمكن العقيدة في نفوسهم، وأن الدين هو الوعاء الذي حفظ المجتمع، والسلاح الذي جوبهوا به، لذلك استهدفت حربهم أول ما استهدفت رجال الدين؛ لأنهم قادة الجهاد.
- لم تكن الزوايا والمساجد التي يعمرها السنوسية صغيرة الحجم دائماً، فقد كان هناك زوايا كبيرة، مثل مسجد الجغبوب وزاويته، كان يتسع ـ في زمانه ـ لـ600 مصلي.
- نتج عن محاولات التنصير داخل ولاية طرابلس الغرب تغير في سياسة الولاة تجاه سكان الولاية، وخير مثال على ذلك استجابة الوالي العثماني لنداء الأهالي بشأن إقامة إصلاحيات للأطفال المشردين.
- أضفت الدولة العثمانية ـ في عهد السلطان عبد الحميد ـ على الولايات العربية التابعة لها بما فيها ولاية طرابلس الغرب صفة الدولة الإسلامية الداعية لإحياء تعاليم الدين وقواعده وشرائعه.

ثانياً: التوصيات:

- إن ما يشير التاريخ إليه بأصابع الاتهام يجب أن يُدْرَس ويُفَنَّد، فالتاريخ هو جذور الحاضر.
- إن إحياء التراث مهمة واجبة على كل جيل من الأجيال، من أجل إكمال تجربة أسلافهم والحفاظ على استمرارها وبقائها، وتحقيق دورهم في حماية مستقبلهم، وجعله مستقبلاً زاهراً في الدين والعلم والأدب والفن.

وأسأل الله التوفيق

فإن وفقت فذلك فضل منه، وإن كانت الأخرى
فحسبي أني اجتهدت، وسلكت الطريق، وما توفيقي إلا بالله تعالى
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الملاحق

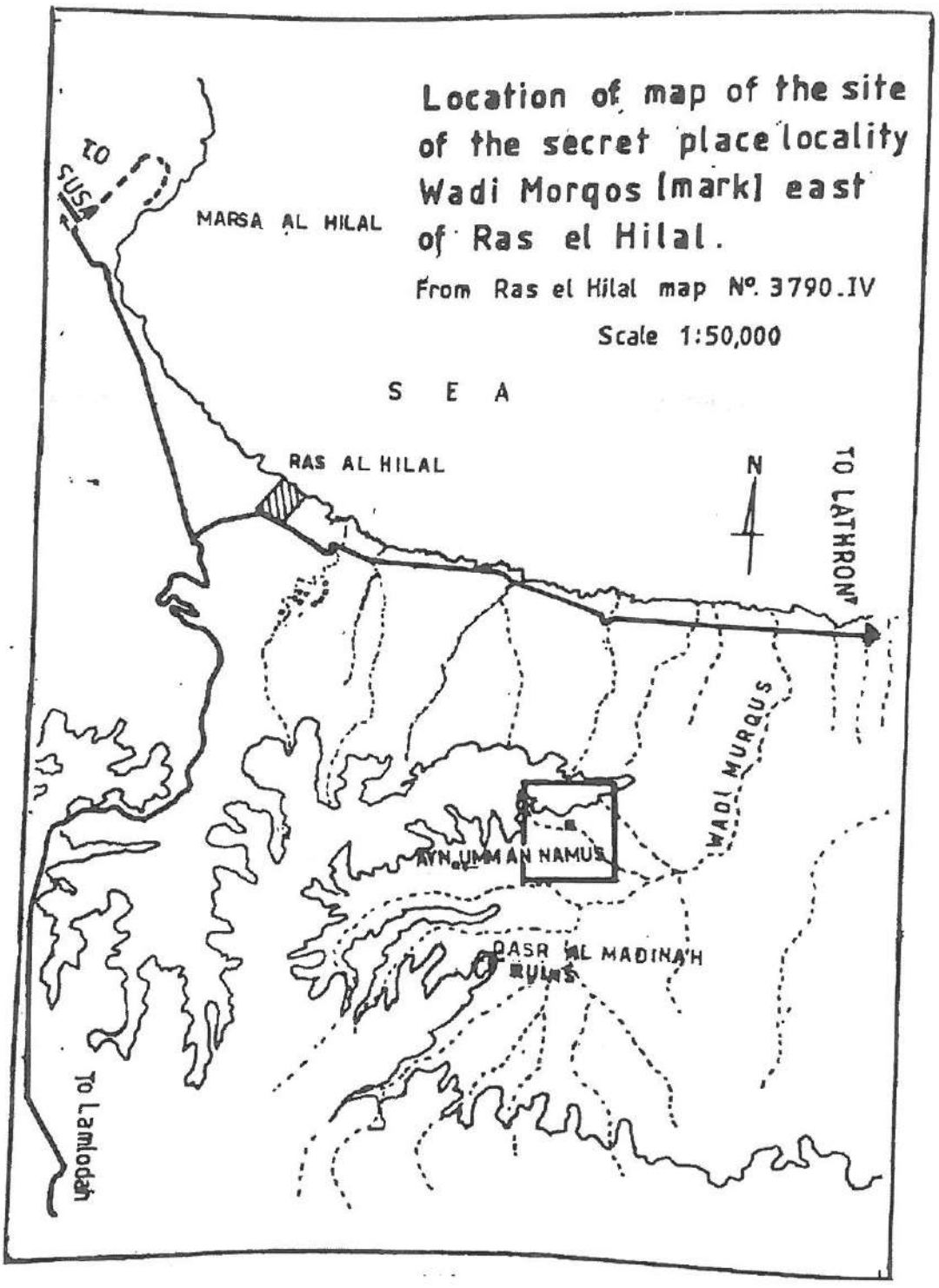

اوشاز الاسلاف (دراسة موجزة عن الكهوف المعلقة بالجبل الاخضر، داود حلاق – الطبعة الاولى 1989

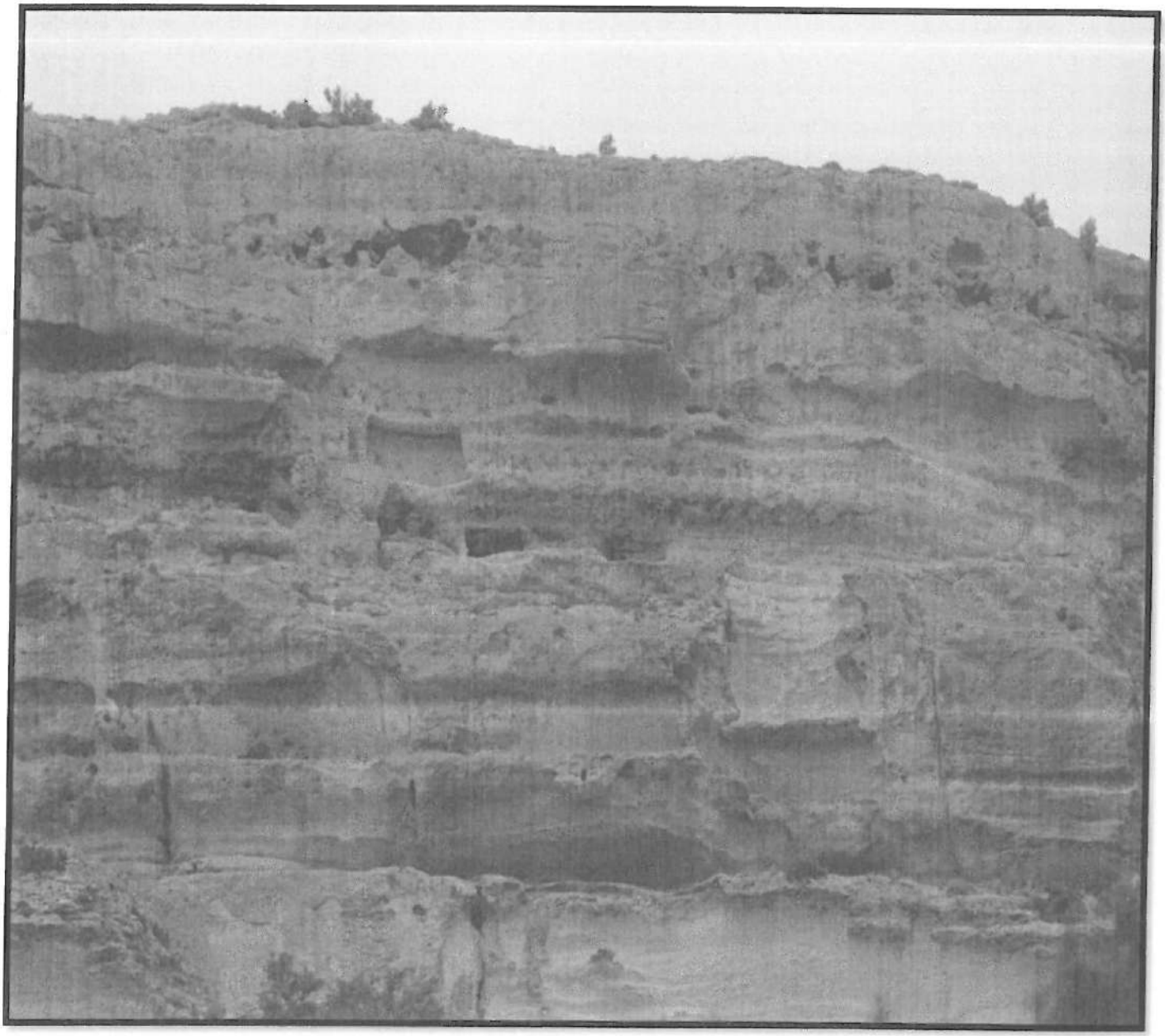

وادي مرقس

نعيمة سعيد حمد محمد ، المصور علي الساعدي

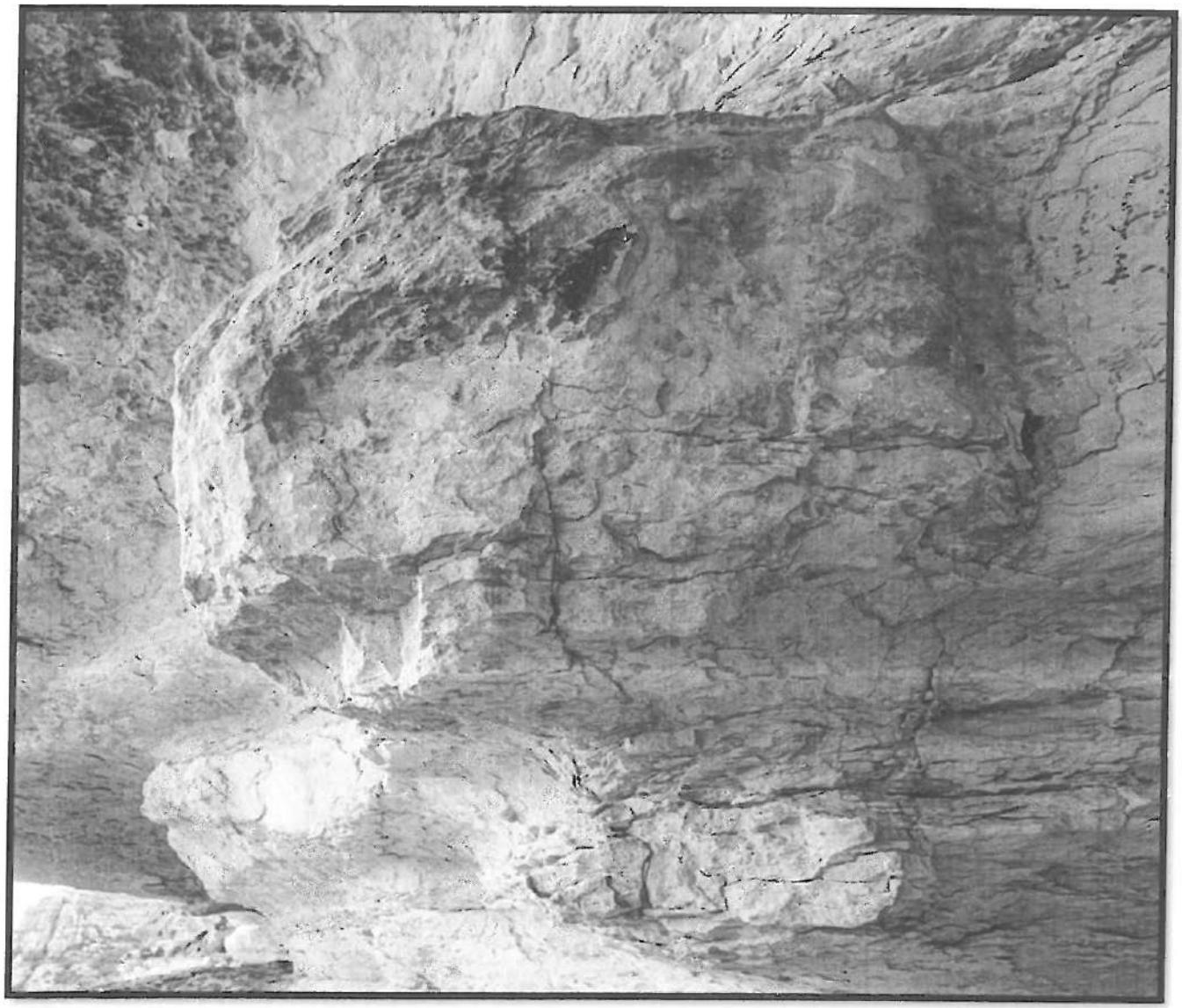

صرح مرقس الإنجيل وادي مرقس الجبل الأخضر

نعيمة سعيد حمد محمد، المصور علي الساعدي

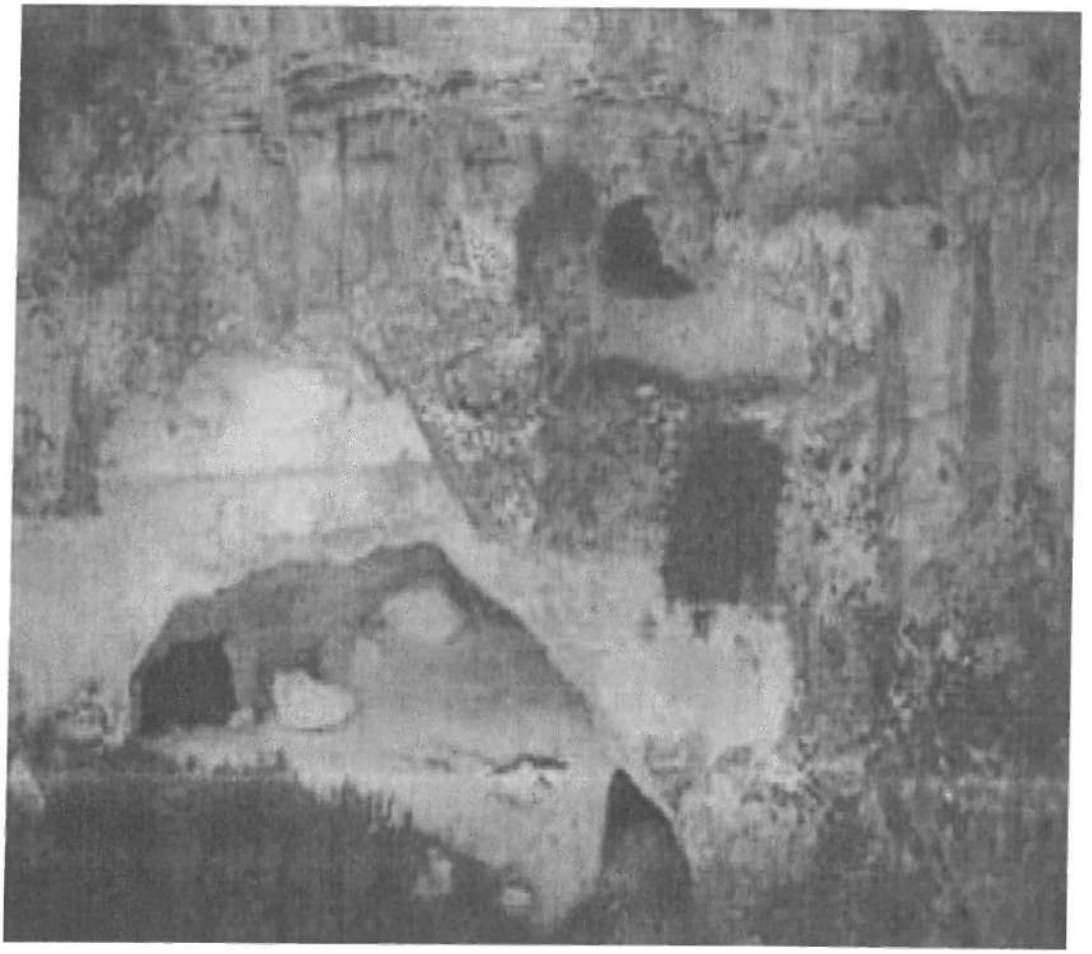

وادي الانجيل مغارة الكنيسة (كنيسة مرقس)

نعيمة سعيد حمد محمد، المصور علي الساعدي

حوض التعميد

وادي مرقس الجبل الأخضر

نعيمة سعيد حمد محمد، المصور علي الساعدي

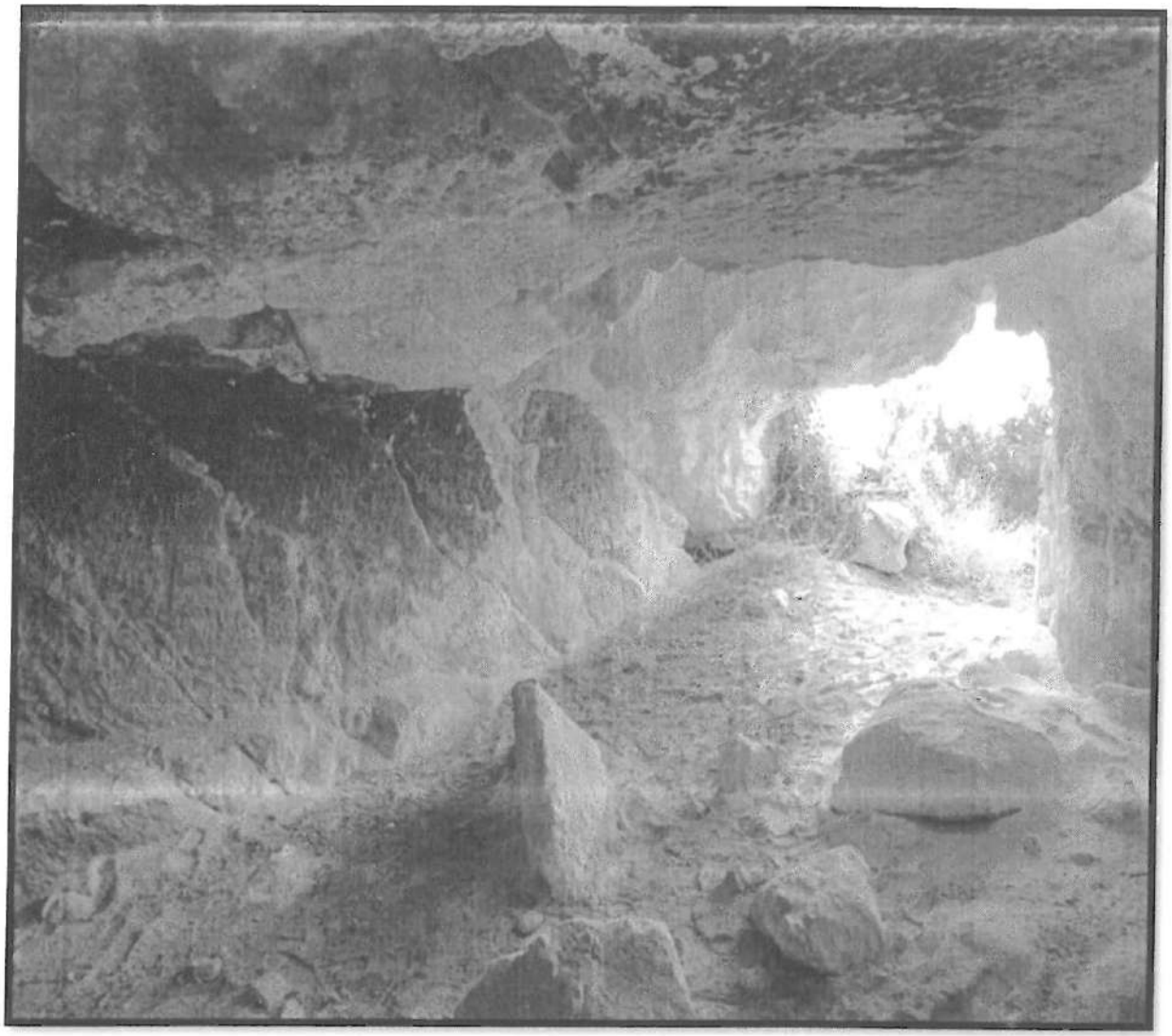

المقرات السرية تحت كنسية وادي الإنجيل المعلقة غرفة منحوتة في جوف الصخر وتحت بها سرير حجري وبعض الفتحات الوضع الاشياء وجرار الماء ومصباح الزيت، وادي الإنجيل الجبل الأخضر.

نعيمة سعيد حمد محمد، المصور علي الساعدي

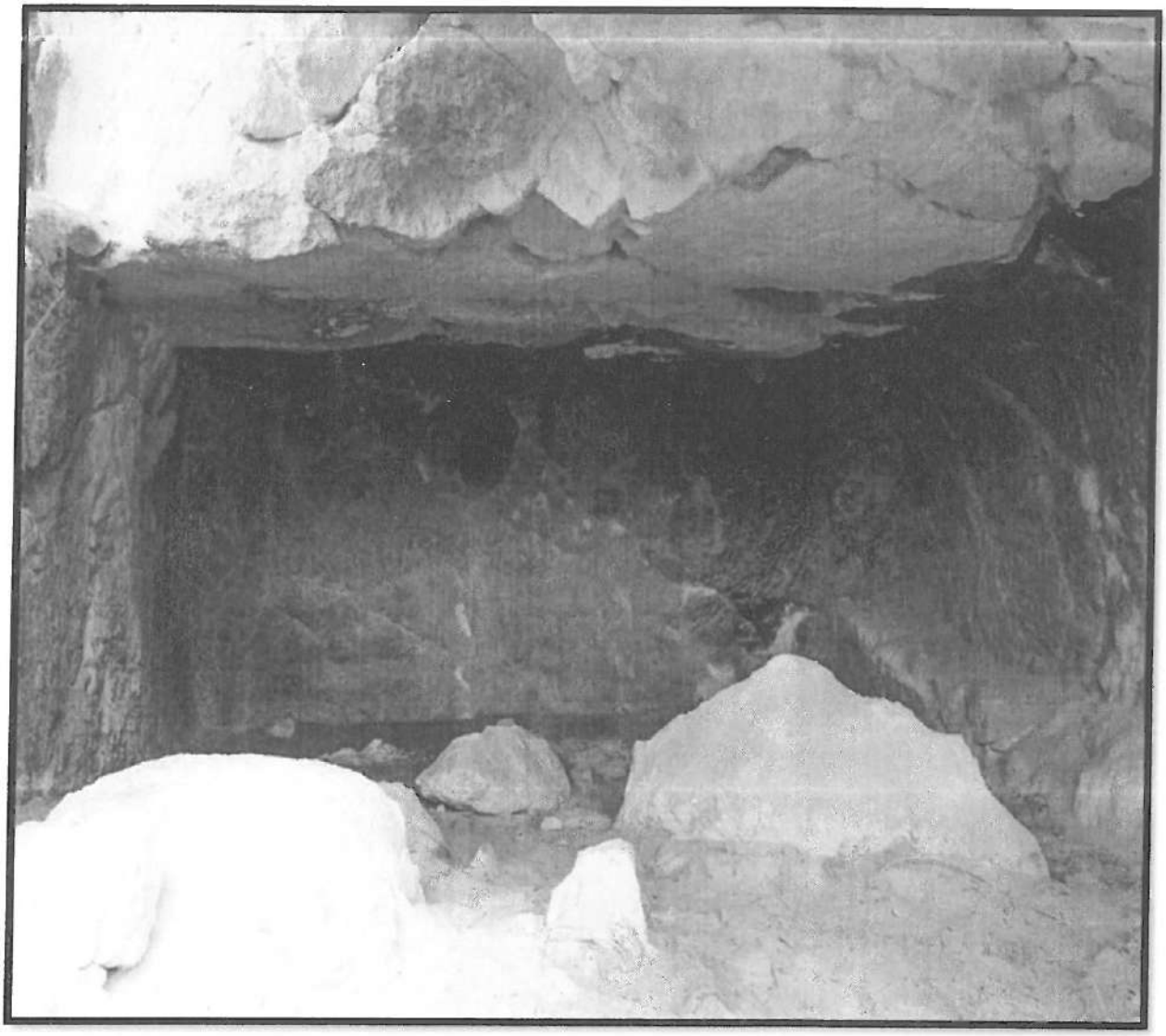

المقرات السرية تحت كنسية وادي الإنجيل المعلقة غرفة منحوتة في جوف الصخر وتحت بها سرير حجري وبعض الفتحات الوضع الاشياء وجرار الماء ومصباح الزيت، وادي الإنجيل الجبل الأخضر.

نعيمة سعيد حمد محمد، المصور علي الساعدي

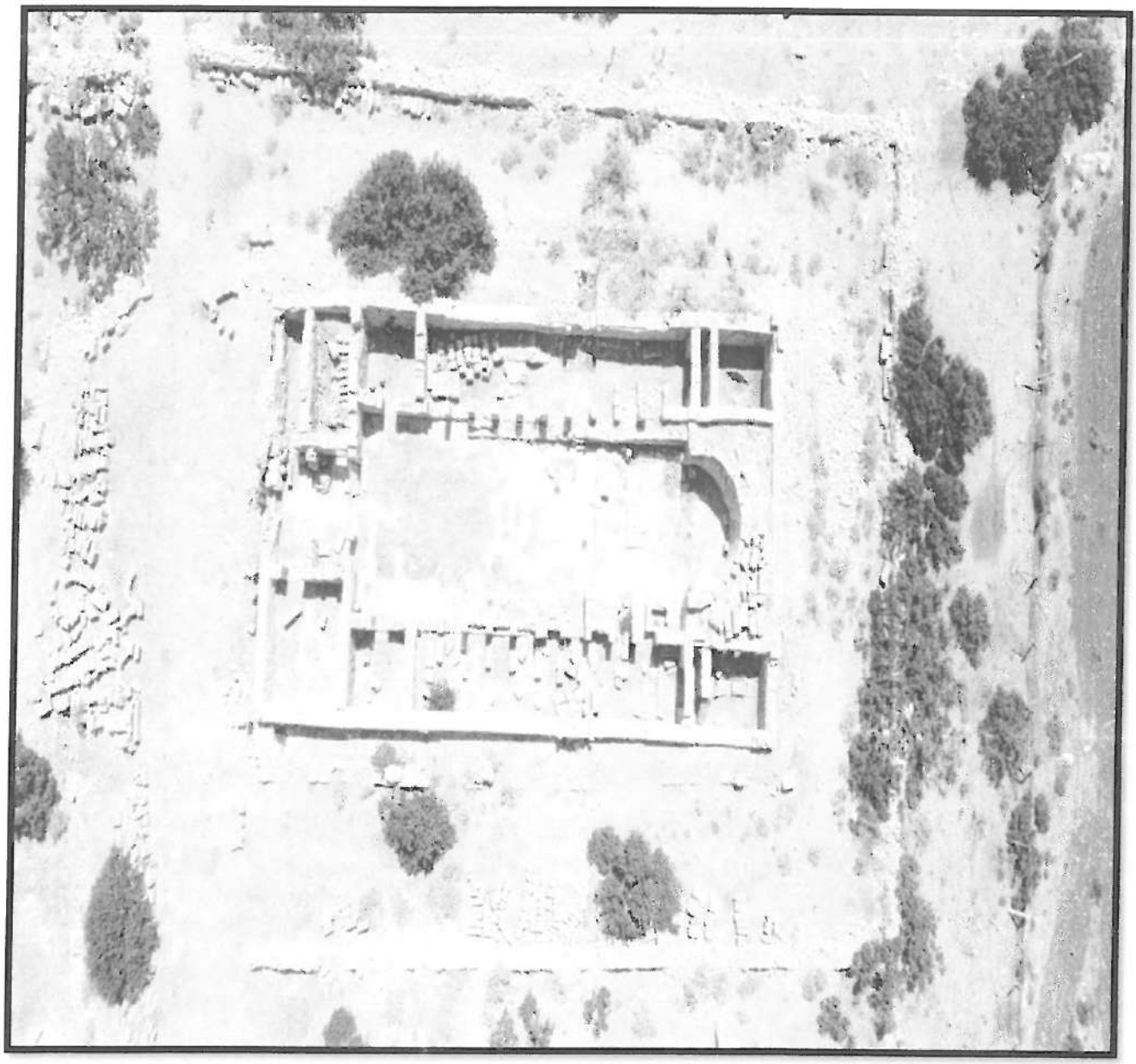

كنيسة لأثرون الغربية

نعيمة سعيد حمد محمد، المصور علي الساعدي

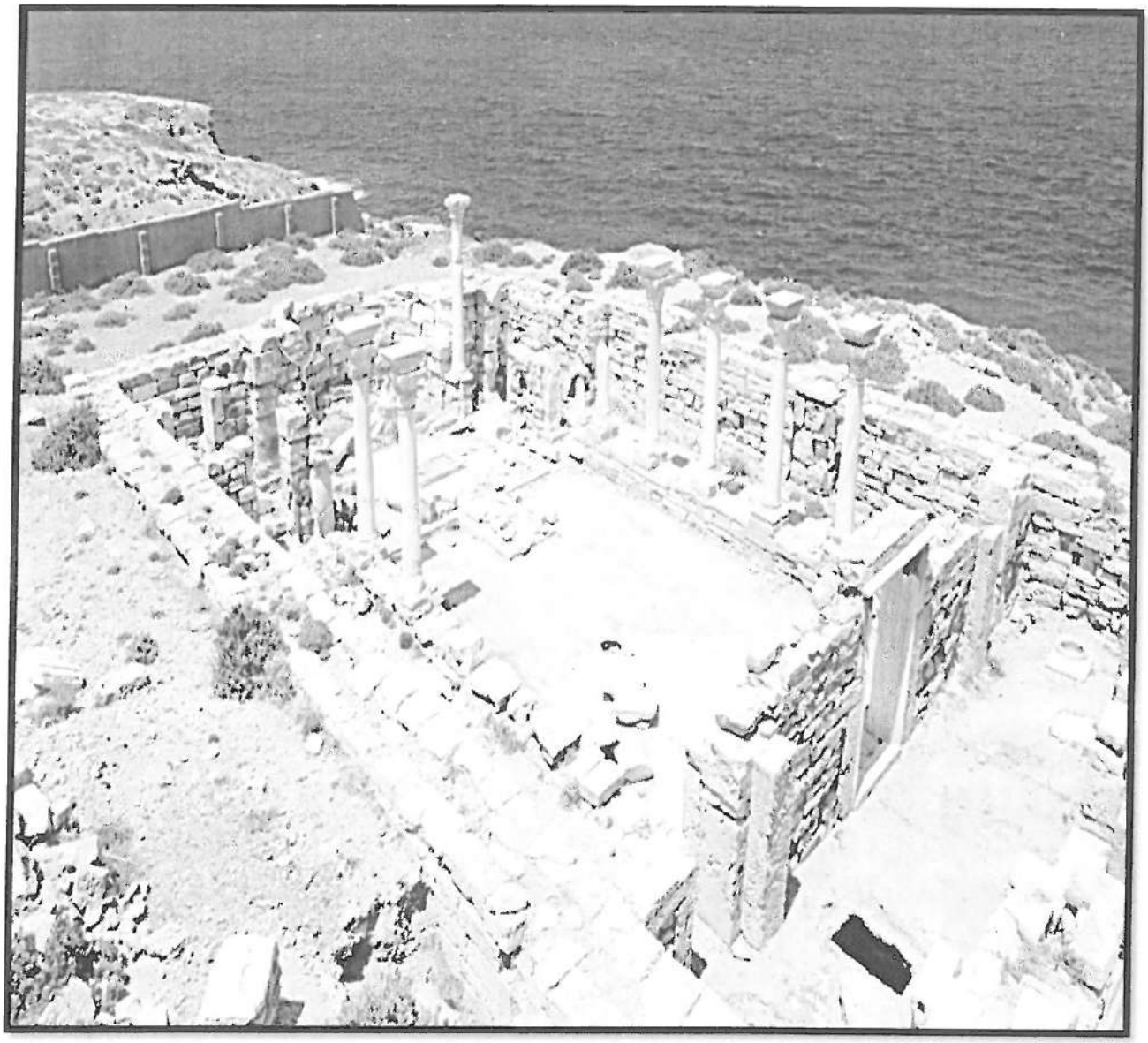

كنيسة لأثرون الشرقية الجبل الأخضر

نعيمة سعيد حمد محمد، المصور علي الساعدي

كنيسة سوسة

نعيمة سعيد حمد محمد، المصور علي الساعدي

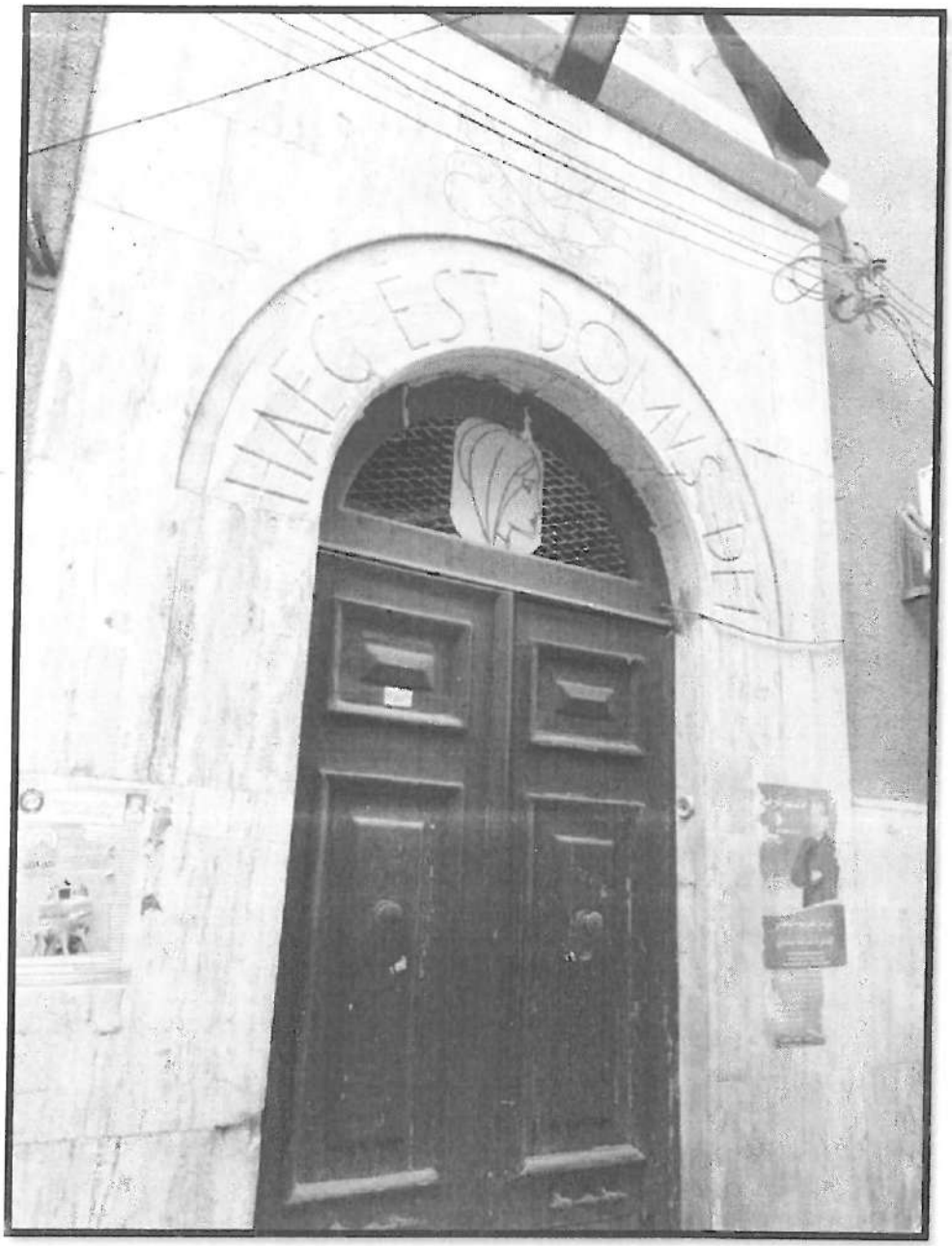

كنيسة مريم في مدينة بنغازي

/https://rawahil.com/sites/dar-mariem

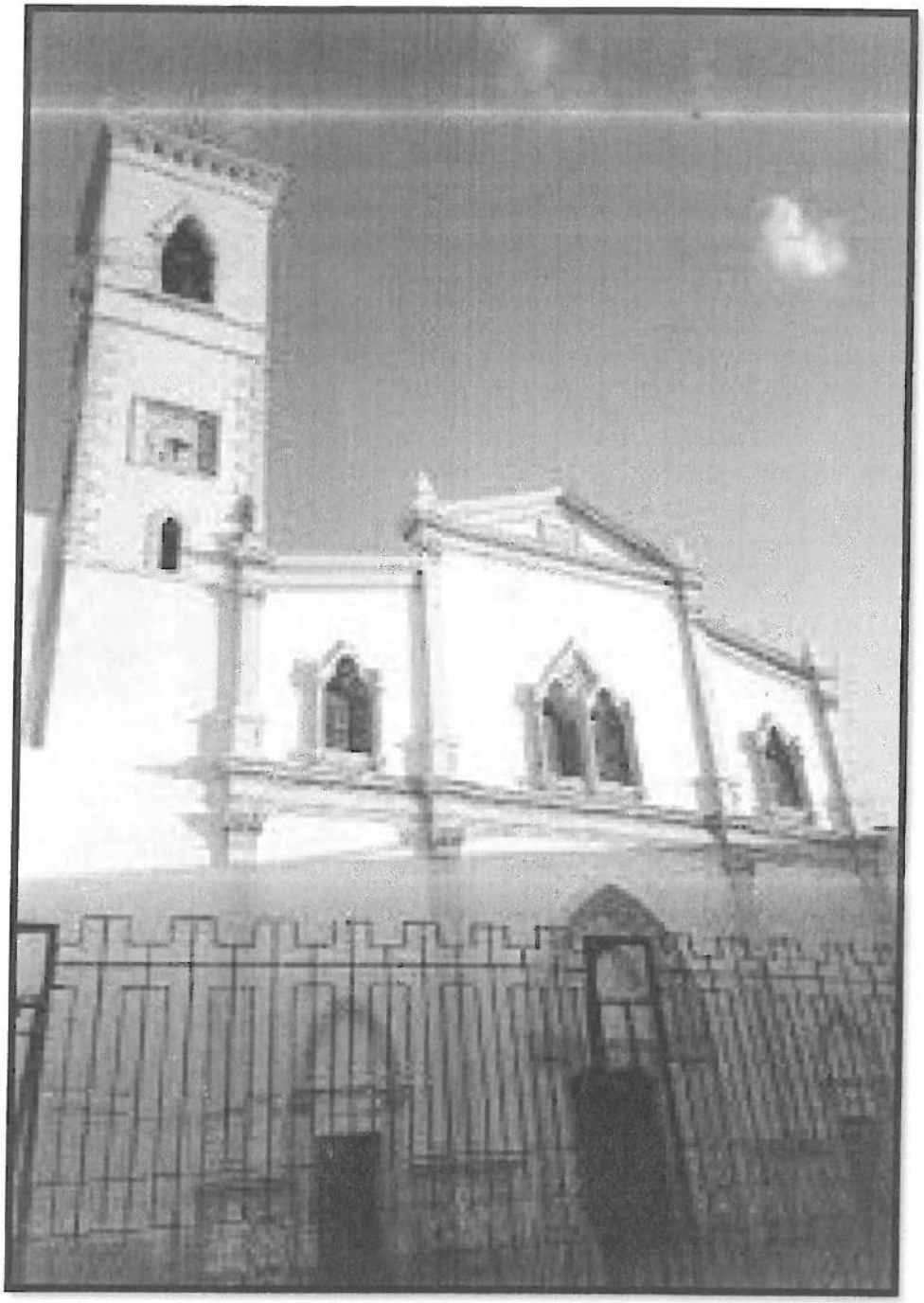

كنسية العذراء مريم بطرابلس القديمة

https://www.google.com/search?q=%D9%83%D9%86%D9%8A%D8%B3%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B0%D8%B1%D8%A7%D8%A1+%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%85+%D8%B7%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D9%84%D8%B3&tbm=isch&source=iu&ictx=1&vet=1&fir=01g-

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

1- الآنسة توللي، عشرة أعوام في بلاط طرابلس، 1783- 1793م، ترجمة: عبد الجليل الطاهر، بنغازي، دار ليبيا، 1967م.

2- روفيري، فرانشيسكو، عرض للوقائع التاريخية البرقاوية، التاريخ الكرنولوجي لبرقة (1551-1911م)، ترجمة وتقديم: إبراهيم أحمد المهدوي، مراجعة: شمس الدين عرابي بن عمران، دار ترنت، 2014م، ط1.

3- فيرو، شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، نقلها وحققها: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط3، 1994م.

4- كورو، فرانشيسكو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب وتقديم: خليفة التليسي، طرابلس-ليبيا، ط2، 1984م.

5- كوستانزبرينا، طرابلس 1510-1550م، تعريب: خليفة محمد التليسي، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، 1985م.

6- الأب متى المسكين، الإنجيل بحسب القديس مرقس، مطبعة دير القديس، ط1، 1996م.

7- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت 808هـ/1405م)، المقدمة، تحقيق: حامد أحمد طاهر، القاهرة، دار الفجر للتراث، 2004م.

8- _____، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، 1981م.

9- ابن غلبون، أبو عبد الله، التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تصحيح وتعليق: الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، ط1، 2008م.

10- ابن منظور، جمال الدين الفضل، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

11- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، دار الثقافة الدينية، (د.ت).

12- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: عدنان داوود، دمشق، دار القلم، ط3، 2002م.

13- الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الترغيب والترهيب - الألباني، الرياض-المملكة العربية السعودية، مكتبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، ط1، 1421هـ/2000م.

14- الأنصاري، أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس، مكتبة الفرجاني، (د.ت).

15- _____، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، تقديم: أحمد زينهم، ومحمد عزت، طرابلس، دار الفرجاني، 1994م.

16- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق : مصطفى ديب البغا، اليمامة-بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م.

17- بليني الأكبر، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي (وصف أفريقيا ومصر وغرب آسيا)، نقله عن اللاتينية: محمد المبروك الدويب، ليبيا، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم، ط2، 2019م.

18- الحشائشي، محمد عثمان، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد الطوارق، تحقيق: محمد المرزوقي، تونس، الدار التونسية، 1984م.

19- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الفكر، (د.ت).

20- رولفس، غيرهارد، عبر أفريقيا رحلة من البحر المتوسط إلى بحيرة تشاد وخليج غينا 1831-1896م، ترجمة وتعليق: عماد الدين غانم، منشورات مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، 1969م.

21- ريتشاردسن، جيمس، ترحال في الصحراء، ترجمة: الهادي بو لقمة، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 1993.

22- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، التراث العربي مطبعة حكومة الكويت، 1965م.

23- السنوسي، أحمد بن محمد الشريف، الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج ومعه الكوكب الزاهر في سما مجلي الظلام العاكر، تحقيق: أحمد محمد جاد الله، وعبد الغني عبد الله محمود، بنغازي، دار الكتاب الوطني، ط1، 2020م.

24- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، 1984م.

25- العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد أبو بكر، ماء الموائد، الرحلة ـ ليبيا ـ طرابلس ـ برقة، سعد زغلول، محمد عبدالهادي شعيرة، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1996م.

26- الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مصر-مطبعة الأسرة، ط3، 1978م.

27- القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل، ط1، 1418هـ، 1998م.

28- كحالة، عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني، معجم المؤلفين، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، (د.ط)، (د.ت).

29- مجموعة من المؤلفين المعجم الوسيط، القاهرة، ط3، (د.ت).

30- نختجال، جوستاف، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة: عبد القادر المحيشي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007م.

31- هاملتون، جيمس، جولات في شمال إفريقيا، تعريب المبروك الصويعي، طرابلس-ليبيا، دار الفرجاني، (د.ت).

32- هيرودوت، الكتاب الثاني، ترجمة: عبد الإله الملاح، مراجع: أحمد السقاف، وأحمد بن صراي، الإمارات، المجمع الثقافي، 2001م.

33- ـــــــ، الكتاب الرابع ـ السكيثي ـ الكتاب الليبي، نقله: محمد المبروك الدويب، بنغازي، جامعة قاريونس، ط1، 2003م.

34- ويلارد، جيمس، الصحراء الكبرى، طرابلس، مكتبة الفرجاني، 1967م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

35- ابن إسماعيل، عمر علي، التطور السياسي والاجتماعي في ليبيا (1835-1882م) بنغازي-ليبيا، دار الفضيل للنشر والتوزيع، 2014م.

36- ــــــــــــ، انهيار الأسرة القرمانلية في ليبيا (1795-1835م)، طرابلس-ليبيا، دار الفرجاني، 1966م.

37- ابن حنبكة، عبد الرحمن، أجنحة المكر الثلاث وخوافيها التبشير استشراق استعمار، دمشق، دار القلم، ط4، (د.ت).

38- ابن محمد، أحمد، المصباح المنير، المطبعة الخيرية.

39- ابن موسى، تيسير، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب، 1988م.

40- اتيلوموري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا في مطلع القرن التاسع عشر وحتى الاحتلال الإيطالي، تعريب: خليفة التليسي، طرابلس، دار الفرجاني، ط1، 1971م.

41- أحمد، طارق، مدخل لدراسة المسيحية في أفريقيا، مركز البحوث، الدراسات الإفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، قسم الأديان، 2003م.

42- الأحول، خليفة، يهود مدينة طرابلس الغرب تحت الحكم الإيطالي، 1911- 1943م، الجماهيرية العظمي، مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 2005م.

43- استودارد، لوثرب، حاضرة العالم الإسلامي، ترجمة: عجاج نويهض، تعليق: شكيب أرسلان، طرابلس، مكتبة الفكر، 1971م.

44- الأسدي، ناهد حسين علي، الإرساليات التبشيرية الأمريكية في العراق وموقف الدولة العثمانية المحلية السياسية والدولية، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، (د.ت).

45- اسكيو، وليم. س.، أوروبا والغزو الإيطالي لليبيا 1911-1912م ترجمة: ميلاد المقرحي، مراجعة: عطية البرير، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م.

46- الأشهب، محمد الطيب، السنوسي الكبير، القاهرة، 1956م.

47- ــــــــــــ، المهدي السنوسي، طرابلس، مطبعة بيلنوماجي، ط1، (د.ت).

48- ــــــــــــ، برقة العربية الأمس واليوم، القاهرة، مطبعة الهوارية، ط1، 1945م.

49- ــــــــــــ، برقة العربية بين الأمس واليوم، مصر، ط1، 1936م.

50- ــــــــــــ، عمر المختار، (د.ط)، (د.ت).

51- أوزنونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة: محمود الأنصاري، مج1، اسطنبول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، 1988م.

52- الباروني، عمر، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، (د.ط)، (د.ت).

53- بازامة، محمد مصطفى، تاريخ بارقة في العهد العثماني الثاني (بنغازي متصرفلك)، الحوار، ط1، 1994م.

54- بالحاج، محمد الكوني، التعليم في مدينة طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني، 1835-1911م، وأثره على مجتمع الولاية، الجماهيرية العظمى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000م.

55- برتشارد، إيفانز، السنوسيون في برقة، ترجمة: عمر الديراوي أبو حجلة، طرابلس، مكتبة الفرجاني، (د.ت).

56- البرغوثي، عبد اللطيف، تاريخ ليبيا الإسلامي حتى العهد العثماني، بنغازي، منشورات الجامعة الليبية، 1976م.
57- ـــــــــــــ، التاريخ الليبي القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، بيروت، دار صادر، 1991م.
58- برفينيكر، وليم، طرابلس الممنوعة رسم الحدود (غدامس، الطوارق، الجنوب التونسي)، ط1، 2008م.
59- البركي، رمضان، الغزو الصليبي الجديد وسائله وغاياته، بنغازي-ليبيا، دار الكتب الوطني، 2002م.
60- بروشين، نيكولاي إيليتش، تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين، ترجمة وتقديم: عماد حاتم، بنغازي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، 2001م.
61- بعيو، مصطفى، بعض الملامح التاريخية عن ليبيا، بنغازي، المطبقة الأهلية، (د.ت).
62- ـــــــــــــ، دراسات في التاريخ اللوبي، الإسكندرية، ط1، 1953م.
63- بو عجيلة، محمد الهادي، النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية (1711- 1835)، وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1، 1997م.
64- البوري، وهبي، بنك روما - التمهيد الإيطالي لغزو ليبيا، مجلة الثقافة العامة، 2006م.
65- ـــــــــــــ، مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، بنغازي، دار الكتاب الوطني، 2008م.
66- تريو، جان لوي، السنوسية في مواجهة فرنسا حرب فرنسية ليبية منسية تشاد 1900-1902م، ترجمة: محمد جهيمة، دار الفرجاني، ط1، 2013م.
67- التشايجي، عبد الرحمن، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة: علي اعزازي، مراجعة: محمد الأسطى، الجماهيرية، منشورات مركز جهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، 1982.
68- تشايلد، جود، قورينا وأبولونيا، طرابلس، منشورات قسم البحوث الأثرية، 1970م.
69- التليسي، خليفة، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، طرابلس، الدار العربية للكتابة، ط3، 1997م.
70- التيجاني، عبد الرحمن أحمد، الكتاتيب القرآنية بندرومة، 1950-1977م، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988م.
71- جماعة من كبار اللغويين العرب، معجم العرب الأساسي، منشورات المنظمة العربية للنشر والثقافة، الأوراس، 1989م.
72- الجمل، شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1977م.
73- الجميل، قاسم، صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، الجماهيرية مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، ط1، 2003.
74- الجندي، أحمد أنور، الإرساليات وسيلة لهدم العقيدة والتشكيك بالإسلام، (د.ط)، (د.ت).
75- ـــــــــــــ، التبشير الغربي، (د.ط)، (د.ت).
76- ـــــــــــــ، التبشير والاستعمار، (د.ط)، (د.ت).
77- الجوهري، يسري، جغرافية المغرب العربي، منشأة المعارف، 1981م.
78- حرب، محمد، مذكرات السلطان عبد الحميد، دمشق، دار القلم، 1996م.

79- الحريري، محمد مرسي، جغرافية القارة الإفريقية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994م.
80- حسن، ممدوح، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، عمان، دار عمار، ط1، 1995م.
81- حسنين، أحمد، في صحراء ليبيا، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، 2009م.
82- حلاق، داود، أوشاز الأسلاف دراسة موجزة عن الكهوف المعلقة بالجبل الأخضر، الجماهيرية العظمى، ط1، 1989م.
83- ـــــــــ، مرقس الإنجيلي، الجماهيرية العظمى، بنغازي، دار الكتاب، ط1، 1993م.
84- حمدان، نذير، الغزو الفكري المفهوم والوسائل المحاولات، مكتبة الصديق، (د.ت).
85- حمزة، ميمونة، تاريخ الدولة العثمانية، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
86- الحنتاشي، بالقاسم، الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريكسية لتوثيق المعلومات، 1990م.
87- خالدي، مصطفى - وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت، منشورات المكتبة العلمية، ط1، 1953م.
87- الخباط، عبد الله، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا 1795-1832م، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط1، 1985م.
89- خدوري، مجيد، ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي، بيروت، دار الثقافة، 1966م.
90- الخرازي، بديعة، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، الرياض، منشورات دار المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.
91- خشيم، علي فهمي، أحمد الزروق، الزروقية، طرابلس، دار الفكر، ط1، 1975م، ص170.
92- دانيال، روبين، أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا، تامغناست، (د.ط)، (د.ت).
93- الدجاني، أحمد صدقي، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، بيروت، دار لبنان، ط1، 1976م
94- ـــــــــ، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي 1882-1911م، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، 1971م.
95- ـــــــــ (مراجعة وتقديم)، أدهم، عبد السلام (جمع وترجمة)، وثائق تاريخ ليبيا الحديث، الوثائق العثمانية 1881-1911، بنغازي، منشورات جامعة بنغازي، (د.ت).
96- الدروقي، امساعد، برقة بين السيطرة العثمانية والقوى المحلية والأطماع الأجنبية 1835-1911م، دار المعرفة الجامعية، 2013م.
97- الديباني، ابتسام عبدالسلام، الموانئ الليبية القديمة ودورها الاقتصادي في الفترات الفينيقية والإغريقية والرومانية، طرابلس، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، 2014م.
98- ديكاندول، إيريك آرما فولي، الملك إدريس عاهل ليبيا - حياته وعصره، ترجمة: محمد عبده بن غلبون، 1989م.
99- الذرعاني، غالية يونس، الزوايا السنوسية في مدينة المرج ودورها الثقافي ضد الغزو الإيطالي، مؤتمر برقة عبر التاريخ، المرج، 2007.
100- راسم، رشدي، طرابلس الغرب بين الماضي والحاضر، طرابلس-ليبيا، 1953م.
101- رايت، جون، انبعاث ليبيا، ترجمة: الطيب الزبير، مراجعة وتصحيح: أبو بكر عمر، دار الفرجاني، د.ت.

102- رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابلس سنة1835، نقله: منير الفندري، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسة، دار الحكمة، 1911م.
103- روسي، ايتوري، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، ترجمة: خليفة التليسي، طرابلس-الجماهيرية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، ط2، 1985م.
104- ـــــــــــ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب، ط2، 1991م.
105- ريموند، جورج، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، (د.ط)، (د.ت).
106- الزاوي، الطاهر أحمد، معجم البلدان الليبية، طرابلس، مكتبة النور، ط1، 1968م.
107- زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، القاهرة، دار المنارة، ط2، 1989م.
108- زيادة، نقولا، برقة الدولة العربية الثامنة، الأهلية للنشر والتوزيع، (د.ت).
109- سامح، عزيز، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1989م.
110- السقار، منقذ بن محمود، الاستعمار في العهد الحديث ودوافعه الدينية، مكة، (د.ت).
111- سلطان، علي، تاريخ العرب الحديث 1516-1918م، طرابلس، ط1، 1997م.
112- الشبلاوي، سلمى عبد الرازق عيد، مدينة غدامس ـ النشأة والتطور العمراني دراسة في جغرافية المدن، قسم الجغرافية التطبيقية، كلية التربية والعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، 2012م.
113- شرف، عماد، حقائق عن التبشير، القاهرة، المختار الإسلامي، ط1، 1975م.
114- الشريف، مفتاح السيد، السنوسية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2008م.
115- شعيب، محمد سعد ـ وعبدالبصير علي، الاستشراق والتنصير، (د.ط)، 2007م.
116- شلبي، عبد الجليل، الإرساليات التبشيرية، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د.ط)، (د.ت).
117- شلوف، عبد السلام محمد، معجم المواقع والوقائع الليبية، بنغازي-ليبيا، الفضيل للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
118- الشيخ، رأفت، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية، ط1، 1972م.
119- الصالح، عبد الرحمن بن عبد الله، التنصير تعريفه أهدافه وسائله، حسرات المنصرين، دار الكتاب والسنة، ط1، 1999م.
120- صالح، محمد عثمان، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1989م.
121- الصلابي، علي محمد، الإمام محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس، دار الروضة للطباعة والتوزيع، ط1، 2017م.
122- ـــــــــــ، الدولة العثمانية ـ عوامل النهوض وأسباب السقوط، (د.ط)، (د.ت).
123- ـــــــــــ، السلطان عبد الحميد الثاني وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت).
124- ـــــــــــ، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، بيروت، دار المعارف، (د.ط)، (د.ت).

125- ضوء، خليفة إبراهيم، تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر، طرابلس-ليبيا، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2014م.
126- الطاهر، علي محمد، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1891م دراسة تاريخية، (د.ط)، (د.ت).
127- طريح، عبد العزيز، جغرافية ليبيا، الإسكندرية، دار المعارف، ط2، 1971م.
128- طقوس، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية - حرب الفرنجة في المشرق، بيروت، دار النفائس، ط1، 2011م.
129- الطوير، عبد الله أحمد، جهاد الحركة السنوسية، بنغازي، دار الكتب، 2013م.
130- الطويل، امحمد سعيد، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي (1795-1832م)، بنغازي، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، 2002م.
131- عامر، محمود - ومحمد خير، تاريخ المغرب الحديث المغرب الأقصى - ليبية، منشورات جامعة دمشق، 2000م.
132- عباس، إحسان، ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع عشر هجري، بيروت، دار صادر، ط1، 1967م.
133- عبد السلام، زينب، التنصير حقيقة ضرورة مواجهته أهدافه، (د.ط)، 1994م.
134- عبد الملك، سلمان سلامة، أضواء على التبشير والمبشرين، الأمانة، ط1، 1994م.
135- عبد المنعم، سمير، عمائر الصوفية في الجماهيرية الليبية (الزوايا والرباطات) منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد العثماني، (د.ط)، 2008م.
136- عبدالوهاب، أحمد، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة، ط1، 1981م.
137- العسلي، بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547م، بيروت، دار النفائس، ط1، 1980م.
138- العقيقي، نجيب، المستشرقون، القاهرة، دار المعارف، ط4، 1980م.
139- عمير، عبد الرحمن، الإسلام والمسلمين بين أحقاد التبشير وظلال الاستشراق، بيروت، دار الجيل، (د.ت).
140- غانم، عماد الدين، المادة المصدرية الألمانية حول الأوضاع الصحية في ليبيا خلال من القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الأول من القرن العشرين، (د.ط)، (د.ت).
141- الفقيه، حسن، اليوميات الليبية 1551-1832، تحقيق: محمد الأسطى، طرابلس، مركز الجهاد، 1984م.
142- فولايان، كولا، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرماني، ترجمة: عبد القادر المحيشي، مراجعة: صلاح الدين السوري، طرابلس، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ط1، 1981م.
143-
144- القروي، إسماعيل مولود، التمهيد الثقافي الإيطالي للغزو العسكري لليبيا 1882-1911م، الرباط-المملكة المغربية، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، ط1، 1993م.
145- الكحلوت، عبد العزيز، التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، 1992م.

146- ماكولا، فرانشيسكو، الغزاة، تعريب: عبد الحميد شقلوف، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 1979م.
147- مجموعة من الأساتذة والباحثين، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، دار الكتاب الوطني، ط1، 2008م.
148- مجموعة من المؤلفين، موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، مكتبة المهتدين، ط1، 1422هـ/2001م.
149- المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العليا العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط1، 1981م.
150- محمد، فضل علي، قورينا (أبيض وأسود)، دار الصالح، 2016م.
151- مدلل، أحمد عطية، التدخل الأجنبي في ليبيا (1881-1915م) ج1، الجماهيرية العظمى، منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، ط1، 2007م.
152- المسلاتي، مصطفى نصر، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، طرابلس، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر، 1986م.
153- المسوري، مفتاح عبد الله، الحدود البرية الليبية، دار الرواد، 2013م.
154- مكس، ميخائيل، كنيسة البنتابولس، مطبعة السلام، 1987م.
155- منفرود، كامللو، ليبيا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة: عمر الباروني، مراجعة: صلاح الدين السوري، الجماهيرية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م.
156- المهدوي، محمد المبروك، جغرافية ليبيا البشرية، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط2، 1970م.
157- موسى، عايدة العزب، تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، الموسوعة الإفريقية، تاريخ إفريقيا، المجلد الثاني، ط1، 2007م.
158- الميار، عبد الحفيظ، الحضارة الفينيقية، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001م.
159- ميكاكي، ردولف، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، نقلها للعربية: طه فوزي، طرابلس، دار الفرجاني، (د.ت).
160- النملة، علي بن إبراهيم الحمد، التنصير في المراجع العربية، الرياض، دار الإمام، 2004م.
161- ــــــــــــــــ، التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله، وسبل مواجهته، (د.ط)، (د.ت).
162- ــــــــــــــــ، المستشرقون والتنصير ودراسة العلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين والمنصرين، الرياض، مكتبة التوبة، ط1، 1998م.
163- الهاين، مصطفى، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1، 1980م.
164- ياغي، إسماعيل، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، ط1، 1997م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

165- Anastasi, R. Bartolini Breve Storia Della, Farmiglia Francesana Perugia monteripdo, 2013.

166- Eleen Ryan, Italy and the Sanusiyya: Negotiating Athority in Colonial Libya, 1911-1931 academic Commons. Columbia. ed. Consultation date 21 January 2020.

167- Francesca Di Pasquale, Thesis at the imperial School, the educational policy of the Arabs in Libia in the fasciet era 1922-1940, University of Pease Studies, 2003.

168- H. Duveyrier, La Confrerie Musulmane, Sidi Mohammed Ben' Ali.Es-Senousi, Domaine, Geoghapop HIQUE, PARIS, SOGLETE.DE, CEOGBAPHIE, 1889.

169- Peter Garwood, Exploring Romanesque Architecture in Catalonia, books, google.com.

170- R. G. Grood Child, Libyan Statues, CD by Joyce., Reynolds, London, 1976.

171- Vittorio Ianari, Chiesa, Coloni, E Islam. Religione e politica nella Libia italiana, 1995.

رابعاً: الدوريات:

172- ابن ناصر، خليفة، الدوناتية من مظاهر المقاومة للسيطرة الرومانية في الشمال الأفريقي، مجلة البحوث التاريخية، جامعة التحدي، العدد الأول، 1993م.

173- الأحول، خليفة، مدينة الخمس كما وصفتها لنا وثائق الاستيطان الإيطالي، مجلة الوثائق والمخطوطات، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الرابع، السنة الرابعة، 1990م.

174- إسحاق، أحمد مصباح، حياة الكتاتيب وأدبيات التعليم في ليبيا، مجلة أصول الدين، العدد2، 2018م.

175- بازامة، محمد مصطفى، المسيحية في ليبيا، مجلة الفصول الأربعة، العدد(4)، السنة الأولى، 1978م.

176- بو صبيع، محمد الصغير، المخلفات المعمارية المسيحية المبكرة في ليبيا، مجلة قاريونس العلمية، السنة الثالثة عشر، العددان1-2، 2000م.

177- ــــــــــــــــ، نبذة تاريخية عن المسيحية المبكرة في ليبيا ومعالمها الأثرية، مجلة قاريونس العلمية، السنة الثالثة عشر، العدد الأول والثاني، 2000م.

178- بو عزيزة، يحيى، اهتمامات الفرنسيين في جنوب الجزائر والصحراء، مجلة البحوث التاريخية، السنة الثالثة، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1981م.

179- الجميلي، نغم أكرم، التعليم في ولاية طرابلس الغرب 1839-1911م، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد4، 2012م.

180- حماد، احميده سالم، فاعلية القبلية بطرابلس الغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي، كلية التربية المرج، العدد التاسع، 2016م.

181- الخفيفي، الصالحين، دور التعليم الديني في الحفاظ على التراث الثقافي في ليبيا، مجلة الشهيد، العدد28-29، 2007-2008م.

182- الدراوي، محمد علي حسين، الآثار المسيحية في منطقة المدن الثلاث، مجلة لبدة الكبرى، جامعة المرقب، العدد الأول، 2014م.

183- الديك، محمود، الأوضاع الصحية في طرابلس منذ العهد العثماني حتى فترة الاستعمار الإيطالي، أعمال الندوة العلمية التاسعة، المرج، 2000م.

184- الزليتني، ميلاد، الصعوبات التي واجهت الرحالة العرب والأجانب عند عبورهم الأراضي الليبية (1798-1923م)، مجلة كلية الآداب، جامعة مصراتة، العدد الثالث، 2015م.

185- سلامة، مريم أحمد، مستوصف المستر ريد (1882-1969م) بالمدينة القديمة طرابلس، أعمال الندوة العلمية التاسعة، المرج، 2000م.

186- السويسي، محمد بشير، أوضاع التعليم في ليبيا 1835-1950م، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، العدد2، 1999م.
187- شعيرة، محمد عبد الهادي، الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية (ليبيا في التاريخ)، المؤتمر التاريخي، الجامعة الليبية، كلية الآداب، 1968م.
188- صالح، المبروك محمود، وأكرم عثمان عبد الرازق، جهود المعهد الديني بزاوية جغبوب في النهوض باللغة العربية 1855-1926م، بحث (منشور)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طبرق، منشورات طرابلس المركز الليبي للأبحاث والدراسات، 2019م.
189- الطوير، محمد امحمد، وثيقة تاريخية تكشف عن طبيعة التعليم في طرابلس، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد3، السنة الثالثة، 1988م.
190- عبدالحميد، عبد الرازق، التنصير في أفريقيا، سلسلة دعوة الحق (كتاب شهري محكم)، رابطة العالم الإسلامي، السنة23، العدد227، 2008م.
191- العبيدي، شعبان عوض، الكتاتيب في برقة، مجلة أصول الدين، جامعة بنغازي، العدد2، 2017م.
192- عرسات، عبد الرؤوف أحمد، الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الإسلام، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم والتربية الإنسانية، العراق، جامعة بابل، العدد(30)، 2016م.
193- علي، فليح حسن -وياسين شهاب شكري، الحركة السنوسية في إفريقيا في ضوء تقرير سري بريطاني صادر عام1908م، مجلة جامعة الكوفة، كلية الآداب، العدد الثاني، 2016م.
194- عمران، عبد الحميد، حركة التنصير الديني في شمال إفريقيا خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، العددان115-116، 2011م.
195- عيسى، محمد، معالم من الآثار المسيحية في ليبيا منذ بداية القرن الرابع حتى منتصف السادس الميلادي، مجلة تراث الشعب تصدر عن وزارة الثقافة، العدد(16)، 1993م.
196- غريدة، سعيد محمد، المسيحية والصراع المذهبي المسيحي بإقليم برقة في العصر الوسيط (بحث منشور)، كلية الآداب، المرج، 2017م.
197- فرج، أحمد رجب، آراء الرحالة الأوروبيين في الحركة السنوسية، 1852-1930م، بحث منشور، طبرق، كلية الآداب.
198- قدارة، فاتح رجب، ليبيا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1908م بين محاولات التحديث ومقاومة الأطماع الاستعمارية (دراسة وثائقية)، المجلة الجامعية، العدد21، مج5، 2019م.
199- المحجوب، أمال محمد، تأثير الأمراض والأوبئة والمجاعات على المجتمع الليبي في العهد العثماني الثاني، أعمال الندوة العلمية التاسعة، المرج، 2000م.
200- مخزوم، عطية، التغلغل الفرنسي في شمال إفريقيا جنوب الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، العدد2، 1995م.
201- مروان، محمد عمر، مقاومة الليبيين للغزاة الإسبان وفرسان القديس يوحنا 1510-1551م، مجلة تراث الشعب، السنة23، العددان1-2، 2003م.
202- مسعود، عبد الله مسعود، ملامح الحياة الفكرية الثقافية في ليبيا في أواخر الحكم العثماني الثاني حتى الاحتلال الإيطالي 1911م، المجلة الجامعة، العدد15، المجلد3، 2013م.
203- الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة، (د.ت).

204- النعاس، محمد، المسيحيون في ليبيا، مجلة تراث الشعب، العدد(6)، 2019م.
205- الهدار، خالد، زيارة الرحالة الإسباني علي بك العباسي الطرابلسي في أوائل القرن التاسع عشر، مجلة تراث الشعب، السنة الثالثة والعشرون، العددان1-2، 2003م.
206- الويشي، عطية، العثمانيون بطرابلس الغرب جدلية العلاقة بين المجتمع والدولة، (958-1330هـ/1551-1912م)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، السنة32، العدد140، 2017م.
207- يوسف، وليد خالد، حكم الأسرة القرمانلية في ولاية طرابلس الغرب 1711م- 1835م، مجلة جامعة تكريت، العدد السادس، 2012م.

خامساً: الرسائل العلمية:

208- ابريدان، عبد السميع، السيد محمد المهدي السنوسي ودوره في تطوير الحركة السنوسية 1844-1902م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بنغازي، 2015م.
209- الأحول، خليفة، الجالية اليهودية في ولاية طرابلس الغرب 1864-1911م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، جامعة الفاتح، 1985م.
210- بوغريدة، محمد عبد السلام، الحياة الثقافية في ليبيا في العهد العثماني الثاني 1835-1912م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ الحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2014.
211- التميمي، عبد الجليل، الحركة التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية العلوم الإنسانية، جامعة تونس، تونس، منشورات مركز البحوث والدراسات العثمانية الموريكسية، 1982م.
212- جنحاني، صفاء ـ وفارس حمايتي، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم والصراع المذهبي وآثاره (180-430م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الشهيد حمه الخضر ـ الوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، الجزائر، 2018م.
213- الخضري، أمل عاطف، التنصير في فلسطين في العصر الحديث، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية أصول الدين قسم العقيدة الإسلامية، غزة - فلسطين، 2004م.
214- دحدي، سعود، البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية، 1842-1931م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009-2010م.
215- رحلي، فاطمة ـ ومليكة قريش، سياسة التنصير في إفريقيا بين القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجيلاني، ميلانة-الجزائر، 2015-2016.
216- سمير، بوزبوجه، الطريقة السنوسية 1911-1951م، وموقفها من قضايا العصر محلياً- إقليمياً- دولياً، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، أحمد بن بله، 2017- 2018م.
217- عبد الجبار، عثمان، السنوسية ودورها الديني والسياسي في السودان الأواسط في القرن التاسع عشر الميلادي، 1837-1913م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم تاريخ الحضارة الإسلامية، كلية الآدب، جامعة أم درمان، 1992م.

218- العواد، كنز، السياسة التنصيرية الفرنسية في الجزائر العاصمة ووادي ميزاب 1830-1930م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر، 2019م.

219- عواسة، فريال ـ وأسمهان حمري، بنك دي روما ودوره في التمهيد للاحتلال الإيطالي في ليبيا 1907-1911م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة 8 ماي 1945م قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018-2019م.

220- عوض الكريم، نور الدين، أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في أفريقيا وطرق مواجهتها، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض-السعودية، 1422-1423هـ.

221- غيث، عبد الحكيم، الحياة الثقافية في مدينة مصراته خلال فترة الاحتلال الإيطالي 1911-1943، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم تاريخ، كلية الآداب، جامعة 7 اكتوبر، مصراته-الجماهيرية، 2006م.

222- قاسم، فريال، الرحلات الاستكشافية الانكليزية عبر الأراضي الليبية بين عامي 1818-1852م، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي، 1990م.

223- مصباح، ياسمين، دور القنصليات والممثليات الأجنبية في طرابلس الغرب 1711-1835م، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة عمر المختار، 2002-2003م.

224- موسى، فضل شعيب، الزوايا السنوسية وأثرها على المجتمع في إقليم برقة 1843-1912، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة محمد بن علي السنوسي، 2019م.

225- ناديه، نونا، معالجة الصحافة الإسلامية لواقع التنصير، الجزائر، تحليل مضمون صحيف البصائر الأسبوعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، شعبة الإعلام والاتصال، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبوملياناة، 2012-2013.

226- نجاة، شويطر، المؤسسات الدينية التعليمية في طرابلس الغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي 1711-1911م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2015-2016م.

227- النحاس، حليمة، وفايز مزاري، ليبيا خلال العهد العثماني الأول 1551-1711م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، شعبة التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجيلاني، الجزائر، 2015/2016م.

سادساً: شبكة المعلومات الدولية:

228- https://ar.wikipedia.org›wiki›

229- الحجاوي، شجاع عدي، الحركة السنوسية في طرابلس الغرب، بحث في منتدى الحوار. www.mahewar.org

Research Summary

The thesis aimed to study the position of the western Tripoli state from the European Christianization attempts from 1835-1912, taking it from the beginning of the Ottoman era to its end and the western Tripoli state as its field. Its continuity and survival, especially as it has proven its success, adopting the historical, narrative, descriptive, and analytical method as a main method.

- European colonialism in the late nineteenth century sought to control the Arab and African peoples.
- The Crusades are still continuing to color and form to this day.
- We can say that the Christianization movement is one of the products of the Crusades.
- The Wilayat of Tripoli was not immune to European Christianization attempts.
- The spread of Christian missionaries was linked to the foreign presence through privileges, as well as agreements and treaties granted to religious minorities by establishing churches and health facilities.
- The church's plans for evangelizing the state's residents included entering them through their social conditions.
- The missionaries, with the help of the consuls, resorted to exploiting slaves, orphans and the homeless, and sheltering them, while teaching them the principles of Christianity and baptizing them as Christians.
- Christianization used the path of ideological invasion as an alternative to military action.
- Exploiting periods of turmoil to interfere in the affairs of the state and facilitate the work of travelers and missionaries.
- The missionaries were not able to evangelize the people of the state.
- The efforts of the Senussi movement bore fruit, and it was a major dilemma in the face of missionary campaigns.
- The Italians realized that religion is the vessel that preserved society, and the weapon with which they confronted them.
- The Jagboub Mosque and its corner could accommodate 600 worshippers.
- As a result of the Christianization attempts within the western province of Tripoli, a change in the policy of the governors towards its residents.
- The Ottoman Empire added the status of an Islamic state to the state of Tripoli.
- The research ended with suggesting a set of recommendations that would make us interested in studying what history referred to with the finger of accusation.
- To realize that reviving the heritage is a task that is obligatory for all generations.

I ask God Almighty that I have succeeded in this study
and that the people of knowledge and students of knowledge benefit from it